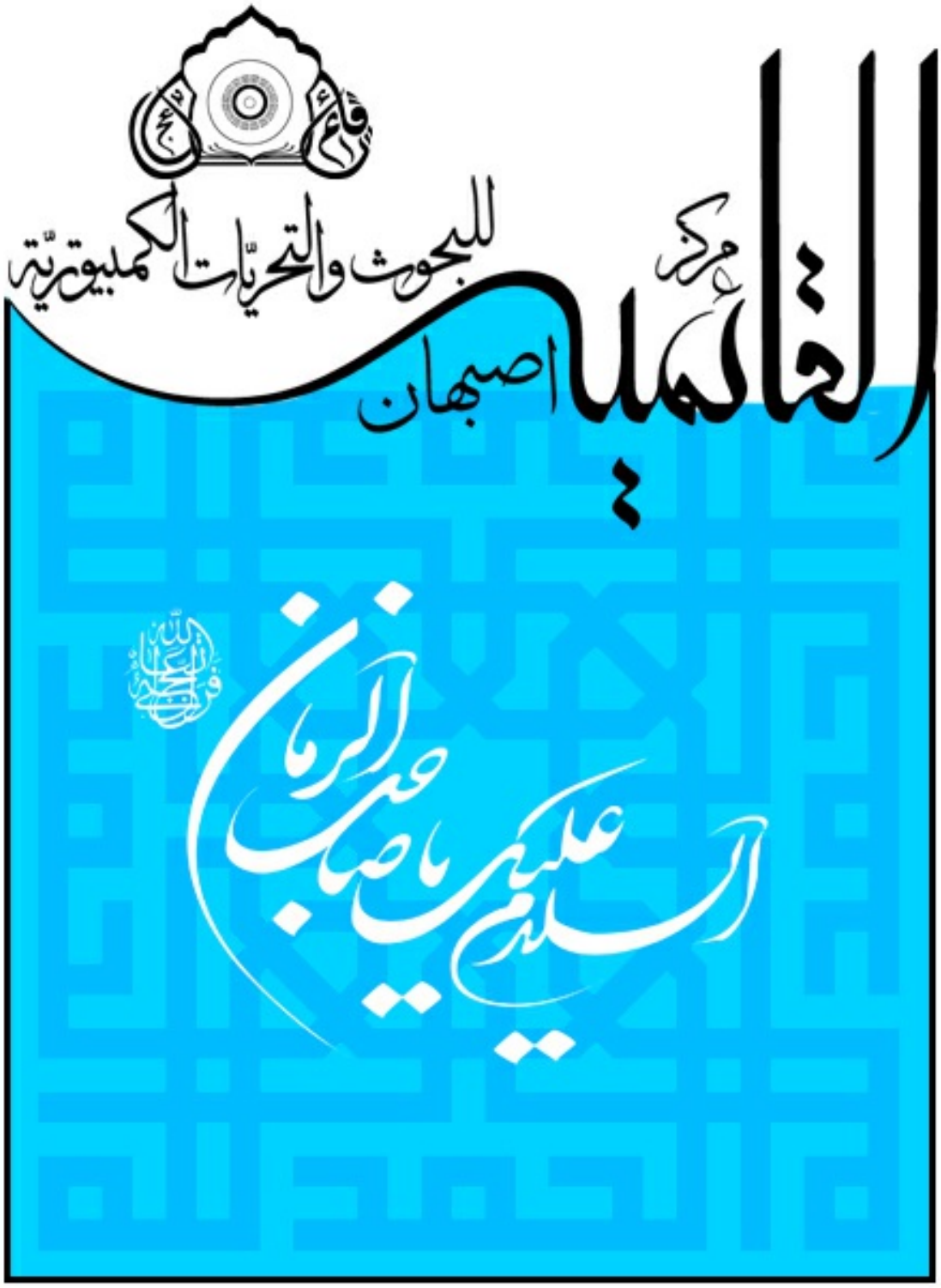

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإمام المهدي

من الشك الى اليقين

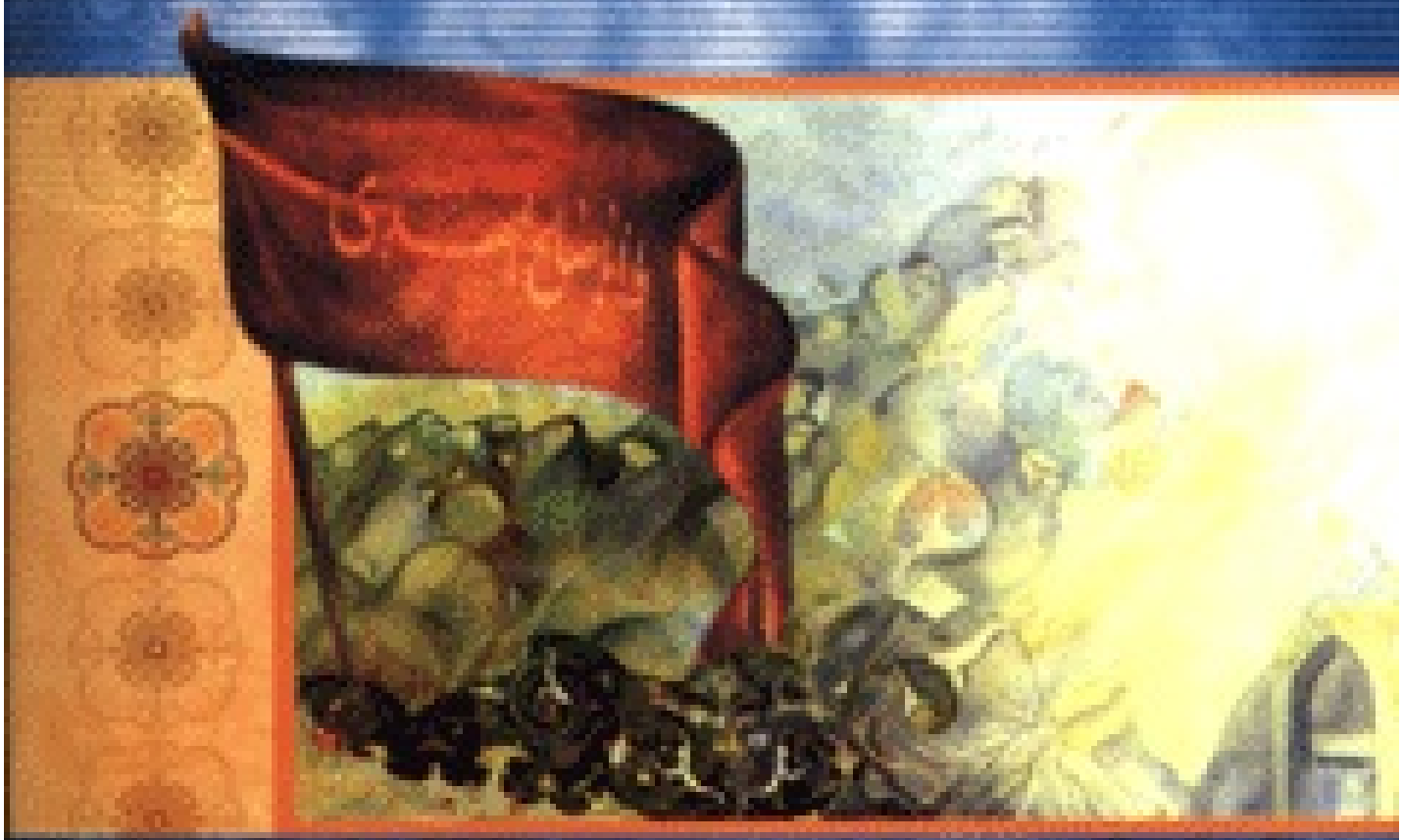

نعمة هادي الساعدي

بسم الله الرحمن الرحیم

امام المهدى من الشک الى اليقين

كاتب:

نعمة هادى الساعدى

نشرت في الطباعة:

دار الرافدين

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

امام المهدي من الشك الي اليقين 7

اشارة 7

اشارة 7

مقدمه 11

المدخل 17

رحلة من الشك إلي اليقين 23

عوامل الشك والتشكيك والانكار لوجوده عليه السلام 25

الشباب المسلم والإمام المهدي عليه السلام 31

حديث مع الشباب المسلم 34

بداية الحديث 50

اللقاء الأول – البداية في الحوار 53

اللقاء الثاني – نماذج من الاستدلال 57

اشارة 57

المقدمة الأولي : 58

المقدمة الثانية : 58

المقدمة الثالثة : 58

المقدمة الرابعة : 58

اللقاء الثالث – حوار مع المشتكين في الإمام والإمامة 59

اشارة 59

المعمرين القدماء في التاريخ 71

اللقاء الرابع 74

عقيدتنا بالإمام المهدي عليه السلام جذورها وأسسها 78

عود علي بدء 82
خلاصة القول بالرجعة 98
لماذا الإمام المهدي عليه السلام ؟ 107
اللقاء الأول الجديد 109
مع المشككين في قضية المهدي عليه السلام 112
كيف تكون الحياة بعد ظهوره عليه السلام ؟ 115
لقاء مع المؤمنين المعترفين والمعتقدين به عليه السلام؟ 125
اشارة 125
نصوص وأقوال وروايات وأحاديث : 144
المبشرون والبشارات 150
والمنتظرون لظهوره عليه السلام ؟ 150
الانتظار وما هي أخبار الانتظار ؟ 153
الانتظار والاصطبار ولماذا الانتظار ؟ 169
نحن الفرقة المنتظرة ومن هو المنتظر ؟ 175
رحلة جديدة إلي رحاب الإمام المهدي عليه السلام 188
وقفة جديدة مع المشككين في قضية الإمام المهدي عليه السلام 198
مراحل من الشك إلي اليقين 206
الشك مرحلة من مراحل اليقين والاعتقاد والإيمان 210
مع المشككين والمترددين والمنكرين 221
حديث الجزيرة الخضراء 226
الإمام المهدي عليه السلام بين السائل والمجيب 237
أخبار الإمام المهدي عليه السلام 246
المحتويات 259
تعريف مركز 262

امام المهدي من الشك الي اليقين

اشارة

امام المهدي من الشك إلي اليقين

تأليف : نعمة هادي الساعدي

دار الرافدين بيروت لبنان

ص: 1

اشارة

-الطبعة الأولي

2004 م - 1425 ه

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف : 03/445510 - فاكس : 01/543438

ص ب : 25/309 بيروت لبنان

E-mail:daralrafldain@hotmail.com

© جميع حقوق الطبع والنشر والتأليف محفوظة ومسجلة للناشر، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة أو نسخ الكتاب أو أي جزء منه إلا بترخيص من الناشر، تحت طائلة الشرع والقانون.

طبع في لبنان

Printed il lebanonTITT

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

مقدمه

الحمـد لله رب العـالمين الـذي أكرمنا وتفضل علينا أن هـدانا إلي شـريعة ختمت بها الشـرائع ، وجعلنا من المتمسـكين بها الـذين ساروا ويسـيرون علي صـراط الـذين أنعم الله عليهم وجعلهم أئمـة يدعون إلي الخير ويهدون إلي أمره ويرشدون من ضل ويرشدون إلي صـراطه المستقيم.

سيرة المؤلفين (أو الجماعين) والباحثين أن يبـدأوا كتبهم ورسائلهم بمقدمـة ، وفي المقدمة أمور وأمور ، وقصود ومقاصد، وهنا وقف القلم وأنا أريد أن أضع مقدمة لك لا مقدمة لهذا الكتاب ، وأي مقدمة أضـعها لك عزيزي القارئ ، ومقدمتي لك أن تسايرني في مسيرتي ، طالت أو قصرت .

والتأليف فئ من الفنون، والتأليف فئ له أهله ، ولسـنا من أهله، والتأليف عالم من أفضل العوالم الفكرية ، وله أنصاره الذين أفادوا وأبدعوا فيه ، وقدموا للبشرية أفضل الخدمات ، والمؤلفون أنواع وليس نوعا واحدا :

تأليف تجاري ، وهؤلاء ليس لهم أجر إلا ما اكتسبوه من حطام الدنيا – إنه المتاع القليل – وهؤلاء لا يقام لهم يوم القيامة وزن.

وتأليف علمي ووراءه فكر، ووراءه هدف و مقصد، وفيه شعور وعقيدة.

عزيزي القارئ ، هبني تطفلت علي التأليف ، هبني كبوت وتعثرت ، فأنت أخ ، وأنت ناقد ، وأنت قد تشاركني وقد تحاسبني وأنا قد بدأت حياة التأليف من قبل ، وهذه الحياة طويلة كما يقولون تبدأ ثم تنمو ثم تزدهر ، تبدأ بأول خطوة وأول حركة وبعدها حركة، وتبدأ بالتجربة وبعدها تجربة ، والإنسان قد يضع قدمه في أرض متحركة ، وقد يستقر ، وقد يحقق غرضه، وقد يخطأ ويطرق باب الصواب ، وقد يعثر ويهفو في مشيته ، وقد يتحرك قلمه أو ينكسر أو يجف، وفي ذلك كله دروس لك ولي وللآخرين.

بدأت أكتب عقيدتي في هذه الصفحات عن الإمام المهدي ، لماذا أكتب ؟ ولماذا هذا البحث ؟ وقد تسألني : ماذا نسجله في هذه المقدمة ؟ أسجل ما أعتقده وأؤمن به، فإن الاعتقاد ليس ورقة ، وليس سطورة أو سطور علي ورقة ، أو كلمات من حبر تقرأ ، ليس كل ذلك هي مسألة اعتقاد غرس في النفس ونما و تبرعم وتجسد ، بدأت فكرة الإمام المهدي غرس الوالدين وغرس المحيط ثم نمت وتمركزت بالمطالعة والمراجعات ، وإذا فيها أخذ ورة وتشكيك ومفارقات ومغالطات وطائفيات ضيقة وتقاليد موروثة بلا انفتاح ومراجعة ، لماذا كل ذلك ؟

لماذا كل ذلك أخي القارئ ؟ لا تكون غافلا ، ولا تكن مقلدة، ولا تبق تعيش في إطار ضـيق ، أو في ظلمات فكرية ، ولا تكن ملبوسا عليك في أمر دينك. خلقك الله حرا مفكرا لا تغفل عن نفسك ، وتبصر في أمر دينك لتكن من أهل البصيرة والحق والحقيقة.

وهنا نطرح الأسئلة التالية عليك وعلي غيرك :

إن الله لا يخلي الأرض من حجـة ، فهل أخلاها في هـذا العصـر ؟ وهل أخلاها عن حجة منذ أقدم الأزمنة ؟ إن لله بقية ومصـلحة وإماما ومرشدا ، فما هو، ومن هو بقية الله في هذا العصر ؟ إن للقرآن عدلا وقائما ومنقذا وعارفا ومدركا ، فمن هو ؟ وأين هو ؟ إنه بقية الإمامة ، إنه الشـمس التي لا يحجبها السـحاب ، إنه الحاضـر الغائب الذي يرعي هذه الأمة في شؤونها وأزماتها ، وقد تسألني أنت عنه : هل يعرف أهل زمانه ، ويعرف جنده ، ويعرف عسـكره ؟ هل يعرف مدة إمامته ؟ وهل يصـلح الدنيا بهذه المدة ؟ هل يعرف متي يخرج ، ومن أين ؟ وكيف يبدأ ؟

فـإذا قلنا بأنه يعلم بـذلك كله ويتوقف ذلك علي الله لأنه ولي الله ، وبأمر الله ، ومن أجل الله ، وهو ينتظر أمر الله ، ولا يـدري متي يأذن له الله ، فلا داعي للتوسل والندبـة ، وعلينا بالصبر وانتظار الفرج ، فالأمر أمر الله ، والإمام بيـد الله ، وهو الذي يسدده، وهو الذي يأمره ويعرف المصلحة في خروجه والقيام بمسؤولياته ، ولا نعلم زمانه متي يكون.

ولكل نبي زمان وعصر ، ولكل إمام زمان وعصر ، وإن هذا الإمام الذي يهدي به الدنيا ، وتستقيم به الإنسانية ، وتنعم به الدنيا له زمانه ،

فإذا خرج ومارس أعماله كان أهل زمانه أفضل من غيرهم، فيه يسعدون ، وبه يأمنون ويؤمنون ، وعلي هديه يسيرون ويعملون ، إنهم علي الحق، وإلي الحق ، ومع الحق ، فهم علي استعداد وهم يحملون ثورة الحق.

ونستمر في حوارنا وحديثنا عن هذا الإمام الغائب الحاضر الذي يعيش معنا، ويحمل هموم الدنيا ، يتألم أكثر ما ، الذي يشار إليه هو الموجود ، فقالوا مثله مثل الشمس وراء السحاب ، وفيه يتحقق قوله تعالي : « لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ » (1)، فالدين بدأ بميم ، وينصره الله بميم ، بدأ بمحمد ، وينتصر بمحمد ، ويؤيده الله بمحمد.

ونعود من حيث بدأنا ، ونعود في حوارنا – وإن طال – ونبدأ من جديد : لماذا التردد والاستغراب ؟ ولماذا التشكيك ، وكأن قضية المهدي قضية ليس لها سابق ولا جذور وأصول ، ولماذا لم نشكك في غيره ؟ الجواب : لا أدري ، ولماذا لا تدري الجواب أنني لا أدري !

عزيزي القارئ ، فإذا كنت قد آمنت بالرسول ورسالته واعتقدت به صادقا ، وصدقت به ، وأنه صادق بكل كلمة وكل حديث تحدث به، فلماذا لا تؤمن بقوله صلي الله عليه واله وهو يكرره ويعيده مرارا ومرارا وفي ذلك أحاديث كثيرة ومضمونها ومؤداها أن ولدا من ولدي ، اسمه اسمي ، شمائله شمائلي ، من ذريتي ، من أحفاد الحسين ، سوف يقوم ويدعو

1- التوبة : 33. الفتح: 28. الصف : 9.

للإسـلام من جديـد بعـد أن تحل في الـدنيا والإنسانيـة الكوارث ، وتضـطرب الإنسانية في أفكارها ، وتمتلئ الدنيا جورا وظلما ، فإذا خرج ملأها خيرا وعدلا وسعادة ونعيما وأمانا (1).

إذا كنت قد آمنت به صادقا في نظراته للمستقبل وحديثه عن الماضي وهو صادق فيما قاله عن القضايا المستقبلية ، قاله قبل وقوعها ووقعت ، وقد تحقق صدقه ونظرته في كل قضية قالها وأخبر عنها ، وهو صادق فيما قال وقاله وأخبر عنه، ونظراته لمستقبل هذه الأمة وما يصيب الحياة من تغيرات .

أخي القارئ ، بالله عليك فكيف لا تصـدقه وأنت كيف تشـكك فيما تقول يملأ الـدنيا قسـطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، وها هي الدنيا فكيف تراها في مشـرقها ومغربها ، والامتلاء معناه الاسـتغراق والاستيعاب والشمولية ، والامتلاء معناه الطوفان والتيارات الواردة التي تغرق القيم والمثل العليا، وتمحق الأمة والأفكار المستحدثة التي تطبع الأمة بمعالم جديدة ، وهي كلها قد بدأت وبدت علاماتها.

الإمام المهدي عليه السـلام من الشك إلي الاعتقاد والانتظار دراسة جديدة بعقلية العصر، وتوضيح لمفهوم إسلامي أصيل بعيد عن الأفكار المتطرفة الدخيلة المختلفة ...

الإمام المهدي عليه السلام مسألة مقتطفة من القرآن ومن جوهر الشريعة

1- هذه مضمون أحاديث نبوية كثيرة .

الإسـلامية ، آمنت بها الأجيال الإسـلامية علي امتداد العصور، لا تنفصل عن السـنة والعقل السـليم ، وإن قيل عنها ... فهي مسألة لا غبار عليها ولا ريب فيها ، آمنت بها لأنها ليست وهمية ولا مختلفة ، كما زعم المتطفلون.

النجف الاشرف

نعمة هادي الساعدي

ص: 10

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

« وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَي الَّذينَ استُضعِفوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُمُ الوارِثينَ » (1)

فالنبوة جعل إلهي ، والإمامـة جعل إلهي ، هـذا منطق القرآن لاريب فيه ، ولا مجال للشك بهـذه المرتكزة القرآنية والقضـية الإلهية.. تعالي الله عما يقولون..

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَيٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » (2).

العقل الحديث يسأل ، ومن حقه أن يسأل ، متي يكون ذلك لهذه

1- القصص: 5.

2- التوبة : 33 و الصف : 9.

الرسالة الكبري ، هذه الرسالة التي ختم الله بها الرسالات والشـرائع السماوية ، ومتي يتحقق هذا القول بأنها تسود العالم وتحكم هذه الدنيا « لِيُظهِرَهُ عَلَي الدّينِ كُلِّهِ » ، هل يكون ذلك في المسـتقبل والقرآن لا تفاوت ولا اختلاف ولا اضـطراب ولا تناقض في صياغته وتركيب آياته لأنه قول الله ... من هنا البداية .

وبعـد التأمل في الآيتين ، وبعد أن قرأتها بعقلية لم تتأثر بعدوي التقليد العشوائي والرواسب الموروثة القديمة ، بعقلية غير ملوثة وغير مصابة بأمراض الزمن الفتاكة ...

بـدأ الحديث والانطلاقة والحوار، ودار حديثنا حول هذا المقطع من الآية : « وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً »، وهو الذي جعلهم يرثون الأرض ويحكمون ويتصـرفون ، وهو الـذي جعلهم أئمـة ، والجعل هو فعل الله ، وهو الذي جعلهم أئمة يهدون إليه بعد رحيل النبوة عن هذه الأرض ، فليس للآخرين اختيار أوتقديم أو تأخير؛ لأنهم أئمة هداة . وقد تعددت الرسالات والشـرائع السماوية ، وتعاقبت النبوات علي امتداد الزمن القديم ، نبي بعد نبي ، ورسول يتلو رسولا ، رسول عاش وجاء بعده رسول آخر، لماذا ؟ وشـريعة قديمة وبعدها شريعة أخري ، ثم ختم الله النبؤات والشرائع برسوله الخاتم (1) ، لماذا ؟

1- الخاتم - بكسر التاء . والخائم - بفتح التاء ، ويصح أن يمدح الرسول الأعظم صلي الله عليه واله بهما ، آخرهم.

إنه فعل الله بعـد تكامل العقليات ، وبعـد عمر النبوة في الأرض والارتقاء والتطور ختم الله لهـذا الدين الذي يسـتطيع أن يمد ما يكفي هذا الإنسان ويسد حاجاته ، وهو الذي يسود علي الأرض، وتدين به الدنيا في مشارقها ومغاربها، ويعيش الإنسان في ظلاله في أمن وسعادة هنا وهناك.

هذا الإنسان وإن اختلف لونه ولغته فالدين للجم يع، والنبوة للجميع ، والإمامة للجميع.

نبدأ الحديث عن الإمام المرتقب الهادي المصـلح للدنيا بعد اضطرابها ، وقد يطول الحديث ، وهو حديث كريم في العطاء ، وكثير الميادين الفكرية والآفاق ، ومتعدد المسائل والقضايا ، إن وجد له أذن واعية تتقبل هذا الحديث ، وقضية الإمام المهدي عليه السلام من القضايا التي أحدثت المجالات المختلفة عند المسـلمين – وحتي غير المسـلمين – فكتب فيها الكثير منهم قديما وحديثا، وشذ من شذ، وكفر من كفر، وكثر التشـكيك في هذه المسألة ، وهي مسألة حقيقية ، وهي الحقيقة ، ومن كفر بها ومن لم يبصـرها فالشـمس هي الشـمس ، وإن أصيبت العيون بداء.

ومن كفر فلن يضـر الله ، ومن شك فيها وتردد في قضـية المهـدي فللشك دواعي وأسـباب ، وأما من اعتقـد بها عن تقليد عشوائي أو متابعة للآباء أو أخذ بها عن تقليد فهي مهددة بالسقوط والانتزاع

والتجرد والتأثير بالمؤثرات والتيارات . والعقليات في عصـرنا مختلفة في هذه القضـية ، والناس فيها علي أصناف .. الصابر الذي آمن بها قلبا ولسانا وفكرا وروحا ، وهو ينتظر الفرج وإن طال الزمن .

وفريق آخر آمن بها إيمانا مهددا ، واعتبرها عقيدة تقيدية وعقيدة أساسـها التقليد العشوائي ، ليست من الإسـلام ، وأنها عقيدة تحركها الرياح الشـرقية والغربية ، وهي ضـرب من ضـروب الخيال ، وهي بناء سـقط أو كاد أن يسـقط ، وهذا ليس من الإسلام. الإسلام يدعو إلي الحجة المنطقيـة ، ويخـاطب الألباب والأفكار ويساير العقليـة مهما تطورت بحكمـة ومعادلات ، ولا يري للعقيـدة ثمنا بلا دليل « ادْعُ إِلَيٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (1) ، وأن عقيدة أساسـها البرهان والحجة المنطقية كتب لها الخلود والبقاء والوجود ، وهذا هو الإسلام، وسيبقي باقيا خالدا لا تؤثر فيه الرياح مهما كانت شرقية أو غربية.

إذا ما بناء شاده الدين والتقي *** تهدمت الدنيا ولم يتهدم

وهـذا الدين يدعو للجدل والبرهان والاسـتدلال والتفكير والوعي والتأمل في كل مسألة من المسائل الفكرية ، هذا ما وجدناه في القرآن لئلا يقع هذا الإنسان بالخطأ .

1- النحل : 125.

فالتوحيـد بلا جـدل وبرهان لا توحيـد ولا إيمان مقبول ، وهـذا الـذي جاء بهالقرآن وأنار العقلية العربية بما قدمه لها من أدلة وبراهين عقلية كونية .

والنبوة بلا معرفـة وشاهـد واعجاز يـدعمها ويثبتها فهي ضـرب من الكـذب والأوهام ، وكل قضـية من القضايا الدينية ليس أساسـها المنطق والجدل ليست قضية إسلامية ، وليس لها ثمن في القاموس الإسلامي ، والفكر الإسلامي والفلسفة القرآنية والتشريع الإسلامي ، وقد أتعب علماء الإسـلام أنفسـهم في تقـديم الأدلـة المقنعة المقبولة في قضـية الإمام المهدي ، ولو كانت من القضايا الوهمية المختلفة المصـطنعة المجعولة لماتت أو أصيبت بالركود والاندثار ثم الاحتضار .

ص: 15

رحلة من الشك إلي اليقين

وهذه مرحلة فكرية ، وفي خطوات متتالية ، خطوة .. خطوة . أنا وأنت ، ونبدأ بها معك من نقطة البداية ، ثم نواصل مسيرتنا. ونقطع فيها خطة مستقيمة . ونبدأ هذا السفر من الشك إلي اليقين ، وندخل ميادين .

وقد تواجهنا أمواجا من الرواسب والأفكار الموروثة المضطربة تحركها الرياح القوية ، وفي الطريق شبهات وشكوك ، وقد تحدرت ووصلت إلي الأذهان وتمركزت ، وورثها قوم عن قوم.

وقد نصل إلي الحقيقة المفقودة المحجوبة بحجاب من الضلال والمستورة بأستار الجهل .

وقد نتخلص من داء الشك وندخل في النور بعد أن عشنا في الظلام.

وقد تكون بداية الطريق أشق وأصعب من الوصول إلي النهاية

وبلوغ القصد ؛ لأن الطريق الذي نسلكه طريقا شائكا بعيدا ، وقد يوصلنا إلي باب اليقين وندخل فيه ، والوصول صعب.

تعال معي عزيزي القارئ لنـدق باب الحقيقـة ، ونعبر أنا وأنت حتي يأتينا اليقين ، وأن الله سـيفتح لنا باب رحمته إن وجدنا قد توجهنا إليه ، فإنه قريب.

تعال نلتمس ونـدخل في النور، ولعل الحقيقة اقتربت منا ، الحقيقة الفكرية ، وهذه الرحلة الشاقة ، رحلة مع شاب شاك متثقف بثقافة جديدة ، وأخـذ كثيرة من أفكاره من التيارات الثقافيـة الوافـدة من خارج الحـدود وامتلأت ذهنيته وانطبع بها الجديـد، وتباعد عن الواقع وانقطع عن حضارته ، وعن تراثه ، وعن المفاهيم الإسـلامية الأصيلة ، وانحدر هذا النوع من الجيل وسقط وتجرد، أو حاول أن يتجرد ، عن تراثه ويتوجه إلي جهة جديدة .

ص: 18

عوامل الشك والتشكيك والانكار لوجوده عليه السلام

والشك والتشكيك في قضية الإمام المهدي عليه السلام ليست مسألة حديثة ، أو من أفكار أبناء هذا الجيل ، أو ولدت في هذا العصر ، أو هي من سمات هذا العصر، فإن الشاكين بها كثيرون وكثيرون ، ولهذا الشك دوافع وعوامل وأسباب ، وقد أشار إليها الباحثون ، وعالجها علماء الإمامية ، ولخصوها وأشاروا إليها، وتحدثوا عن أصحابها وتعقيباتهم ، وعوامل الشك ودوافعه قديما وحديثا كثيرة :

فقد يكون سببه عدم ظهور هذا الإمام، وممارسة أعماله الروحية والسياسية في الأمة.

وقد يكون سبب هذا الشك طول بقائه ، وامتداد عمره بهذا الشكل منذ وفاة والده عليه السلام حتي هذا العصر، وقد يطول ويمتد إلي عصور قادمة ، وهل يعيش إنسان هذا العمر؟

والجواب بسيط وسهل ، إن ذلك أمر ممكن، وما أكثر المعمرين

ص: 19

قـديما وحـديثا، ومسألـة العمر والأعمار سوف نتناولها في اللقاءات القادمة ، وإذا قلنا طال عمره أو يطول أهو ادعاء وأوهام واختلاق ، أو هي حقائق مقبولة إذا نحن استعملنا العقل المنطقي ؟

والشك به يختلف عن التشـكيك فيه ، فهـذا شاك وهذا مشـكك، ولكل منهما أسـبابه ، قد يكون هذا نابع عن جهل، أو رواسب متراكمة ، أو غباء وتخلف ، أو هو نشأ ونما في محيط مغلق وغلغلوا فيه المفاهيم الراكدة الميتة ، وتمركزت فيه واسـتقرت ولم يفهم قضية الإمام المهدي عليه السلام حق فهمها .

وقـد يكون هـذا الشك له عوامل خارجيـة ، أطماع أو حروب نفسـية يقولها هذا ليكون ممن يشار إليه ، ومن فرق الأمة أو حاربها كان سـندا لأعـدائها، وعلي الأمـة أن تـدرك عـدوها وصـديقها ، ومن يحاول أن يفرق صـفها ويسـعي لطمس الحقيقة ووأد الواقع ، وكلها قصود مادية وسياسية.

وتضع الحجاب التستر بينها وبينه ضوء الشـمس ، كما قـد حصل لهذه الأمة في العصور الوسـطي نتيجة الحروب الطائفية ، وقد صدر ذلك من كثيرين وكثيرين ، وشب في صفوفها نيران الحقد والعداوات والتقاطع.

وهناك نوع آخر من العقليات التي أنكرت هذا الإمام وجودا وولادة، وهذا الإنكار ليس وليد هذا العصر، فله أسبابه ومعادلاته ،

وكلها قـد بنيت علي أوهام باطلـة في الصـغريات وما ينتـج منها من نتائج غير مقبولة في المنطق السـليم ؛ لأن الصـغري والكبري غير ثابتة فكيف بالنتيجة .

وما أكثر المنكرين من أبناء هذه الأمة في الأمس واليوم، وسـببه ليس راجعة إلي قضـية الإمامة ، فالإمامة شيء موجود ، له مقوماته وشروطه وضوابطه ، وإنما هناك خلل في الأذهان لأنها لم ترتو ولن تدرك ما هو الإمام، وكيف يكون ، ومن هو الإمام، وعدم فهم قضية المهدي عليه السـلام عند الكثير لأن الأذهان لم تدرسـها ، ولن تدركها ، ولأن العقل لم يعها حق وعيها ، ولن يملك تلك البصيرة الشرعية ليدرك ما هو دور الإمام بعد النبوة ، ولذلك فقد العقل ذلك الاشـعاع، فلو كان يعيش في النور لرآها كما هي . وعلي واقعها المقدس ، وفرق بين الأعمي و فاقد البصر ، ومن يعيش في النور ومن يعيش في الظلام .

وهـذا مثل من الأمثلـة القرآنيـة التي ضـربها القرآن لهـذين النوعين من الإنسان ،والقرآن لا يضـرب الأمثلـة بلا واقعية صادقة ، ولا بد لهذه المفاهيم القرآنيـة من مصاديق خارجيـة ، وفي الإنسان مصاديق كثيرة . ألا تفرق بين هذين النوعين من بني الإنسان ، ونبدأ رحلتنا ومن الله التوفيق في هذه القضية المباركة «قضية الإمام قائم آل محمد » ، وهذه الرحلة الفكرية بين عقليتين :

عقلية مؤمن آمن بها وأدركها واعتقد بها ، وبين شاك أو مشكك

أو متردد غرست فيه الأوهام واستجاب لها، ووجد لها طعم ولذاذة ، وراح يكثر من التعبير عن هذه الرواسب وهذه الأوهام ، ويسطر القال والقيل ، وهو متردد إن أقبلت عليه كان كما صوره القرآن «يلهث » يشكو العطش ولا يعلم أن الماء حواليه ، متردد وللمتردد لغته وأفكاره ويسأل ويدعي الرقي والتطور، كيف يكون هذا الإمام محجوبا عن هذه الأمة والأمة بحاجة إليه في أمسها وفي غدها ؟!

وكيف عاش هذا العمر الطويل ؟ ومتي يظهر ؟ وإذا ظهر ماذا يحقق وينجز ويغير ويبدل ؟

وهل يأتي بدين جديد ، أو قرآن جديد ؟

وكيف يكون إماما وقد انقطعت صلته عن الأمة وليس له صلة بها ، وبالعكس ؟

وما هي الأدلة المثبتة علي وجوده وبقائه ، أو المثبتة لبقائه وطول عمره وإمامته ؟

وهل يستطيع أن يقوم ويدير الحياة الواسعة المليئة بالمشاكل ؟

وما هي الأدلة علي إمامته ، وماذا عنده إذا خرج ؟

إنها غرائب وأوهام، وكيف نقطع ببقائه وقد مات أبوه وهو ابن خمس ؟ومضي عليه ألف أو أكثر ؟ فكم يكون عمره ؟ وأين هو الآن ؟ وأين يعيش في أي مكان ؟

وإذا خرج فماذا يحقق لهذه الأمة وللبشرية أو للمجتمع الإسلامي ؟

وهل يحول الأمور كما يريد، وبماذا ، وماذا يملك من إمكانات و قوي و قدرات ؟

وهل يحقق ما لم يستطع تحقيقه آباؤه وأجداده عليهم السلام الذين سبقوه وعاشوا وعايشوا الأمة منذ فجرها وضحاها وأمسها وأدوار حياتها ؟

وهل يستخرج الخفايا الخفية ويدلهم علي مفاتيح الرخاء والسعادة ؟

وهل ينزل عليه الوحي من جديد ؟

وهل يثبت ما كان منفيا ؟

وهل يبني ما هدمته الأقدار والأيام والدهور ؟

وهل يقيم ما اعوج وما بلي وما اندثر؟

وهل يقيم أدلة جديدة لإحقاق الحق وهدم الباطل غير ما جاءك به الأنبياء من قبل ؟

وهل هناك دين أوسع من هذا الدين ، أو تشريع جديد سوف يأتي به هذا الإمام المنتظر أمل الدنيا وأمل الإنسان المعذب ؟

وما هو وجه الحاجة إليه ما دام الكتاب والسنة بخير ، والكتاب بين أيدينا ، والسنة المروية لا تزال بخير ، وهذا كتاب الله قد جمع ماتحتاجه الدنيا جامع لكل الأمور، وهذه السنة قد تكفلت

بشؤون الأمة ؟

فمـا وجه الحاجـة إلي هـذا الإمام المرتقب وما عنـد الأمـة يكفيها ، فما هي الحاجـة للانتظار أو الاصـطبار لهـذا الإمام من قبل ، وما هي الحاجـة إلي هـذا الإمام من بعـد وهناك كلمـة صدرت لهشام بن عبدالملك تشـبه هذه الأفكار السـقيمة العليلة مع الإمام أبي جعفر رواها صاحب البرهان بالتفسـير، وكان جواب الإمام ردا عليه ومؤداها ما عنـد الإمام لا يوجـد عندكم، وما يوجد عند أبناء وأحفاد الأنبياء لا يوجد عنـد المتطفلين أو أدعياء المعرفة ، وما عند الإمام علي عليه السـلام لا يوجد عند غيره ، وما يوجد عند جعفر بن محمد لا يوجد عند غيره ، ومـا يوجـد عنـد الجواد والهادي والمهـدي لا يوجـد عنـد من بني أساسه علي الأوهام والتقليـد أو عقائـده من الرجال ولم يميز بين الخطأ والصواب . إ ذلك الإمام حقيقة لا ريب فيها ، حقيقة أصـيلة هي الدين والدين هي، وما صدر من هذا وذاك من أضاليل وألاعيب وشكوك لا يغير وجه الحقيقة ، وما يدور في أذهان الشباب البسيط لايغير النور، فالنور هو النور، وإن الإمام قريب ، وإن ظهوره أمر لا بد منه .

الشباب المسلم والإمام المهدي عليه السلام

كثير من شـبابنا المسـلم الفاضل المثقف بالثقافات الوافـدة للبلاد الإسـلامية ، والـذين قرأوا الجديد وانطبع في أذهانهم .. اليوم ما قيل وما حـدث ومـا ذكر من أفكـار وفلسـفات وتقبلها وأقبل عليها وانـدفع إليها وصار يتقبل النظريات العلميـة والأفكار والآراء الجديـدة السياسـية وغيرها.

أما الأفكار الدينية والحقائق الصادقة التي تذكر علي واقعها يقف عندها بغرابة وتردد .

والسؤال الصـعب : لماذا يتردد الشـباب عنـد الأفكار الدينية الصـحيحة ؟ وكيف يفهموها ؟ وهل هناك خلل فيها أو أنها رويت لهم بصورة مشوشة ؟ أو الأسلوب الذي طرحت به كان أسلوبا مرفوضا ؟

وتراهم يترددون في قبول قضية المهدي عليه السلام ، ويقفون عندها بتأمل .

ص: 25

ولعل بعض شـبابنا يراها قضـية ليست من الإسـلام ، أو هي موضوعة عليه ومنسوبة إليه ، وليست هي قضـية إسلامية ، أو من الإسلام حقا ، ومن أنكرها أو شك فيها لم يكن بشيء عقلا ووعية وثقافة.

ولعل بعض شبابنا آمن بها تعبدا وهو لم يدركها ولم يعها ، آمن بها بلسانه وكفر بها بقلبه ، وإذا سئل عنها أو دار الحديث عنها لم يدرك تلك القضية علي واقعها .

ولعل بعضـهم صـرح وتجرأ بأنها من القضايا المختلفة في العصور المتأخرة، وأنها ولدت حديثة، وكأنها قضية ولدت في هذا العصر وخلقها المتأخرون،خلقتها الأوهام والمخاوف والاضـطهادات وتقبلتها العقول المريضـة المصابـة ، والنفوس المغلقة المنطوية ، وظهرت عند هذه الفرقة دون غيرها من الفرق الإسـلامية ، كما ادعي ذلك كثير من أدعياء المعرفة من عصرنا، مدعيا أنها فكرة خلقتها الموجات السياسية التي مرت علي هذا الإنسان المعذب (1) ولاـ رجاء له ولا كهف ولا أمل. إلا أن يفكر من وحي نفسه ونبات أفكاره أن هناك بطلا مرتقبا سـيقدم ويأتي بقوة لا تقهر يخلص المظلومين المستضـعفين في الأرض من جور الجبابرة ، فاختلق شخصـية وهمية وهي التي ستأتي وتدفع الضيم وتنشر الراحة والأمان في الأرض ، ويعيش الإنسان بأمن وأمان وسعادة واطمئنان .

1- كما هو مذهب أحمد أمين في كتابه المهدوية .

أوكأن هذه القضية لها جذور من ديانات قديمة وأساطير كانت عند أمم الأرض.

أو كان هذه القضية فكرة تسربت للفكر المسلم وتأثر بها المسلمون ، وذلك بواسطة الاختلاط الحضاري أو التلاقح الفكري بين الحضارات والتفاعل بين أمم الأرض نتيجة الاختلاط العقائدي وما حصل بين هذه الأمة والأمم الأخري الوافدة للمحيط الإسلامي (1) ، وتباعد شبابنا عنها فكريا، وإذا طرق سمعه حديث المهدي عليه السلام اعتبره حديثا دخيلا ، أو اعتبره حديث خرافة ، أو هو من الأساطير القديمة التي يجب أن لا تبقي أو لا تذكر في البلاد الإسلامية ، ومن اعتقد بها اتهموه باتهامات كثيرة ، أبسطها أنه مصاب في عقله ، ويأخذ بالأمور التي يتحدثون بها بالزوايا والقضايا والظلام وليست هي قوية أصيلة.

1- كما ذهب لذلك أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام.

حديث مع الشباب المسلم

وقد طاب وقت الحديث مع أبنائنا الشباب الذين آمنوا بالإسلام دينا. وما اختاروا عليه شريعة ، وبالقرآن كتابا ، وما بدلوه بغيره، ولكنهم يسألون عن هذا الإمام، وأكثروا من السؤال :

كيف يكون الإمام حي يرزق ، والقطع بذلك ، وقد بلغ من العمر ما يربو علي الألف أو يزيد علي ذلك ؟

قلنا ذلك احتمال ، وهو بلا دليل واثق هو جعله واختاره ، أوليس الذي حفظ أصحاب الكهف في طول هذه المدة هو حافظ صاحب الأمر في طول مدته ، والمعمر له في عمره الشريف والمعمر آدم ونوحا عليهما السلام وسائر المعتمرين والملائكة بقادر علي إرجاعهم إلي الدنيا ويبعثهم إلي الآخرة يوم القيامة بعد موتهم وانتقالهم إلي عالم الآخرة .

ثم أن الله تبارك وتعالي قد حفظ يونس عليه السلام في بطن الحوت وأخرجه سالما ، وحفظ الخضر عليه السلام إلي الآن، ورفع عيسي عليه السلام ،

وأعطي جعفر عليه السلام جناحين، وحفظ إبراهيم عليه السلام من النار، ورد موسي عليه السلام إلي أمه كي تقر عينها ولا تحزن، وتعلم أن وعد الله حق وحفظه من كيد فرعون.

وخلق عيسي عليه السلام في بطن مريم عليها السلام من دون أب (1) .

إن هذه الأفكار ألا تزيد الإنسان معرفة علي قدرة الله الواسعة ، وهو القادر وقدرته لاحدود لها . ويقدر أن يخلق من هذا الماء الدافق إنسانا فيه الروح والأعصاب والاحساس والحركة ؟ أليس بقادر أن يخلق إنسانا اسمه إمام بقية مصلح قائم ينتسب لآل محمد. من أحفاد خاتم الرسل ليكون حجة ودليلا وباعثا للحياة من جديد، ويغرس الوئام والطمأنينة في نفوس أبناء الحياة في المستقبل، ويقضي علي كل المشاكل في الدنيا ليأمن المخلوق ويعيش بسعادة وأمان وراحة ضمير.

أهذا غريب ، وأين هي الغرابة ؟

أهذا ضرب من المستحيل ؟

أهذا مخالف لستة الحياة ؟ ولماذا ؟

أهذا أمر عجيب ، وأين العجب ؟

أهذا مخالف لمنطق الدين ؟

1- معتقدات القاصر في أصول الدين / يونس النجفي: 59.

من يفهم ويدرك ويتأمل ؟

ونقول لأبنائنا : الدين وحدة متكاملة لا يمكن أن يتجزأ أو ينفصل هذا الجزء عن هذا الجزء ، والنبوة وحدة متكاملة ، من آمن بالنبي وصدقه ، وصلته بالله ، أخذ بما يقول ويصدر عنه ويروي . ولا يطيعه في أمر ويعصيه في آخر.

وكـذلك القرآن وحـدة متكاملـة لانعترف بإعجازه في هذه السورة ولا نقول بإعجازه وقرآنيته بالسورة الثانية ، وكذلك الإمامة وحدة لاتتجزأ ، فمن اعترف بالإمامة وأنها بعد النبوة ولا بد منها لحاجة الأمة إليها وتسير الحياة روحيا وسياسيا ، وآمن بهذا الإمام بعد النبوة واعترف به فعليه أن يؤمن بالإمام الثاني ، وكـذلك الإمام الثالث ، فالإمامة وحدة متكاملة لاتتجزأ ومن آمن بهذا آمن بهذا، وأخذ بقوله ، والدين من حيث هو هو وحدة متكاملة متصـلة لا تؤمن ببعض وتؤمن ببعض آخر، هذا متوقف علي هذا، وأن الأرض لا تخلو من حجة ودليل من قبل الله ، نبيا أو إماما ، ومتي خلت الأرض ومنـذ أن خلق الله هـذا الإنسان خلق آدم، وهـذا الحجة عليه توضـيح معني أو ذات الله ، وتبيين الحلال عن الحرام ؟

ومتي خلت الأرض من حجة الله ؟ هل خلت في الزمن الأول أو الزمن التالي أو الزمن اللاحق، أو الزمن المسـتقبل ؟ ومتي خلت الأرض من شريعة ومن كتاب ومن وال ومن حاكم ، ومن نظام ؟ ولولا ذلك لاضطربت الأرض ، واعتدي هذا علي هذا ، وذاك علي

ذلك. وأصبحت الحياة كلها دماء وفسادا واعتداء أشبه بالحياة الحيوانية ، تعالي الله أن يريد للإنسان مثل هذه الحياة ، كيف وقد اختار له خليفة بعد خليفة ، وإمامة بعد إماما ، وشريعة بعد شريعة لتكون الحياة مستقرة.

ونحن نسير في دور الشك ونواصل الحديث والحوار في مسيرتنا . في دروب الشكوك ، وهناك فئة من الناس تدعي المعرفة ، وهي عكس ادعائها ، وهناك عقليات راكدة وتدعي الوعي والبصيرة وأشد أنواع العمي هو عمي القلوب .. وما أكثر هؤلاء يكثرون السؤال ويطلبون الجواب عن ذلك بلا وعي ، وهو يشكك بأوضح الواضحات ، ومنهم من يشكك حتي في وجوده. فكيف بمن أوجده ؟ ومنهم من يشكك في بدايته ونهايته فكيف لا يشكك في عقليته . أهو عاقل وما هو الدليل علي ذلك ؟ ومنهم من يشكك في الإمام المهدي ، وآخر ينكر ذلك ويعتبرها قضية جديدة غريبة منفصلة عن الشريعة ، أو هي ضرب من ضروب الخيال أو اختلاق ، وكيف نقنع هؤلاء وهم الذين غرقوا في بحر الشك، وكيف نقدم لهم العلاج الوافي والدواء من هذا الداء الفتاك ؟ وكيف نزيل الشك وهذه العدوي ؟ وكيف ندخل اليقين في نفوس هؤلاء ؟ وكيف الرقي والانفتاح والاذعان لهؤلاء إلي الحق والحقيقة ليتذوقوا طعم الإيمان ؟ وكيف نقربهم إلي الضياء ونزيل هذا العمي من القلوب وبماذا ؟

والشك داء ابتلي به كثيرون وكثيرون ، فما هو العلاج لهذا الداء

ص: 31

الفتاك الذي غزا البلاد والعباد وراج فانتشر وطغي وتمركز في نفوس أبنائنا نتيجة الغزو الفكري ، وازداد عدد الشاكين والمشككين في قضية المهدي عليه السلام ، وإذا كان الشك داء فتاكا فما هو العلاج ؟ وهل يمكن علاجه لنخلص أكبر عدد من أبنائنا من هؤلاء ؟ وهل نستطيع أن نقدم الوصفة الناجحة ليستطيع أبناؤنا من آثاره وملازماته ؟ العلاج هو الحوار الناجح ، وبذلك نتوصل إلي الحقيقة ولانغلق باب السؤال ونبقي نصغي إلي أبنائنا وإن أكثروا من الأسئلة ، ونبقي نقول لأبنائنا : تعالوا واسألوا، ولكل سؤال جواب ، وإن أكثرتم وإن سألتم أجبنا ، ولكل بداية نهاية ، ولكل يوم غد، ولكل شدة فرج، ولكل حزن فرح ، وما النصر ببعيد، والصبر مفتاح الفرج.

ونواصل مسيرتنا في دروب الشك والإنكار لقضية المهدي عليه السلام ، ومن أسباب هذا الشك في هذا العصر هو الغزو الفكري المادي وأثره في نفوس أبنائنا :

أين هو المهدي ؟

ومن هو المهدي ؟

ولماذا غاب ؟

أويبقي في المغيب ؟

ويقول هؤلاء الكثير من الأقوال ، واشتد الحوار وطال، وكيف السبيل ، وما هو ؟ وكيف نزيل أمراضاً كان لها أثرها في اللسان والفكر والنفس ، واستقرت العدوي وتبرعمت وتمركزت في النفوس ؟

وما هو العلاج ؟ وما هي النصيحة المفيدة لهؤلاء الذين قرأوا الجديد وأقبلوا علي كل جديد لأنه جديد ، وكيف إقناع أبنائنا الأذكياء أن الإمام المهـدي عليه السـلام باق حي، وأن وجوده وبقاءه حيا إلي هذا اليوم . ولا بد من ظهوره بإمكانية إلهية لا تقهر. ويلقي الله الرعب في قلوب أعداء الله في مشارق الأرض ومغاربها ، سـلاحه السـيف، وأن السيف هو سيف رسول الله ، وبيده عصا موسي بن عمران ، وليس ذلك علي الله صـعبا أو شديدا ، أو لا يكون، وإرادة ربك لا تقهر . وقد نصـر رسـله من قبل في زمن الجبابرة والطغاة الذين حكموا الأرض بقوة ، ونصر الله رسـله علي أولئك الجبابرة رغم قوتهم ، فهو الذي ينصـر وليه الإمام المهدي عليه السـلام ، وهو الذي ينصـره الله ؛ لأنه يريد نصر الله ، وهو القائل عز من قائل : « إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ » (1) ، وهو الذي نصر رسوله في مواطن ومواقف عديدة رغم قلة جيشه وقوة عدوه ، وهو الله الـذي لا يقهر ، وهو الواحـد القهار ، وهو الناصـر لأوليائه ، وهـذا دليل واضح وشاهد لكل الرسل في مواقفه، وبدأنا حوارنا وبصـراحة ، وقطعنا أشواطاً طويلـة في الحـديث عن القضايا المسـتقبلية ، وعن هذا الإمام المرتقب الذي يغير الكثير، ويبدل الضـعف قوة ، والذلة عة ، والتفرقة وحدة .

بين يديك أخي القارئ هذه خلاصة حديث طويل كان قد وقع

1- محمد صلي الله عليه واله : 7.

بيني وبين بعض الشباب المثقف بثقافتين ؛ إحداهما عربية وأخري جديدة . وقرأوا الكتاب العربي والكتاب المترجم، شباب يعيش الشك ، واستحال هذا الشك إلي عقدة نفسية أثرت في لغتهم وأفكارهم، ووجدت الحديث معهم صعبا مستصعبا ، كناقر الصخر، . وصاعد الجبل.

وكيف السبيل وكأن الشك قد ولد معهم ؟ والشك درجات قوة وضعف ، واستقر هذا الشك ، ولهذا الشك أسباب ، والشك مراحل، وكيف نقطع هذه المراحل حتي ندخل ساحة اليقين ، وكيف نقطع المسيرة الشاقة ؟

ولما بدأنا الحديث عن الإمام المهدي عليه السلام وجدت أنني أتحدث مع القوم عن قضية وهمية لانصيب لها من الواقع، وهم عقلية قد تمركزت فيها الشكوك ، وتغذت بالأفكار الحديثة والفلسفات الواردة .

وبدأنا الحديث عن وجود هذه الأمة وعن القضايا الإسلامية المستحدثة ، ومشكلات المجتمع الإسلامي والأخطار التي تهدد وحدتها وكيف الوقاية ؟ وكيف العلاج ؟ وكيف الالتزام والأخذ بالماضي ؟ وكيف تفهم الأمة أن لا تتباعد عن أفكارها وعن ماضيها ، وتدرك واقعها، وتسعي من أجل مستقبلها .

وطال الحديث عن قضايا الأمة ، ودار الحديث حتي دخلنا في قضية الإمام المهدي عليه السلام ، ونحن في طريق الشك وفي دائرة الحوار واشتد الكلام ، وأوشكنا أن نصطدم ، حيث اعتبر قضية الإمام

المهدي عليه السلام من قضايا الشيعة دونغيرهم ، ثم دخلنا في مرحلة جديدة حول وجوده وبقائه ، وهل هي قضية دينية يجب الإيمان بها ، إنها فكرة من صلب الدين ، ومن أنكرها وشك فيها هل هدم فرعا من فروع هذا الدين ؟ وهل الإنسان هو خلق فكرة المهدي عليه السلام ؟ وهو تصورها وهي قضية من اختلاق الذهن الخلاق فلا مهدي ولا صلة له بآل محمد صلي الله عليه واله ، وأين هو؟ وما هو ؟ خلقتها ظروف سياسية مرت عليها في السنين السالفة ، فهي من الأمور المختلفة ، فهي أسطورة ولدت ونمت وورثها قوم آخرون، وهي أحدوثة لا واقع لها ولا أساس لها من قرآن أو سنة ، وهنا قاطعت هذا الشاك من أين لك هذا الاتهام ؟ قال لي : قرأته في كتاب (المهدي والمهدوية) لأحمد أمين ، وفي كتاب (نظرية الإمامة عند الشيعة) فرددت عليه أنه مجرد ادعاء وافتراء ، ومن أين لهؤلاء ذلك ؟ وهل عندهم مصادر يطمأن لها ؟ وأما أتباع آل البيت عليهم السلام فقد أخذوا ذلك عن أئمتهم الذين عرفوا بالصدق ، إنها قضية من القضايا الإسلامية حقا، ويجب الإيمان بها ، ولا بد من الأخذ بها، نمت بعدما ولدت، وتحدرت من العصر الإسلامي الأول ووصلت إلينا. نحن الأبناء لأن النبي صلي الله عليه واله خبر عنه كثيرا وبشر بظهوره ، والروايات مروية في كتب المسلمين المقبولة عند الطرفين ، ثم بدأت الأسئلة الجديدة ، وليست بجديدة ، وقد وردت علي ألسنة القدماء وأجاب عنها العلماء نقلا عن أئمة آل البيت عليهم السلام ، وهم أعرف ، وهم حملة هذه الشريعة أصولا وفروعة، وهم الذين يتصلون بجدهم

المصطفي صلي الله عليه واله وسلم ، وهم ورثة شريعته .

والسؤال القريب الذي يهز السامع هرا أن هذه القضـية ذات الحجم الكبير أهي قضـية حقيقية أو هي قضية وهمية لا واقع لها ولا دليل عليها بين أبناء هذه الطائفة ، وهذا زعم افتراء واتهام .. أو هي قضـية مستوردة من خارج المحيط الإسلامي ، كما استوردت بعض الأنماط الفكرية الأـخري والاتجاهات الفلسـفية من أمم الأرض وأدخلت إلي المحيط ، وكانت عنـد غير المسـلمين من تلك الـدنيا وهي تؤمن بوجود بطل مصلح مرتقب سوف يقدم عن قريب أو بعيد ، ويغير ويبدل هذه الحياة الساخنة (1)، اسمه كذا، وشكله كذا ، وهو من قومية كذا، وفي زمن كـذا، وهو البطل المرتقب ، وبقيت الـدنيا تسـير بهـذا الحلم ، وهو الأمل منذ أقدم العصور، وهي بانتظار هذا البطل وقدومه ولاتزال الدنيا بانتظاره ، وليست من الأمور الواقعية الجوهرية أو تمت للواقع الإسلامي بصلة ؛ لأنه لا دليل عليها من قرآن أو سنة أو إجماع أو عقل ، وهي من المخلفات ، وهي من الرواسب القديمة لأنها للشيعة الإمامية دون غيرهم.

هكذا يزعمون ويدعون ، فهي ليست إسلامية في واقعها وجوهرها وبدايتها . إذن يكون الإمام المدعي فيه شخصية وهمية ، وأكثر من

1- والقائلون بقدوم هذا البطل كثيرون وينتظرونه ، راجع مجلة الجامعة التي تصدر في محافظة نينوي.

ذلك ادعوا فيه أنه من ذرية فاطمة عليها السلام ومن أحفاد الرسول صلي الله عليه واله ، صفته كذا، وبشروهم فيه دون غيرهم ، أو هي قضية قديمة كانت ثم أدخلت إلي المحيط الإسلامي وانتشرت ، وأخذ ذلك . هؤلاء الشيعة – من هؤلاء استجابة نفسية ، وهذه هي قضية المهدي الذي تزعمون أنه إنسان علوي له نسب وله اتصال بالنبوة . وعلينا أن نقول وبصراحة : إنها من الأمور الدخيلة المختلقة أو المستوردة أو المأخوذة من غيرنا وليس الاعتقاد بالمهدي عليه السلام أمر ضروري ، وأن الأخذ به ليس من الإسلام لأنه ليس من الإسلام ولا ننشد الحوار بلغة أخري فيها حرارة وقوة وشدة ثم دخلنا في محور واقتربنا إلي العصبية والتمييز والأفكار .

وهنا قلت : المهدي عليه السلام قد بشر به الأنبياء من قبل ، وبشر به الرسول ومن بعده وأخبرت عنه الكهان والعلماء وأهل الفكر قبل الإسلام وكلهم صوتوا للدنيا أن هناك مصلحا سوف يقوم ، يصلح الدنيا ويملأها سعادة وخيرا وأمانا، ويغيرها ، ويزيل الظلم عن الأرض ، ويدافع عن المظلومين، ويعيد الحق المغتصب لهذه الأرض ومن عليها، ويطمئن العباد ، وهو وعد الله ، وهو بقية الله في هذه الحياة ، جاء علي لسان الأنبياء ، ووردت الإشارة إليه والبشارة عنه من قبل ، ولكن الاختلاف في اسمه ، كل قال هو المهدي ، وكل قال ما المهدي، والمهدي المرتقب هو، وهو الأمل المأمول، وهو أمل الإنسانية المهددة المظلومة في هذه الحياة ، وهي حياة القوة والعنف والتسلط . وإن الله يحب العدل والعدالة ، ولا بد أن ينصر عباده

المظلومين في هذه الحياة ولا بد من إثبات عدالة الله في هذه الحياة ، وأصبحت قضية المهدي من المسلمات المتواترة ؛ لأن الحديث عنها قـد شاع وانتشـر واشـتهر ، ومنكرها والشاك فيها كمن شك في الأمور القطعة المتفق عليها وعلي وجودها ، والشاك في وجود النهار أو قدوم الليل ، أو وجود السـماء أو الأرض ، أو الحركة ، أو الحياة ، أو الموت ما هو إلا منكر لوجوده إنه موجود ولا بد من إقامة الدليل علي وجوده ، إنه موجود ، فما هو الدليل علي وجوده .

والشاك في قضـية المهـدي عليه السـلام إما مصاب في نفسه أو عقله أو جاهل أو متجاهل أو متعصب أو هو رهين التقليد الأعمي لا يتحرر منه ولو انطلق في الآفاق العلميـة ، وما أكثر هؤلاء الذين يعيشون في الرواسب والظلام الفكري وإن ادعي الفضل والفضـيلة والوعي ، ولكنه أعمي في هذه الدنيا يحتاج إلي بصـيرة في أمره ، وتبصير في أمور الدين ؛ لأنه لم يرتق فكرية في أمور هذه الشريعة ، وهذا هو البلاء الشديد. وقد بلينا بهؤلاء الذين لم يفهموا هذا الدين ولم يأخذوا به أدبأ وخلقة ونهجة واقترفوا الكذب وأباحوا الاتهام للآخرين .

وما أفضل قول الصدق ..

وما أفضل الصراحة ..

وما أجمل الكفاءة والوعي ..

واحتدم الحوار بين عقليتين ؛ مشك، ومعتقد عارف ، ولا بد للحوار من الكفاءة العقلية والمستوي العقلي والثقافة والموضوعية

والتجرد من العصبيـة والعنف. والعنف والعصبية والشدة أمارات الفشل والاندحار، وعندها نبدأ بحديث جديد، وبدأنا حديثا وبأسـلوب بارد مهذب ، ودخلنا قضية المهدي بعقلية موضوعية ناضجة ، وبثقافة واسعة، وإحاطة بأسرار الشريعة ، وتحليل للمفاهيم الإسلامية ، وإذا أخذنا ذلك نصل إلي الحقيقة المفقودة وإدراك حقيقة الإمامة وإلي عظمة الإمام ودوره في الأمة، وتدبير شؤون الأمة في هذه الحياة ، والإمامة بعد النبوة ، وحاجـة الأمـة للإمامـة هي حاجتها للنبوة ، والإمامـة خلف عنها ، وتؤدي ما أدت ، وتقوم بأعمال تكفل مسـير الأمة ومسـيرتها في الحياة ، وما دام القرآن باق فالإمام باق ، وهما متلازمان في الوجود والبقاء تشريعا وتنفيذا .

وكثرت الأسـئلة الجديـدة عن الإمام لو طالت غيبة هذا الإمام وامتدت إلي ألف سـنة أخري وألف ثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، فما هو حال هذه الأمة بين الأمم ؟

وما هو دوره عليه السلام ؟

وما هو واجب هذا الإنسان المسلم اليوم ، هل هو السكوت والصبر وتحمل الأذي وتبقي هذه الأمة هكذا ؟

وهل يسقط عنه التكليف وهو يدير نفسه بنفسه ؟

علي الأمة أن تدير نفسها بنفسها وتتحرك وتكتف نفسها وتبني . والسكوت والركود ما هو إلا حالة الموتي ، وهل علي هذا الإنسان

إلا السكوت والصمت والركود، وهل عليه أن يكون ساكتا راكداً منتظرا ؟

وهل السكوت والصمت وتحمل الأذي حالة ارتضاها الشرع،أو أمر بها ، أو دعا إليها في يوم ؟

وهل ورد نص في ذلك ؟

وهل من سنن الإسلام ؟

وهل جاء نص ولو مقطوع السند في استحباب السكوت والصمت والاعتزال والانفصال والتقاطع والتجزئة والانفراد ؟

وأي نص ورد في ذلك ؟

وأنت عضو في هذا الجسم الكبير ، أنت لا تنفصل عن هذه الأمة ، وعلي الأمة أن تدير نفسها وتعي وتدرك و تغير و تبدل وتسعي للأفضل إن أرادت الحياة والبقاء ، وكيف يبقي هذا الفرد صابرا صامتا ويدعو ربه بالفرج وأن يعجل فرج هذا الإمام المرتقب ويتحمل الظلم ولا يدفع عنه الضيم. كما يقولون ويدعي أن الانتظار ضرب من ضروب العبادة ، ويثاب عليها ، وهل الدعاء والندبة والاستغاثة به هو الأمل وهو العلاج ؟ ومثلنا مثل من يحس بالعطش ولا يفتش عن الماء ، ولعله يعذر عليه ويبقي صابرا ويعيش علي عطش . إنه شيء عجيب . وهل هذا يحقق غرضا للفرد والأمة ، ونحن ومنذ زمن كنا ندعو وكان آباؤنا وأجدادنا من قبل يدعون وهل حققوا شيئا لهذه

الأمـة ، فمـاذا والأمـة أغرقتها الهموم وأخـذتها أمواج الضـلالات وقطعتها الآلام وصارت من الأمم الميتـة ، وماذا لو صبرنا ولو انتظرنا (1) ولانعد العدة أهذا هو عامل القوة ؟

ماذا تصنع هذه الأمة الراكدة التي أخذتها الأخطار وتهددها بالسقوط والاحتضار.

إن غيبة الإمام المهدي لو امتدت إلي ألفي سنة قادمة أو أكثر عشرة آلاف سنة فهل تدخل في المستحيل اللامعقول والاستبعاد وهي لا تزال في دورالامكان ثم حدود المعقول لأنها مدة محدودة قد يعيش إنسان ويعمر غيره .

قضـية الإمـام المهـدي وجوده وبقـاؤه وغيبته وسـبب هـذا الخفـاء وظهوره ودولته والإيمـان بـذلك هل هي قضـية قام عليها الإجماع عند المسـلمين فيؤخذ بها ؟ أو هي قضـية تدعمها النصوص والبشارات والروايات الواردة عند الفريقين فقط فيؤخذ بها ولا يمكن التردد فيها ؟ أو هي قضـية يـدعمها العقل ، وإذا كان هناك دليل عقلي فما هو؟ فلا تعبد ولا تقليد في الدين خاصة في الأصول ، أما إذا قلنا إن قضـية الإمام المهدي عليه السـلام مسألة تعبدية ، أو هي قضـية اعتقادية جزء من الإمامة والنبوة ولا تقليد فيها فتحتاج لاسـتدلال علي الثبوت والإثبات ، فهذا ليس من الإسلام قطعا ، وهل الإيمان بوجوده وبقائه

1- حتي قيل عنا الأمة الانتظارية أو المنتظرة .

وطول عمره وإمامته ورعايته للأمة ، مسألة تعبدية يؤخذ بها تعبدا ؛ لأن النصوص الكثيرة ساندتها والإيمان بها كالإيمان بالغيبيات والتكوينات ، كالإيمان بالملائكة ، مسألة تعبدية ؟ وهذه وتلك علي خط واحد من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وهذا لاتقبله عقلية اليوم، وهل قضية الإمام المهدي عليه السلام قضية إلهية ، وهي جعل إلهي وليس للآخرين تغييرا وتبديلا، وليس للأمة دخل في معرفتها وتحليلها أو تحديد زمان خروجه عليه السلام ، أو الإعداد والتحضير لهاوالاستعداد ، أو معرفة المقدمات والعلامات ، أو هي متوقفة علي الإذن بالخروج والحاجة والوقت المناسب لذلك ؟ وإذا قلنا إن الإمام ما هو إلا استمرار للنبوة في الأرض والإمام إمام ليس علي نفسه إنما هو إمام الأمة ، وهو للآخرين ، والمهدي إمام كما تزعمون فعليه القيام بدوره في قيادة الآمنة والسير بها إلي ساحل السعادة ، أليس كذلك ؟

وهو أعلم بشؤونه وأمزجة وشؤون الأمة كثيرة ، وهي مختلفة في كل زمان ، فلماذا هذه الغيبة ؟ وما أحوج هذه الأمة إليه وهي تعيش التخلف والضعف والاختلاف والضيعة بين الأمم، أليس هي كذلك ؟

ماذا يقال في رجل آمن بالإمامة (1) ليس بهذا العدد، معناه آمن بكل الأئمة إلا المهدي عليه السلام ، كما عليه شبابنا المثقف ، فهل هذا تجزئة للإمامة ، أو هذا انحراف عن الخط الإسلامي وقوانينه ..؟

1- آمن بأربعة أو آمن بخمسة أو أمن بسبعة .

وتطور الحـديث إلي القول بضـرورة الإيمان بالمهدي عليه السـلام ، واعترض شاب آخر حديثنا وتناول جانبا ودخل في مسألة لاتقل أهمية عن المسائل السالفة ، وهي : إذا كان كتاب الله بين أيدينا وسنة الرسول لا تزال ، وهذا ما صدر عن هشام مع الإمام أبي جعفر (1) وفي ذلك ما يكفي الأمة ويسد حاجاتها الاجتماعية فبماذا يأتي الإمام المهدي لو خرج ، هل يأتي بشـيء فوق ذلك ويغير ما جاء به جده من تشـريع وأنظمة ؟ وإذا كان الإسلام تكفل بكل حاجات البشرية ، وهو دين الإنسانية ، فبماذا يأتي الإمام المهدي لو خرج ..؟

هذا ما دار بيني وبين هذا الشاب المثقف حول المهدي عليه السلام .

1- كما في البرهان في تفسير القرآن .

بداية الحديث

وبـدأت الحـديث ، وكان مبتـدأ الكلام وبدايـة الانطلاق مسألـة الإمامـة والحاجة للإمام ، حاجة الأمة للإمام كحاجتها للنبوة ، هي الحاجة للنبوة ، وقضـية الإمام المهـدي هو الخبر، وحول المهـدي عليه السـلام يـدور الحديث ، وقضـية الإمام المهدي عليه السـلام مسألة ابتداء وانتهاء، وبداية وغاية ، فإذا نحن اسـتطعنا أن نضع المبتدأ في البداية لأنه المتحدث عنه وهو بداية الحوار وهو لولب الحديث عندها استطعنا أن نـذكر الخبر لأن المخبر به والمتحدث عنه هنا وهناك وفي كل الصـفحات التالية وهو القضـية اللازمة والتابعة والمتعلقة بالإمامة ، وهي والنبوة في خط واحد لا فرق بين هذا وذاك إلا بالوحي.

آل النبي هم النبي ، لكنما فرق بينهم بالوحي فتفرقوا، وحاجة الأمة الإمامة كحاجتها للنبوة ولا اسـتغناء عنها سياسـيا واجتماعيا رغم التطور الاجتماعي.

ص: 44

ومسألـة الإمامـة وإثباتهـا والحاجـة للإمام في كل عصـر وفي كل دور من أهم المسائل الإسـلامية الكبري، وهي ملازمـة وباقيـة في حياة المسـلمين بالأمس واليوم وفي غـد. وقد أثبت الفكر الإسـلامي إن الأمة لاتسـتغني عن الإمام في كل عصـر ، وهي ليست قضـية كانت ثم انتهي دورهـا كمـا قيـل ، أو يقـال ، أو اختلف فيهـا المسـلمون ومن أجلها وقع الخلاف والاختلاف ومضـي زمانها وانتهي مفعولها ، واليوم المسـلمون في غني عن إمام ومسؤول وراعي ، كما حاول البعض أن يتوهم أو وقع في هـذا الوهم ، ودفع هـذا الوهم هو حاجة المسـلمين وعدم استغنائهم عن إمام عدل وهو أمر يعود للمسلمين أنفسهم وهم يدفعون هذا الوهم ؛ لأن الإمامة هي تسير حياتهم العامة وفيها صلاح الحياة السياسـية ؛ لأن الإمام مسألة زعامة وقيادة عامة وهذه القيادة هي مسؤولة عن نجاح المسـلمين في كل جوانب الحياة وهي التي تأخذ بهم نحو الرقي والتكامل وتدفع بهم للأفضل وتحقق لهم أروع النجاحات في مختلف الميادين ، وتجني لهم أروع الثمار، وهي التي تصون المسلمين من كل خطر يهدد وجودهم وترسم لهم خطوط التطور، وهي تجمع الشمل، وتحقق وحدة المسلمين حول هذه القيادة الواحدة صفا ، وهي لا تزال أمة تحتاج للقائد العادل والقيادة الحكيمة والإمام الشرعي ليرعاهم ويسدد خطاهم في مسيرتهم نحو التكامل في جميع جوانب الحياة .

وإذا نحن قلنا : إن الإمام هو خلف للنبوة والإمام عليه السلام بعد النبي صلي الله عليه واله

هو النبي في كل تصـرفاته ، وإذا قلنا : إن الأمة هي بحاجة للأفضل، وهي بحاجة للأعلم قلنا إن الأمة حاجتها لعلي عليه السـلام كحاجتها للإمام الحسـين عليه السـلام ، وكحاجتها للجواد والصادق عليهما السـلام ، وكذلك الإمام المهدي عليه السلام وكلهم بمستوي واحد وفي خط واحد، وكلهم علي نهج واحد ووجودهم اسـتمرار للنبوة ، وكلهم خط واحد هو الخط الذي سلكه الرسول صلي الله عليه واله من قبل ، وهو الخـط المعبـد تسـلكه الأمـة ، وإذا قلنـا إن الاعتراف بإمامـة علي عليه السـلام وإنها حق، وإن الأمـة اعترفت به وأجمعت عليه قلنا إن الاعتراف بإمامة المهدي عليه السـلام حق وبينهما تلازم ، والإيمان بهذا يلزمه الإيمان بهذا، والإمامة وحدة متكاملة لا تتجزأ، وإن الأمة لا تسـتطيع الشك والتردد به إلا إنه إمام لم يمارس دوره القيادي العلني في هـذه الأمـة ، هـذا هو الصـحيح ، وهو الـذي ندخل فيه في حديثنا وبموضوعية وجرأة وصراحة .

اللقاء الأول - البداية في الحوار

واشـتد الحوار جدلا في قضـية الإمام المهدي عليه السـلام ، فيري هذا الشاك (الشاب المثقف) ، كما يزعم بأنها قضـية ليست من القضايا الإسـلامية ، ولكن حاولت الحديث في البداية علي إنها قضـية جوهرية إسـلامية ؛ لأنها من متعلقات الإمامة ، وهي آخر حلقة من حلقات سلسلة الإمامة ، وهي الحلقة الثانية عشر، ولا انفصال لها ولا تجزئة لهذه الحلقات للتلازم ، وهو خاتم الأئمة ووارث الأئمة السابقين عليه ، وهو الإمام الخاتم والآخر، وقضـيته جزء من كل ، وإسـقاطها والتوقف والتردد فيها معناه تجزئة الإمامة ، والإمامة سلسلة متكاملة تبدأ بعلي عليه السـلام وختامها بالإمام المهـدي عليه السـلام ، وهذا ما بشـرت به أحاديث المسـلمين ، والتوقف في الروايات معناه هدم للأحاديث الناطقة بأن الأئمة بهذا العدد، وإن خلفاء محمد من قريش، وهم اثنا عشـر ، فما هو الموقف في ذلك ، هل تحول الأئمة الأربع ، أو لست أو لثمان وتتوقف، ولماذا الذهاب لذلك ؟ ولماذا هذا التلاعب والتأويل

ص: 47

والتحريف ولا مبرر له، وبادرني أحد الشباب قائلا : إن قضية الإمامة بهذه السلسلة – اثنا عشر – لا زيادة ولا نقيصة ، وإن المهدي إمام، وإنه سوف يخرج ويمارس أعماله في إمامة الأمة والإيمان بذلك، والاعتقاد بهذه المسألة علي أنها مسألة تثبتها النصوص وقوامها الروايات والأحاديث ، المروية المسطرة في كتب لم يقدر لها أن تدرس دراسة موضوعية ليحذف منها الضعيف الموضوع، وفي هذه الأحاديث ما لا يقبله العقل الحديث ، وإذا كانت قضية المهدي عليه السلام مسألة أساسها الروايات فإنها لا تصلح دليلا ولا تثبت شيئا ، فإذا توقفنا عند الأحاديث لأن فيها ما لا تطمئن له النفوس ولا تصدقه العقول، فإذا ترددنا في هذه الأحاديث وإذا طرحنا هذه الأحاديث كان هدرا وطرحا لهذه القضية من جذورها ؛ لأن الأحاديث ورواتها وأسانيدها ومصادرها بحاجة لدراسة وتمحيص ونقد، فهي بنفسها أحاديث سقيمة وضعيفة وقابلة للتأويل والتحليل، وحتي رواتها تدور حولهم الشبهات ، وقد وجدنا حولهم نقاط تعجب واستفهام وعلامات ترقيم جديدة قد غفل عنها القدماء ، فهي روايات مضطربة احتج بها كل فريق علي إثبات أن المهدي عليه السلام هو ما يراه هو وآمن به وما ورد فيها ما هو إلا مجملات وعبارات مغلقة غير واضحة الدلالة والمدلول ، وهي روايات لا تثبت الإمام المهدي عليه السلام عينا وذاتا ونسبا وزمانا ، وما ورد فيها المهدي عليه السلام وكلمة المهدي تنطبق علي كل رجل هداية داع للهدي ، فهي وإن دلت فلا خصوص فيها علي أن المهدي هو

ابن الحسن من ذريـة علي وفاطمـة عليهما السـلام ، فهي لاتحمل البرهان المنطقي للناس كافـة أو يؤخـذ بها حجة مقبولة ، ولا تزال قضـية المهدي من القضايا المتأرجحة بين طائفة وأخري عند المسلمين ،وكل يدعي الحق وينسب البطلان والكذب والوهم لغيره .

وانتقل الحديث إلي حوار جديد بأن الله حجة في أرضه، ومتي خلت الأرض من النبوة في الزمان السالف ، ومتي خلت الأرض من الإمامة اليوم وفي غد لم يخل زمن من حجة له علي عباده ، وهو حجة الله ، فالإمام المهدي عليه السـلام وقضيته حقيقة إسلامية ولا بد من ظهوره بالأمـة ، ولا بد له أن يقوم بالمسؤولية ويتولي القيادة، وهو حجة الله في الأرض لصـيانة البشـرية من الظلال ، وهو خلف جده في الأرض ، وهو القائم ، وهو الإمام الـذي حمله الله الرسالـة الإلهية ، وهو الذي يقوم بما قامت به الأنبياء من قبل ، وهو مواصـلة لنضال الأنبياء عليهم السـلام ، ودعوته الشاملة الاصـلاحية دعوة لإكمال ما جاء به الأنبياء علم ، وهي إصـلاح البشـرية جمعاء والدنيا شرقا وغربا .. هذه رسالته، وهـذا ما نعتقده ، وهو الذي يسدده ويمده بالقوة ويسانده التوفيق ويظهره علي الدين كله . ويمكن له في الأرض ، ويبصـره ويهديه السبيل ، ويمكنه بقوة لانعلم بها تفصـيلا، وليس ذلك بمحال ولا مسـتبعد، فقـد نصـر الله أنبياءه من قبل عندما دعوا إلي الله رغم قلة العدد وخذلان الناصـر ، وقـاموا بالمسؤوليـة وقابلوا جبابرة الأرض وطغاة الـدنيا ، وأدوا رسالتهم، وهو خليفتهم الـذي يحقق رسالـة الأنبياء عليهم السـلام وخليفة

جـده صـلي الله عليه واله واسـتمرار لوجود الإمامة بعد أبيه وجده والتوقف فيه أو الشك يلزم التردد في النصوص ، والأخذ بطرف من الإمامة وطرح الآخر هدم لمفهوم الإمامة ، ومن باب الملازمة نقول بإمامة المهدي عليه السلام .

فإن القول بإمامة علي عليه السلام يلزمه القول بإمامة ولده الحسن؛ لأنه نص عليه ، والقول بإمامة الحسن عليه السلام يلزمه القول بإمامة أخيه الحسـين عليه السـلام ؛ لأنه خليفة ، وهكذا أحدهم ينص علي من بعده ؛ لأنه إمام، ورفض إمامة المهدي عليه السلام يلزمه رفض وطرح ، ما ورد عن الحسن العسـكري عليه السلام وإذا لـم تأخذ بما ورد عن الحسن العسكري عليه السلام معناه قلنا بعدم إمامته ، ولـم تلتزم بما قاله وصدر عنه وصرح به، ونستدل علي إمامته بالأبدية العقلية وهي كما صورها العلامة (1).

1- الباب الحادي عشر لأن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم ، فراجع .

اللقاء الثاني - نماذج من الاستدلال

اشارة

وبـدأنا نسـتدل ، والسامع لا يزال في مرحلة الشك والتردد (1) ، والشك جعل سـلبه وانتزاعه إذا عاش واسـتقر وأخذ له حيزا من الذهن صار عقيـدة وصار يقينا ، وصار مقبولا ، وتحول الشك إلي رؤيـة واقعيـة ، وبـدأت أقـدم له نماذج من الأدلة منقولة عن المنكرين والباحثين ، فإن قضـية المهدي عليه السـلام أتعبت المفكرين من المسـلمين عامة ، وخاصة علماء هذه الطائفة ، وسـروا أقلامهم في تدوين الأدلة ، وقدموا أدلة لا يمكن الاسـتهانة بها علي وجود الإمام، ووجوده حتي اليوم وإن طال الزمن وامتد العمر، وإن خرج عن حدود المألوف ، أو عن الحد الطبيعي رغم ذلك ، وهذه هي النقطة الصعبة ، وهي فيها وحولها الجدل، وبدأ الشك وثار الغبار، وهنا نقطة الخطر ،

1- فهو شاك وأنا معتقد، وعقلية الشاك مضطربة وعقلية المعتقد مؤمنة مطمئنة.

إنه إمام موجود ويجب الإيمان بوجوده والانتظار لخروجه والتوفيق النصرته لأداء رسالته .

هذا أحد العلماء من علماء النجف الراحلين وهو محمد حسين المظفر باحث وكاتب ومفكر في قضايا العقيدة وأصولها، ومدافع عنها، ورد الشبهات الكافرة ، يقول : « وبهذا الدليل المنطقي وهو يركب شكلا منطقيا مؤلفا من صغري وكبري ونتيجة وقضية مؤلفة من نقاط أربعة مقبولة منطقيا ولكن فيها صعوبة تحتاج لعقل يدرك هذا التسلسل من المقدمات :

المقدمة الأولي :

إن العالم بحاجة لإمام مصلح يغرس الأمان والثقة في النفوس ؛ لأن الله لا يترك العالم مضطربا .

المقدمة الثانية :

الكتاب والسنة غير وافين في العلم والتطبيق .

المقدمة الثالثة :

كان علي الله اللطيف أن ينصب للأمة إماما يدعوهم ويرشدهم.

المقدمة الرابعة :

الإمام الصالح واجب عقلي في هذا اليوم، فالإمام الهادي المرشد موجود في هذا اليوم لا محالة » (1) .

ثم ينتقل هذا المفكر إلي تساؤلات جديدة من هو ذلك الإمام في هذا اليوم؟

1- راجع : مبحث في الأمام والإمامة – طبعة النجف .

اللقاء الثالث - حوار مع المشتكين في الإمام والإمامة

اشارة

وبدأنا حوارا جديدا مع المشككين ، وحتي إذا قلنا بوجوده عليه السلام فكيف نقول بإمامته اليوم، وإنه إمام بعد أبيه ، وإن إمامته لا تزال . وهو إمام مفروض الإمامـة علي الأمـة ، وتجب طاعته واتباعه ، فما هو الـدليل علي إمامته ؟ والقول الفصل إنه لم يرد نص عليه من قبل الرسول ، ولو كان لورد إلينا، وقطعا ليس له صلة بالرسول صلي الله عليه واله إلا النسب فقط ، وبينه وبين الرسول فجوة زمنية طويلة ..

أما الرسول صـلي الله عليه واله لـم ينص عليه قطعا ، ولكنه أخبر عنه إخبارا مبشـرا به ، وعينه ، وبين أوصافه وصـفاته ودولته وخروجه بالأمر. وكان الجواب عن ذلك إذا كان النص دليلا في إثبات وثبوت الإمامـة فإن أباه الحسن العسـكري عليه السـلام هو الـذي نص عليه بالإمامة ، وهو دليـل مقبول يؤخـذ به ، وهنا ننطلق في آفاق فكريـة واسـعة ، ونـدخل في قضايا منطقيـة ، فالإيمان باللازم تصـديق بالملزوم والاعتقاد بالشيء وإنه حقيقة ثابتة يقتضي الأخذ بكل لوازم ذلك الشيء وبيان ذلك :

نحن إذا آمنا بضـرورة الإمامـة بعـد النبوة ونحن إذا صـدقنا الرسول في نبوته، وأخـذنا أقواله في حق علي عليه السـلام ، وإنه هو المقصود في مـدحه وأحاديثه وإشاراته وبياناته وفيه مثاله ، وإنه هو المرشـح للإمامـة بعده بلا منازع ؛ لأنه لا مماثل ولا مثيل له، فهو أمر متعين وبكفاءته لذلك هو إمام بعد الرسالة.

ونحن إذا صـدقنا عليـا وأخـذنا بهـديه وكـان إمامـا وعلمـا ومنـارا للسالكين دروب السـعادة في الحياة علينا أن نأخـذ بقوله وإرشاده ونواهيه وزواجرهوأوامره وما ورد عنه . فإذا ن علي ولديه الحسـنين عليهما السـلام أخذنا به دليلا، وإذا نص الحسـين عليه السـلام علي ولده السجاد عليه السـلام بأنه إمام بعد أبيه الشـهيد ، وإذا نص السـجاد عليه السلام علي ولده الباقر عليه السلام صدقناه كان الباقر عليه السلام هو الإمام بعد أبيه ، وإذا نص الباقر عليه السلام علي ولده الصادق عليه السلام ، وإذا نص الصادق عليه السلام علي ولده الكاظم ، وهكذا .. وإذا نص الحسن العسـكري عليه السـلام علي ولـده المهـدي عليه السـلام إنه إمام هذه الأمة من بعده ، صدقنا قول الحسن العسـكري عليه السـلام وأخذناه دليلا، والتزمناه حجة مقبولة ، والنتيجة من ذلك النص إن المهدي عليه السلام هو الإمام والحجة بعد أبيه.

وإذا نحن ترددنا في ذلك هـدمنا الإمامة وجرأنا الإمامة نؤمن ببعض ونكفر ببعض مثلنا مثل من يأخذ بعض الكتاب ويكفر بالبعض الآخر ، ولهذا أشارت الآية المباركة « نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ » (1)

1- النساء : 168.

فكيف نؤمن بإمامة هذا الإمام ونرفض إمامة من بعده المنصوص عليه من قبله ، وتجزئة الإمامة مسألة خارجة عن الدين ، ورفضنا بعضا وصدقنا بعضا منهم، واعتقدنا بإمامة البعض دون الكل ، وهذا هو هدم الإمامة وتجزئة الإمامة ، وهو خلاف الحق، فالإمامة مسألة متكاملة الأطراف تبدأ بعلي عليه السلام وتنتهي بالمهدي عليه السلام ، مسألة كلية لا تتجزأ عددا معدوداً اثنا عشر إماما لا يمكن تجزئة ذلك لا عددا ولا فكرة ، ولا نأخذ بطريق دون الآخر، فالإيمان بعلي عليه السلام إمام أولا يلزم الإيمان بالمهدي عليه السلام إمام هذه الأمة ، وهو الثاني عشر ، وهذا هو المطلوب حقا ، أما طول عمره الشريف فهو في حدود المعقول . وقال قائل وقد يقول : إن طول عمر الإمام المهدي عليه السلام لم يقع ولم يحصل لغيره من قبل ومن بعد، رغم ذلك فهو لم يصل لدرجة الامتناع والاستحالة ، والعمر نعمة الله يمد مخلوقاته والموجودات النامية بالقوة علي البقاء والحياة . فقد يعمر إنسان وغيره عمرا طويلا ويعمر أخوان من نسل واحد ومن ظهر واحد وبطن واحدة عمرة مختلفة ، هذا أقل وهذا أكثر، لماذا ؟ الجواب هو من عند الله !

نعم ، لو عمر الإمام إلي عشرة آلاف سنة أو أكثر من ذلك ولم يخرج لإنقاذ أمة جده عندها يتساءل العقل القادم ويكثر السؤال ويبدأ الاستغراب بشكل جديد وعندها يصل لدرجة الامتناع والاستبعاد ، فكيف وهو لم يصل عمره إلا ألف وأما لو تجاوز ذلك لسنين طوال عندها نقول : لا يجوز للعقلية أن تؤمن برجل أو ببشر يعمر عشرة آلاف

سنـة مثلاـ أما لو عمر الإمام المهـدي عليه السـلام إلي ألف سـنة ، فهو لا يزال من باب الامكان وليس هو من باب المسـتحيل قطعا ، وقد حصـل لغيره من قبل ، وحتي في عصـرنا هـذا، وليس ذلك من الأمور الغريبـة أو المسـتحيلة ، ولا تتصادم مع العقل والطبيعـة ، وقـد ألف الكثيرون في المعمرين موضوعا من المواضـيع العلميـة في حقول مختلفة بحثها المحللون من علماء الاجتماع والمعنيون بالطبيعة وشؤون الحياة ، وأسـباب طول العمر وعوامل قصـر العمر مسألة يقف عندها العقل ، هل تتحكم به الوراثة ، أو عوامل المحيط ، أو هناك قدرة غيبية لا نفهمها، أو هي مسألـة تتوقف علي الغذاء والرعاية الصـحية ، أو لا هذا ولا ذاك ، وهي أمور من الله ، وبيد الله ، من شاء أطال عمره وأمده بالحياة.

وقـد قرأنا قاموس المعمرين في الأمم السالفـة ، وهل قرأت حديث المعمرين ، فهل رأيت هذا وذاك كيف طال وقصـر ذاك ، فكيف قد عمر الولـد والحفيـد أطول من عمر الأـب والجـد، وكيف طـالت أعمـار سـكان الجبال أو القارات الباردة ، أو من يعيش في السـهول ، أو تحت الأشـجار، وقصرت أعمار منيعيش في الجزر الحارة ، وكيف طال عمر النخيل والأشجار هنا دون البقعة الأخري ، إنها معادلة يهدمها العلم والوجـدان والمسـيرة البشـرية وتطابق العقلاء. وحتي الـدين فلا ندري كم هي أعمار الأنبياء عليهم السـلام لو قيست إلي أعمار غيرهم، ولا ندري كم عمر نوح عليه السلام منذ ولادته إلي بداية دعوته ؟ وكم لبث في

قومه يدعوهم (1) ؟ إنها مسائل إجمالية يجب الإيمان بهذه القضية علي إيجازها وبساطتها . إن العمر من الله ، والحياة وامتدادها من الله ، لا دخل للصحة والغذاء والهواء والغني والفقر والوراثة ، فقد يعمر الفقير ولا يعمر الغني ، وقد يطول عمر الولد ويقصر عمر الوالد.

ومسألة طول عمره الشـريف أوقعت الكثير في الخطأ والخطيئة ، والشبهة والاشتباه ، والشك والتشكيك ، لماذا طال عمره ولا يدري ولا يفهم ولا قدرة له بأن العمر طوله وقصـره من نعم الله علي العبد ، وهذا من دواعي الشك والتشكيك ، ونتساءل مع هؤلاء مع المشككين وخصوم الإمام، ومع الذين تاهوا في دائرة الشك والتشكيك ولم تنطلق أفكارهم في الآفاق اللامحدودة ليدركوا عمره الشريف سر من الأسرار الإلهية ، فهو الذي جعله آخر أئمة الهدي ، وهو البقية الباقية « بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ » (2) ، ولا يعلم هؤلاء أن العمر وقوة الجسد ومقاومته واستمرارية الحياة لا تتوقف علي الإنسان نفسه ، فنقول للإنسان الطبيب العبقري الذكي الذي يتحكم بالحياة والصـحة والأحياء هل تسـتطيع أن تتحكم في طول عمرك أنت وتضمن لجسدك الاستمرارية والقوة شبابا حيوية قوة صلابة لاتتأثر بالانفعالات

1- مسألة معروفة ذكرها القرآن : « فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلّا خَمْسِينَ عاماً » العنكبوت: 14.

2- هود: 89.

والمتاهات والممرات النفسية ؟

الجواب : أنـا إنسـان ، أنـا مخلوق لاـ أدري كيف ومتي وأين حركـة الحياة ، ولو سألنا المعنيين بالوراثـة السؤال التالي هـذا الولـد هل يعمر خمسـين عاما لأن والده وجده عمرا خمسـين عاما لا زيادة ولا نقصان ؟ قالوا : لا نعلم قد يطول وقد يقصر، لماذا ؟ لانعلم ونحن علي يقين أننا الانعلم وغيرنا لا يعلم ، فهل العمر مسألة وراثية مقطوع بها عمر الولد محدود بعمر الوالد أم ليس بينهما ارتباط وتلازم أو قانون طبيعي ، فقـد يقصـر عمر هـذا ويطول عمر ذاك ، وقـد يعمر الوالـد ولا يطول عمر ولده ، فليس بينهما أي تشابه ، ولعل قائلا يقول : إنها مسألة تتوقف علي الصحة والغذاء والهواء والأجواء الملائمة الخالية من السموم والتلويث ، فهي حياة مادية ، فإذا كان الجو ملائما، وكان الجسد خلوا من المكروبات أو بعيـدا عن العـدوي ، طال عمر الإنسان إذا كان في بيئـة خالية من الوباء والأمراض الفتاكة ، وكانت هناك عناية بالغذاء والهواء والماء والنظافـة والوقايـة والرعاية ، فقد يعمر الإنسان أطول من غيره الذي يعيش في محيط آخر يختلف عنه ، ويسـتمر في البقاء ، نبيا كان أو إمامة أو مأمومة، وبالعكس.

هـذا القول لا دليل عليه ، وهـذا الفرض لا يدعمه علم أو وجدان ، فكم رأينا من بني البشـر في بيئة صـحية ووقاية ورعاية وعمر قليلا وعاش عمر الورود الذابلة التي تفتحت ثم أصيبت بالذبول ،

ص: 58

فهي قضـية بيـد الله ، هو الـذي يهب الأعمار لمن يشاء من الأحياء، ومن كتب له البقاء والحياة يعيش ، فقيرا كان أو غنيا ، ولو كانت مسألة وراثية فرضا لرأينا تشابها أو تقاربا بين أبناء الوراثة الواحدة، بينما الوراثة الواحدة مختلفة في الطول وفصيلة الدم والذكاء واللون والغباء ، لماذا ؟ وكيف ؟ وما هو السر؟

الجواب : أمور لا يـدركها العقل والعلم (من أمور الله وأحكامه وعطائه ونعمه وأفضاله ولطفه وألطافه) ، ولا يقاس هذا علي ذاك ، وإلا لكان عمره الشـريف كعمر أبيه وجـده وأجـداده ، وأعمارهم متفاوتة ، فالحسن العسـكري عليه السـلام عاش ثمان وعشـرين سـنة ، والجواد عليه السـلام عاش خمسا وعشـرين ، فالوراثة هنا لا دخل لها، والمحيط والبيئة والحياة والعناية والرفاه لا أثر لها في طول العمر وقصره ، فالإنسان لو عـاش في بيئـة متخلفـة أو بين قوم مرضـي قـد أصـيبوا فقـد يعيشوا ويبقي حيا ، ولا عـدوي ، ولا أثر، ولا تأثير ، وروايـة نوح عليه السـلام والاستدلال بها قد لا تفيدنا ، وإن القياس بنوح عليه السلام قد لا يثبت لنا شيئا ؛ فإن عمره الشريف قد طال وامتد وما يدرينا قد يطول ويمتد ، فهو أطول من عمر نوح عليه السلام ، ولا يتوقف هذا علي هذا ، وما ندري علي التحقيق كم هو عمر نوح عليه السلام الزمني وعمر الدعوة قطعا. وهذا ما استدل به علماء المسلمين عامة وعلماء الإمامية إن عمره طال كما طال عمر نوح عليه السلام .

وهذا لا يثبت شيئا ؛ لأن عمر نوح رواية كم هو ، وعمر إمامنا أطول

وأطول، وإمامته أوسع وأكبر ، وهـذا ما يصـعب فهمه وتحليله وإدراكه والإيمان والتصـديق به، ويصـعب الاطمئنان ببقائه علي قيـد الحياة ، سيما ووسائل الموت قـد كثرت في عصـرنا هذا، وما يدرينا قد أصابه ما أصاب من فقدان الحياة وهي كثيرة ، لعل قائلا يقول ذلك، ونحن في هـذا الحوار وفي هذا الخط خط التشـكيك ولغة الاحتمال ولكن تهدم هذا الاحتمال بأن وجوده دراية وجدانية ، والاتصال به علي اسـتمرار في أزمنـة متقاربـة ، فقد رآه من رآه ، وأخذ منه من أخذ، أما هذا الاحتمال فهو من أوهام الشاكين وتخيلاتهم ، ولا قوة فيه ، وهو باقي ولا بد من بقائه لأن هـذا الـدين باق ، ولأن هـذا القرآن باق ، وقـد قال الرسول إنهما يردان علي الحوض يوم القيامة القرآن والعترة ، فما دام هذا في الوجود فـذاك معه لاـ يفـارقه ، وهـذا مع هـذا أمر من أمور اللطف الإـلهي ، وأما هـذا الاحتمال وهـذا التصور الـذي لم يصل إلي مرحلة التصـديق به وكل تصـديق بـدايته التصور، وكل مجاز بـدايته الحقيقة ، فالعمر والأعمار والبقاء والحياة واسـتمرارية البقاء من اللطف الإلهي يعطيهـا لمن شاء ويحرم منها من يشاء ، لهـذا الجسم ولـذاك الجسـد ، فأيهما أكثر اسـتمرارا في الحياة ، المؤمن أو الكافر، وأيهما أقوي في مواجهـة المتـاعب والكوارث والظروف اللاطبيعيـة هـل هو النبـات أو الإنسان أو الحيوان ، وأيهما أقوي ، سل عقلك ، وحكم إنسانيتك إن كنت إنسانا ، فقد تجد شجرة أو نخلة تعمر مدة طويلة أطول من غيرها وهي أطول النباتات وأقوي وأشد وأكثر قوة ، وكم قرأنا في المجلات

عن الأشـجار والنخل ذات الأعمار الطويلة ، وكم رأينا من المترفين يعيش برفاهية العيش وعمره قصـير، وكم رأينا فقيرا أقوي وأشد وأصلب ، فلا غذاء ولا عناية ، لماذا اختلف هذا عن ذاك ، أرأيت غصنا عاش علي الماء الجاري، ورأيت شجرة برية أقوي وأصلب وأطول وأشد مقاومة للرياح والتيارات والظروف اللاطبيعية ، لماذا كل ذلك ؟ ما هو الجواب لا تعلم ، وأنا لا أعلم ، وكلنا لايعلم ، فلنترك الأمر إلي الله لأننا بيد الله ، ونعود إلي حـديثنا عن الإمام الباقي المعمر المنقذ المؤمل ، وإن طال عمره فهو لم يصل لدرجة الاسـتحالة العقلية ما دام العمر نعمة من الله يمـد مخلوقاته والموجودات الناميـة القوة والبقاء والقدرة علي مواجهة الحياة ، فقد يعمر إنسان وغيره عمرا طويلا، ويعمر أخوان من نسل واحد، ومن ظهر واحد ، وبطن واحدة عمرا مختلفا ، هذا أقل وهذا أكثر، لماذا ؟ الجواب هو من عند الله .

نعم ، لو عمر الإمام إلي عشـرة آلاف سـنة أو أكثر من ذلك ولم يخرج لإنقاذ أمـة جـده عندها يتساءل العقل القادم ويكثر من السؤال هذا ، ومثل عصـرنا فقد قرأنا عن المعتمرين وأعمارهم، فقيل : إن سـكان القارة الفلانية ، وقيل إن سـكان جبال كذا ، وقيل إن الرجل الذي يعيش في المناطق الباردة ، وإن الإنسان الذي يعيش في جوكذا، وأن الفرد الذي قدر له أن لا يسمع فيه ما يؤلمه كل ذلك هي وسائل لبقاء الإنسان عمرا أطول من غيره ، قالوا لنا هو أطول عمرة من أبيه ومن جده ومن آبائه وأجداده ، وحتي جميع أفراد أسرته ولم يسبقه نبي من قبل

ولا وحي نبي إلا بعض الشواذ النادرين من البشر، ويروي ذلك رواية وحتي نوح عليه السلام ففي رواية القرآن وإخباره أنه عمر أكثر من ألف سنة . أما الإمام المهدي عليه السلام فقد عمر أطول منه ، وعمر وطال عمره، وامتد عمره بهذه المدة الطويلة رغم ذلك فهي مسألة قابلة للنفي والاثبات ، ويدور بين الوجود واللاـموجود ، وبين الحياة والوفاة وبين البقاء وبين الموت ، فقد يحتمل فيه الموت والحياة فهو إما من الأحياء أو من الأموات ، رجل بشر ولا نستطيع أن نجرده من البشرية ، فهو ولد لأب . وهو إنسان له أم وأب ونسب ومزاج وكل من له صلة به من قبل لم يعمر هذا العمر الطويل.

رغم ذلك وعلينا الاعتقاد ببقائه ووجوده وقد نشك بذلك أنه أدركه الموت أو أصابته المنية والآلام والعوارض، وهذا محتمل في حقه ، كما نحتمل الحياة نحتمل الوفاة ، نقول لهؤلاء : إن طول عمر الإنسان وقصره وحياته ووفاته وبقاءه وامتداد عمره مسألة لا يتحكم بها العلم والعقل، والإنسان نفسه لا يستطيع أن يدرك كم بعمر وكم يكون عمره ، وهل يستطيع العلم الحديث أن يضع تقديرا مضبوطا إن هذا المولود يعمر كذا، وهذا المولود يعمر كذا، وهذا المولود يعمر أطول من أخيه وأبيه لأنه كذا، وهذا يموت غدا وهذا يستمر في الحياة ، وهنا يطلقها القرآن وبصراحة بيده الموت والحياة ؛ ولذلك نجد البشر مختلفين واضحا في العمر، وحتي في المستويات الجسدية ، وحتي في الصور والهياكل، وحتي في الشمائل والألوان والسمات ،

وحتي في العقليات رغم الوراثة الواحدة والمحيط الواحد، فهذا قصير، وذاك أطول الناس في زمانه ومحيطه. وهذا عمر عمرا طويلا أطول من عمر أبيه وجده وأبوه أقل منه، وجده كان أطول عمرا ، ما هي الأسباب والعوامل ؟

الجواب : أمور خفية ، وهنا لا نستطيع الإجابة علي هذه الأسئلة وغيرها ، وحتي العلم وحتي المختبرات ، فإن المختبر لا يستطيع أن يحلل فسلجة هذا الفرد ليقدم له وصفة مضبوطة أن يعمر خمسين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام وخمس ساعات وخمس دقائق ، ثم تقف الأجهزة ؟ وهل ارتقت البشرية لهذا الحد في هذا اليوم لتتحكم بالأعمار والحياة والموت ؟ إنها أمور غيبية ، وهي بيده تعالي ، هو الذي خلق الحياة ، ولانعرف من الحياة إلا القليل (1) ، فالناس مختلفون وهم كذلك، وستبقي المجموعة البشرية مختلفة ومتفاوتة في أعمارها ولكن من هو أطول الناس عمرا ؟ ومن هو أقصر الناس عمرا ؟ ومن هو أطول الناس قامة ؟ ومن هو أقصر الناس قامة ؟ هذه وغيرها من الأسئلة ، فإن العقل لا يستطيع الخوض فيها ولا الوصول النتيجة .

نعم، هناك تنبؤات علمية وهي من باب الظن والاحتمال أن البشرية في السنين القادمة تقصر أعمارها لسبب أو غير سبب ،

1- « تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » الملك : 1.

أو لعوامل نفسـية أو عوامل محيطية ، أما أن الأمـم السالفة كانت أطول أعمارة ، فهي روايات و حكايات ، فهناك أقوال وحكايات وقصص أن الأوائل كانوا أطول أعمارا، وهذا ما ورد علي لسان علي عليه السلام وغيره . يقول : « دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ؛ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَ لَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا » في خطبته الشـهيرة ، ولكن كيف كان القـدماء في العصور السالفـة أطول أعمارا وأكثر ديارا منا، ونحن صـرنا بهـذا العمر القصير كما ورد أعمار أمني بين الستين والسبعين (1) .

فالخلاصـة : الأعمار من حيث الطول والقصـر مسألـة بيـد خالق الإنسان والحيوان ، فقد يهب العمر المديد لهذا، وقد يحدد عمر هذا بمدة محدودة. وهذا ما نجده بين الأنبياء والأئمة عليهم السـلام ، فهم مختلفون في الأعمار، ونحن إذا اسـتبعدنا بقاء الإمام المهدي عليه السلام إلي هذا اليوم لأنه طال عمره (2) .

1- حديث نبوي مشهور.

2- وقد ألف العلماء في المعمرين الكتب الكثيرة ، ومسألة العمر ليست محدودة . انظر ـ مثلا : كتاب المعمرون للسجستاني.

المعمرين القدماء في التاريخ

فإن عمره عليه السلام أقل من عمر من ذكرهم التاريخ من المعمرين ، فقد وردت سلسلة أسماء قد عمروا أكثر منه ، فإن عمره أقل من عمر نوح عليه السلام ، وهي مسألة رواها القرآن ، فإذا اعتبرنا ذلك مستبعدا ويتصادم مع العقل الحديث معناه أنا نعتبر رواية القرآن مسألة تتصادم مع العقل ، فعلينا إسقاطها والشك فيها . وإذا استبعدنا أن يعمر الإمام المهدي عليه اسللام هذا العمر الطويل معناه أنا نرفض ما نقله القرآن ، وأقل ما روي في عمر نوح عليه السلام ألف وثمانمائة سنة (1) ، ولم يمض علي الإمام المهدي عليه السلام هذا العمر لنشك به وبوجوده ونعتبره أمرا يتصادم مع العقل الحديث هذا ولم يمض عليه منذ ولادته إلي اليوم إلا ألف وذلك أقل بكثير من عمر نوح عليه السلام ، فأين التصادم ، وأين القضية اللاعقلية هنا، وأثار المشككون المتأخرون وفي عصرنا كثيرا من

1- هكذا ذكر في كتب التاريخ .

الأسـئلة ، واشـتد الحوار بين فريقين : بين قـائلين بوجوده وإمـامته ، وهـم الـذين يـأملون ظهوره وقيامه بالأمر وبين الشاكين في ذلك ، وهـم الذين برون قضية المهدي ليست قضية واقعية وليست لها حقيقة إسلامية .

وبدأ أحد المشككين بالسؤال التالي قائلا: أثبتوا لنا وجود الإمام الغائب بأدلة عقلية .

وقال الآخر : كيف يمكن بقاء هذا الإمام علي قيد الحياة رغم هذه الطوارئ ؟

وكيف يبقي علي قيد الحياة هذه المدة الطويلة ؟

وقال ثالث : ما ثمرة هذا الاعتزال والانطواء والتستر والخفاء ؟ وهل يحقق شيئا له وللآخرين ؟ وهل تطول هذه الغيبة ؟

وقال رابع : إن المهدي لقب وعنوان عام لكل من يدعو الآخرين ويهديهم ، فكيف تجعلونه لمحمد بن الحسن العسـكري دون غيره ، ونري اسم المهـدي يتردد عنـد غيرنا وهو يحمل الفكرة نفسـها ، ويـدعي الادعاء نفسه ، ويعتقـد أنه إمام يظهر في زمان معين ليحقق العدالـة في الأرض وتسعد البشرية بقيامه ؟

إذا فكرة المهـدي ليست هي للمسـلمين وإنما يقول بها غيرنا ، وهي فكرة قديمة كانت قبل الإسـلام وعند غيرنا من الملل ، إذا كيف أصـبح المهـدي هو ابن الحسن العسـكري ومن ذريـة فاطمة عليهما السـلام ، وآخرون يرون أنه المسـيح، وآخرون يرون أنه موسـي ، وآخرون ... واشتد الحوار والجدل بين الفريقين ؛ بين المتيقنين وبين الشاكين النافين له

ولوجوده والقائلين باستبعاد بقائه ،وهم الذين يرون فكرة المهدي أسطورة لا واقع لها وليست حقيقة إسلامية ، ثم تطور الجدل إلي اتهامات وشتائم ، وقرأنا فصولا جديدة وصفحات مختلفة وظهرت مؤلفات ونشرات وبيانات ودفاع من هذا الجانب ونفي هذا وذاك .

ولا ـ يزال الحوار واتسع الجدال ، وكلا الطرفين موجودان وعندنا وفي البلاد الإسلامية ومع الأسف أن كلا الفريقين لم يفهم قضية الإمام المهدي عليه السلام فهما مقبولا ، ولم يدركها علي واقعها، ولم يتعمق بها ليدرك جذورها وواقعها الإسلامي. وقضية الإمام المهدي عليه السلام قضية جوهرية من واقع الإسلام ، ومن لم يؤمن بعالم يؤمن بالإسلام بكامله ، ولم يع الإسلام حق وعيه وهي تحتاج لدرجة من الإيمان ثابتة لا تتغير .

كان هذا اللقاء هو اللقاء الثالث بين الفريق الأول والثاني .

ص: 67

اللقاء الرابع

مرحلة جديدة من الحوار:

وبـدأنا مرحلـة جديدة من الحوار وبلغة أكثر صـراحة ووضوحا ، ودخلنا في صـلب الموضوع، وقاربنا مرحلة من مراحل اليقين . الإمام إمام علي الأمـة وللأمة ، وإنما خلق ونصب ليقود الأمة وينفع الأمة ويسوسـها وليس هو إماما علي نفسه ، ومن أجل نفسه وذاته ، هكذا قال هذا الشاك ، قلت : هذا صحيح وهو الصواب ، إذن ما الفائدة به اليوم لهذه الأمة والأمة ما أحوجها إليه ؟

وما هي ثمرة هذا الإمام الغائب وهو لم يقدم نفعا لأي فرد من أفراد الأمة ولم تصدر منه فتوي ولا إرشاد لها ولا قضاء ولا عطاء فكري ؟ إمام مسـتور مختفي ولم يره أحد اليوم، خصوصا في عصـرنا ، ولا ينتفع به أحد من المسلمين ، وحتي البشر جميعا هذا ما قيل ويقال . وما صدر وما سمعناه من الآخرين ؛ فقد قال ابن تيمية في

محكي منهاج السنة : « مهدي الرافضة لا خير فيه ؛ إذ لانفع ديني ولا دنيوي لغيبته ».

وكثرت موجات من الشك ، وهناك لغة معينة للمشـككين تختلف عن غيرها بمدلولها ، فقال هؤلاء المشـككون فيه : كيف التأكد من حياته اليوم وعدم وفاته ، وما يدرينا أن الموت أدركه فهو بين الحياة والوفاة.

وكيف نعلم بظهوره إذا صـح وجوده وبقاء حياته إلي يومنا هـذا وإلي غـد لتـدركه أحفادنا ، فكيف نعلم زمانه ومكان ظهوره ؟ وهل تـدرك الأمة سـنة ظهوره أو الشـهر أو اليوم أو ساعة خروجه ؟ وكل ذلك غير مقطوع به ، ولم نعلم بظهوره ليؤدي مهمته وينشر رسالته المقدسة في الدنيا.

والسؤال الـذي يـدور في ذهن المشـككين وحتي في ذهن المعتقـدين به : هل له مكان معلوم ؟ وقطعا ليس له مكان معلوم ، وأما روايـة أنه يكون عليه السـلام في جزيرة خضراء أو في جبل قاف أو في ... إنما هي حكايات وقصص ، فقد تكون حكاية صادقة أو هي تحتمل الصدق أو الكذب ، ويتردد السؤال الجديد : أين يكون الإمام المهدي عليه السلام في غالب الأوقات ؟

والجواب : لا نستطيع القول ولم نحط بذلك خبرا ، كيف الوصول إلي ساحة اليقين وكيف الإذعان والاعتقاد بوجوده والانتظار لظهوره، كيف الوصول إلي ذلك والطريق طويل ؟ وكيف نقطع المسافة ونحن

الآن عند باب الشك وفي الطريق أشواك وعقبات ورواسب وموروثات تحدرت إلينا وعشناها زمنا طويلا ؟!

ونحن في باب الشك ، وهل يغلق ثم نسير وندخل باب اليقين وبعده الإيمان والاعتقاد بهذه الضرورة الشرعية السياسية التي تضمن للأمة قوتها وبقاءها بين الأمم، وهي الأمة المرحومة أمة شرف أشرف الرسل ولا بد لها من حياة في كل عصر وزمان ؟ هكذا شاء الخالق تعالي وبقيت القيادة إلي عصرنا هذا وهي باقية إلي العصور المقبلة طال الزمن وتوالت الأيام أو غرقنا في الأحلام والكوارث والأزمات ...

وانتقلنا إلي حديث ذي أهمية وهو سبب من أسباب الشك في قضية الإمام المهدي ، وهو العلاقة بين الخضر عليه السلام والإمام المهدي ، فهذا لهو علاقة بهذا في الوجود والبقاء والاستمرار وطول العمر .

قيل : ما هذا الربط بين القضيتين ، بينه وبين الخضر، وهو قضية ولدت في العصور السالفة ، وكيف ولدت، وكيف نمت ، وكيف وصلت إلينا ؟

كل ذلك يحتاج إلي بيان ودراسة بعقلية جديدة ، هذا ما نجده في عشرات من الكتب القديمة والحديثة ، وبه استدل علي بقائه وطول عمره وامتداد حياته ، وقلنا وقالوا ونقول لهؤلاء ماذا يقصدون بالخضر ، من هو ؟ وهل هو شخصية حقيقية ، ومن هو أبوه ، وما هو مستواه الديني ، أهو نبي ، أم وليمن الأولياء ، أو وصي من الأوصياء ، أو عابد من العباد ؟ متي عاش وأين ؟ وهل هو إسرائيلي أم نبطي

أم فارسي أم مصري ؟ وأين هو ؟ وهل ورد ذكره في التوراة أو في الإنجيل أو في القرآن ؟ ولم يرد هذا الاسم نصا في القرآن الكريم ، هذا هو القرآن بين يديك ، دلني علي هذا الاسم (الخضر) في أي سورة ، وهل هو اسم له أو صفة جسدية ؟ وهل هو أعلم من موسي أو بالعكس ، وهل عاش بعد موسي ، ولماذا القول ببقاء حياته وطول عمره ، أهو وحده أم هناك شخصية أخري أعطيت هذا البقاء أهو نبي ، وما هي شريعته وكتابه ورسالته وحياته ؟ كل ذلك نجهله، وحتي لو قلنا بصحة ذلك وليس علي الله بعظيم فلا يتوقف القول ببقاء الإمام المهدي عليه السلام وطول عمره بهذه القضية ولا تصلح دليلا مقبولا في المنطق والجدل، هو إمام وهو معجزة بقدرة الله وإشاء ته ، وعقيدتنا به عقيدتنا بآبائه وأجداده عليهم السلام (1)

1- ومصادرنا في قضية الإمام المهدي عليه السلام كثيرة وكثيرة ، وهي علي أقسام ثلاثة : القسم الأول : وهو مصادر العامة ، والثاني مصادر الإمامية ، والثالث مصادر من ديانات أخري ، وهناك نوع رابع من المصادر تحدثت عن القضايا الاجتماعية المستقبلية وحتي الكتب الاقتصادية التي تتحدث عن الاقتصاد قبيل الإمام المهدي عليه السلام وأن الاقتصاد العالمي يضطرب وأن الزراعة تقل قرأنا ذلك في كتب متعددة سنقدم لك قوائم بأسمائها في البحوث الآتية .

عقيدتنا بالإمام المهدي عليه السلام جذورها وأسسها

ليست وراثة عن الآباء والأجداد وعن الأمهات والجدات ، أو هي قضية خلقها القصاصون في الليالي المقمرة ، أو هي قضية خلقتها الظروف السالفة كما يذهب لذلك من لاعلم له ولا دراية بعقائد الشعوب والأمم (1) ولا فهم له بعقائد الآخرين ، وحتي بما يعتقده هو العقيدة السطحية التقليدية العشوائية التي ولد في أحضانها ونما وأخذها ولا يدري لماذا هو معتقد بهذا دون هذا، أما نحن فلا تقليد عندنا في العقائد مطلقا، وعقائدنا واضحة كوضوح الشمس ، ولا هي قضية اجتماعية من خلق واختلاق المجتمعات وصناعة الأحداث كما يزعمون ، ولا هي وليدة حوادث سياسية كما ذهب لذلك من ارتكب الخطأ وتجرأ وتطفل ثم اعتذر.

1- راجع المهدي والمهدوية لأحمد أمين . والردود عليه من قبل الشيخ محمد أمين زين الدين .

فقـد كتب ولا يـدري ماذا كتب ، وأخطأ في ما قال ثم اعتـذر، عقيـدتنا في الإمام المهـدي عليه السـلام مـذكورة في كتب العقائـد القديمة والحديثـة وكتب الكلام والجـدل والعقائـديون المـدافعون واعتمادهم علي الأحاديث الواردة عن الأئمـة المشـهور بصـدقهم واسـتقامتهم وأفكارهم ومعرفتهم وإحاطتهم بالشـريعة لامتدادهم واتصالهم بالرسول صلي الله عليه واله ، وعقيدتنا واضحة غير خفية لسنا من الباطنيين ولا من الـذين يسترون ويخفون الأمور عن الآخرين ، هـذه عقيدتنا مذكورة في كتب العقائد (الصدوق والعلامة الحلي) وفي كتب أصول الشريعة وعقائدالإمامية ،راجع (1).

هذا هو المنقول عنه بالإجماع وافتري سامحه الله وقضـيتنا في المهدي قديمة منذ عصـر الرسالة ولدت في العصـر الأول الإسلامي وبقيت متسالم عليها من الأجداد إلي الأحفاد، لاكما يزعم من وقع في الشـبهات . لا هذا ولا ذاك ولا هي متوقفة علي النصوص ، أو أخبار الآحاد إنها عقيدة قائمة غرسـها الرسول ونشرها ومهد لها وبشر بها إنها غنية عن الأحاديث ، فإذا شككنا في الأحاديث أو ربطنا بينها وبين الروايات فإذا هدمنا الرواية هدمنا العقيدة بكاملها ، ولا هي مسألة أحلام ورؤيا في المنام وحكايات في الزوايا .

إن العقائد الصحيحة لا تبني علي الأحلام وحكايات القدماء،

1- الشيخ الأستاذ محمدرضا المظفر في كتاب العقائد.

كمـا زعم بعض من كتب في ذلـك وقال ما قال لا شاهـد ولا مبرر لما ذهب إليه (1) ، ولا هي قضـية تقومها الخيالات والأوهام والقصص التي تحكي عن هذا وذاك عمن رأه في الطريق البري بصورة أعرابي أو سمع به أو تمني رؤيته أو احتمل هذا هو أو ذاك الذي مر عليه وظنه هو هذه كلها قضايا جانبية هامشية متأخرة لا ثمن لها ولا تثبت ولا يعتمد عليها في الحوار والجدل والاستدلال (2).

وقضـية الإمام المهـدي إنما هي قضـية الإمامـة والإمام جزء من الإمامـة ، وهي الإمامـة الباقية وهي فرع من النبوة ، فمن آمن بالأصل آمن بـالفرع، ومن آمن بالأول آمن بما تفرع عنه ، ومن آمن بالمتبوع فالتابع هو المقصود، ومن آمن بالنبوة ولكل نبي وصـي وخلف ، والإمامـة لا تنفصل عن النبوة ، وبقاء النبوة بقاء الإمامـة في الأرض ، والإمامـة وعـددها وحدة متكاملة وسلسـلة لا تتجزأ ولا يمكن أن نؤمن ببعض ولا نؤمن بالبعض الآخر، فهذا تابع للسابق واللاحق لا ينفصل عمن تقدم عليه ، فكما أن محمدا له صلة بالسابقين عليه ولم ينفصل عمن تقدمه من الأنبياء ، وكذلك القرآن كتاب لم ينفصل عن الكتب الأخري فكرا وأفكارا وهو وحدة متكاملة في سوره وفصوله وآياته ،

1- راجع العقيدة والإسلام لعلي الوردي.

2- وقضية المهدي عليه السلام غير مقصورة علي هذه الحكايات والرؤي وحكاية المتأخرين في الطرق العامة والفلوات .

وكذلك الإسلام وحدة متكاملة في أصوله وفروعه ، وكذلك التوحيد وحدة متكاملة ، والحشر والمعاد وحدة متكاملة لا يمكن أن نؤمن بالنار والعـذاب ولا نؤمن بالجنـة ، أو نؤمن بالصـراط ولا نؤمن بغيره ، كلها حق يجب الإيمان بها والاعتراف بها ، فكيف نؤمن بعلي عليه السـلام إماما ولا نؤمن بمن بعـده ؟ ! فهي إمامة واحدة ، وقضـية واحدة، آمنا بها وأخذنا بها . ربنا إنا آمنا برسولك ، وهو الذي أرشدنا إلي هذا الإمام الحق وإن غاب عن أعيننا ، ولـم يغب عنا، وهو معنا في كل آن ، وقضـية المهـدي عليه السـلام قضـية دينيـة منطقيـة يساندها العقل والنقل والتبشـير بهـا من قبل، وليست هي قضـية تخص الشـيعة دون غيرهم من فرق المسـلمين ، أو جاءت مـذكورة في كتب الإماميـة دون كتب المسـلمين الأخري، هي أكبر من ذلك وأوسع من ذلك، ذكرت في كتب المسلمين ، وهي ليست قضية تتوقف علي هذه الكتب التي ألفت في العصور المتأخرة ، أو هي مبنيـة علي هـذه النصوص الكثيرة المتواترة ، بل هي كمال الإمامـة وخاتم الإمامة ، وهي نهاية مرحلة تمر بها الأمـة وتجتازها في دنياها ؛ لأن الأمة لا تزال في مرحلة الانتقال منذ فجر الإسـلام ومنذ ولادة هذه الأمة وتطورها وظهورها، ولها مسـتقبل مشرق سوف يتحقق عند ظهوره ، هذا الإماموقيامه بالأمر وهو الذي يدير شؤون هذه الأمة إنه قول حق ولا بد منه .

عود علي بدء

ونبدأ بالحديث بعد هذه الرحلة التي أخذت منا الوقت ولعلنا تصورنا شيئا من مقدمات التصديق ، والتصور خطوة واسعة نحو التصديق وهو بداية إلي المسيرة والوصول إلي التصديق ، ولعل الله يفتح علينا بابا من أبواب الهداية وقضية المهدي عليه السلام ليست قضية نصوص وردت في هذا الكتاب أو ذاك الكتاب صحيحة رواها الثقات ويجب التعبد بها وعندها نأخذ بها ولا مجال للعقل. أوليست قابلة للتعليل ، أوليست هي مسألة تعبديات يجب الانصياع والامتثال لها دون أي سؤال عنها والوقوف عندها، أو هي رواية موثوق بها ولا يمكن طرحها فيأخذ بها ويعمل بها شأنها شأن الأمور الأخري في الأحكام تثبتها الروايات ، أو هي مسألة قديمة أو فكرة ورثناها من أمهاتنا وجداتنا تقليدا وغرست في نفوسنا وكل موروث مقدس وغلغلوا في أذهاننا وقالوا لنا : أيها الأبناء إن لكم إماما اسمه المهدي سوف يظهر في آخر الزمان وآمنا به اعتمادا علي وصية الآباء

ص: 76

والأجداد ، حيث أوصونا وأخذنا بوصـيتهم ونقلت إلينا أفكارهـم من الأجداد والآباء ، أي الأبناء آمنوا وصدقوا وارتقبوا وانتظروا ولا تسألوا عن ذلك قدآمنا قبلكـم واعتقدنا به ، فخذوا عنا واسمعوا أقوالنا ولا تسألوا لماذا ، وإذا سألتم فالجواب لانعلم عن ذلك شيئا ؟!

تعالي الله إن ذلك هو الـذي هـدمه وأزاله الإسـلام في حربه وجهاده وتحريره للأفكار والعبادات القديمة والتقليد العشوائي الموروث ، فإذا أخطـأ الآباء أو جمـدت أفكارهـم وتحجرت أذهانهـم أو كانوا متخلفين فالتطور والانفتاح علي الحياة ، والتعليل، وإعمال الفكر، والتفكير، ما جاءت به الشريعة ، وهذا القرآن بين أيدينا فيه عشرات من الآيات تدعو إلي الرجوع إلي العقل والقضايا العقلية . في القرآن هي أكثر القضايا وأهمها ، فالقرآن دعا إلي التعقل والتدبير في كل قضية من قضايا الحياة .

إن قضـية المهدي عليه السـلام قضـية دينية روحية عقلية سياسـية ، وهي في صلب العقيدة الدينية ، ولكن تتوقف علي الوعي والإدراك ، من وعاهـا وعرف أبعادهـا آمن بهـا واطمئن لها، وليست قضـية المهـدي عليه السـلام قضـية إخبار وهو خاضع للكـذب والصـدق والتكـذيب والتصديق ، واحتمال الصدق والكذب أو الإيمان معتمدا علي السـماع والنقل؛ لأن القدماء أو من كان قبلنا من الأجيال قالوا بذلك وآمنوا به ، ونحن صدقناهم بما قالوا وأخذوا به أو الإيمان به لأنه جزء من تراثنا المتحدر عن السـلف الذين سـبقونا ، فأخذنا وسرنا علي نهجهم حيث أخذ به الآباء

والأجداد، وما يدرينا أنهم علي خطأ أو صواب ، أو قضـية تخص حياتهم وشؤونهم العامة ، فهم يختلفون عنا كثيرا ، لا هذا وذاك ، إنها قضية دينية حقيقية ، والعقل المسـتقيم هو الحاكم، والحكم والعقل يتخذ منها مسارا ومسرحا واسعا، وهي قضية قابلة للتعليل لأن لها أبعادا كثيرة وكثيرة ، ولها بدايـة وجـذور، ولها آفاق لاتـدركها الأمة ؛ لأنها تعيش الرواسب ، وقد غرقت في رواسـبها ولا بد لمن يريد أن يحكم عقله أن ينزع الثوب العتيق وينطلق في ميـدان التعليل والتحكيم والموضوعيـة ، قل الحق ولو علي نفسك ، قل خيرا بعـد أن تدرك الخير ، واهضم ما تعتقـد به وتؤمن به ، وتعلم به وقد طبع في عقلك ، فالمعلوم والمعتقد إذا لم يكن من المعقولات وبوحي من العقل الباطن فإن الحياة سوف تذوب كل معتقد موروث لا يساير التطور السـريع ولا يخدم هذا الإنسان في مسـيرته في دنيا التفاعلات الحضارية ، وقولنا بالإمام وحاجتنا إليه وخروجه وبروزه وظهوره علي مسـرح الكفـاح ومواجهـة الـدنيا مسألـة ضـرورية فيهـا ألف وألف مصـلحة ، له ولنا، ولا بـد في خروجه ومواجهة المشكلات التي تحدث في المستقبل ، وقضية المهدي عليه السلام من القضايا المستقبلية (1)، فقد تسأل :

1- وقد قام عليها إجماع المسـلمين ، فقد ذكرتها أمهات المصادر ، مثل : صـحيح البخاري ، سـنن أبي داود، وصـحيح مسـلم ، وسنن ابن ماجة ، ومسند أحمد بن حنبل ،والمستدرك للحاكم ، و تاريخ بغداد ، والاستيعاب لابن عبدربه ، و تاريخ ابن عساكر ، وتذكرة ابن الجوزي .

من أجل ماذا ؟ هل هو من أجل نفسه ، أو من أجل آبائه الذين ظلموا وحرموا وأخذت حقوقهم فيسترجع ما سلب منهم ، أو من أجل الحق والعدل وتطهير الأرض من الظلم والتسلط من أجل ماذا ؛ أو قل هو يكتف الحياة ويطور الدنيا إلي الأفضل من أجل هذه الأمة التي تعثرت في مسيرتها وفقدت المقومات التي سببت انحسارها وابتعادها ووصلت إلي مرحلة الاحتضار، وحكم عليها فكرية في عصرنا بالتأخر والركود فقالوا وكتبوا عن أسباب تأخر هذه الأمة.

والسؤال الذي يطرح بين هذه السطور إذا : إذا خرج هذا المصلح الكبير والأكبر كيف يجد هذه الأمة بعد آلاف من السنين القادمة ؟ هل يجدها كما هي أو كما يريد من حيث المستوي الاجتماعي والخلقي والعقائدي ، ومن حيث القوة والاستعداد والوحدة والاتحاد ، أو يجدها تعيش الضعف والتمزق والتفكك والتحلل والانهزامية والانحدار والفشل والتسلط عليها فقدت لغتها وفقدت أفكارها وماتت أبسط المحركات والدوافع بجسدها وروحها تعيش الانقسامات ، فقدت النور وتعيش في الظلام مغلوب علي أمرها ، ثم يأتي ويحاول أن يلملم صفوفها ويعيد الحياة لها يجدها جسدا بلا روح، جسدا بلا حركة عطلت أمورها ، ولعل الحديث المشهور الذي يتردد علي الألسن « لا يبقي من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه » (1)

1- حديث ذكر في أخبار الإمام المهدي عليه السلام في مرحلة ما قبل الظهور .

و « يعود الإسـلام غريبا كما بـدأ غريبا » ، وهـذه الأمـة هي الغريبة الوحيدة في دنيا الأمم الراقية المتطورة ، وإذا جاء وظهر راح يرمم ويبني ويبعثها من جديـد ، ودوره دور من وجـد أطلالا خاويـة بالية ، أو شـجرة ميتة يريد أن يبعث فيها الحياة مرة أخري ، إنها عملية صـعبة تأخذ الوقت منه .

والسؤال الثاني ينصر الأمة من عدوها ينتصر لها أو ينتصر بها علي عدوها إذا وجدها قد أعدت نفسها إعداد فكريا وسياسيا ، فكيف إذا تكون هذه الأمة في المستقبل ؟ أو كيف يجب أن تكون هذه الأمة ؟

وما هو دور القياديين الملتزمين الواعين في هـذه الأمـة قبل قـدوم الإمام وظهوره ؟ وهل تـدرب نفسـها لتكن جندا تنتظر قدوم القائد الدال الذي يأخذ بها إلي طريق النجاح والسـعادة ؟ فما هو دور العلماء في هذه الفترة ؟ وما هو دور المفكرين من أبناء هذه الأمة ؟ هل السـكوت والإهمال والاعتزال ويبقي هذا وذاك يأكل ويشرب في ترف وعافية ، أو هناك تكليف آخر، فما هو ذلك التكليف ؟ هذه مسألة لو سئلنا عنها في هـذا العصـر لا نجد جوابا شافيا مقبولا ، أو صـراحة في الجواب ، لماذا ؟ تعال معي لتقرأ ما كتب في كتابات الفقهاء في هذا العصـر، يا ضيعة الأمة بين هذا وذاك ، سببا للمخاوف الوهمية والاشباح المخيفة ، فأين من لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأين من يقول الحق ، وأين من ينظر النظرة البعيدة إلي الزمن المستقبل ، وهل السكوت هو الدواء الشافي والعلاج الواقي ؟!

وبقيت الأمـة تعيش الانهزامية والانطوائية والسـكوت ومن المسؤول عن ضـيعتها بين عقليتين عقلية الانفتاح والانطوائية والانغلاق بين الآباء والأبناء بين القـديم وبين الحديث الذي يقول ويسأل: لماذا وماذا وكيف ؟ ويسأل الأبناء : هل هناك إمام منتظر يقود الأمة إلي الخير ويحقق آمالها ، من هو ؟ ولماذا لم تبادر هذه الأمة المهددة ؟ ولماذا الانتظار ؟ وهل هو يحقق للأمة بقاءها ، ومتي وكيف ؟ وهذا الرجاء والأمل قد ذاب وقتله الانتظار، ومتي يكون ذلك ، أهو بعيد أم قريب ؟ متي يكون ذلك وبين الآباء والأبناء فجوة واختلاف والقضـية بين عقليتين ؟ وهل هي مسألة دينية لها واقعها وأدلتها ووجودها يجب التسـليم بها والصبر والسـكوت والبقاء هو التكليف ؟ إنها مسألة غريبة والتحدث عن هذه المسألة وعلي واقعها يدعوني أن أتحدث عن حادثة بدأت وبحوار شديد (1).

وبدأ الحديث عن طموح الإنسان المسلم إلي دولة إسلامية عالمية كريمة وعصر إسلامي مشرق تسوده العدالة ، وإنه يتحقق ذلك بعد ظهور رجل الإصلاح والعدالة ، وهو ذلك الإمام المنتظر المهدي رائد الإصلاح في هذا العالم الفاسد، هو الذي ترتقبه الأمة وبشرت به

1- تعال واقرأ المصادر المأخوذ بها التي تحـدثت عن الإمام المهـدي عليه السـلام تـذكرة ابن الجوزي ، كفاية الطالب للكنجي ، الفصول المهمة للمالكي ، مطالب السؤول لابن طلحة ، منتخب كنز العمال للمتقي الهندي ، نور الأبصار للشبلنجي ، الكشاف للزمخشري ، ينابيع المودة للقندوزي .

الحضارة الإسلامية من قبل ، وبدأ الكلام وطال و تحداني أحد المثقفين كما يدعي علي سبيل الدعابة المسمومة المعجونة بالسخرية بأن الشيعة تعتقد بظهور إمام في آخر الزمان وهو الإمام الغائب ، وإنه سيظهر وينشر الإسلام فيالأرض ، واستمر قائلا وهل ذلك من الإسلام إنها مسألة ليس لها واقع إسلامي ، فهي من أفكاركم ومن تلحينكم وإخراجكم ، قاله آباؤكم وأخذتموه عنهم ، وليس لها نصيب من الكتاب والسنة ، وحيث لامستند له من كتاب الله والستة فهو مستحدث ومبتدع ولا يؤخذ به ، وعلينا أن نحاربه ، وإذا أخذتم به فما هو دليلكم ، وكيف آمنتم به ؟ وطال الحديث والجدل ولم نصل إلي نتيجة .

واشتد الحوار وطال الحديث وكأن القول بظهور هذا الإمام المصلح المرتقب حفيد الرسول له من آل محمد مهدي هذه الأمة مسألة مستحدثة من المسائل الغريبة ، وكأنها ولدت في أيامنا هذه ولم يعلم بها الآباء والأجداد من قبل ، أو إنها مستوردة من خارج الحضارة العربية الإسلامية وكأنها لم تكن من قبل ولا يدعمها دليل مقبول ، أو ترددت علي ألسنة أبناء هذا الجيل ولم تكن قد ترددت علي ألسنة السلف الصالح من المسلمين المؤمنين في عصر الصحابة والتابعين ، وفي العصور الإسلامية اللاحقة وكأنها مسألة مأخوذة من الزوايا المظلمة والتكايا خلقتها عقلية الدروشة أو كأنها عند العقلية الجديدة المتباعدة عن واقع الإسلام فهما ووعيا وتطبيقا وعملا كما هي، وهي كذلك متباعدة عن واقع الإسلام وعدم الإحاطة به وليس لها

درايـة وتحليل وتدقيق بما في الإسـلام من أفكار وأبعاد وكلها منطقة صـفق هؤلاء الأبناء أنها مسألة بنت اليوم أو مختلفة ، اختلقها جيل من الأجيال نتيجة لإزمات وظروف خاصة عاشـها الشـيعة كما يدعون ، فهي مخلوقة لهم لم يقل غيرهم بها ، وكأنها ليس من جوهر الإسلام أو فكرة إسـلامية أصـيلة ، وكأنها مسألـة تخص الشـيعة أو بعضا منهم، أوليس هي مسألة متمركزة في نفوس المؤمنين من المسـلمين منذ أقدم العصور، وبشـرت بهـا الأخبـار الواردة ، وهي كـذلك ، فنجـد مسألـة هـذا الإمـام قـد وردت في التاريـخ الإسـلامي وفي أخبار آل البيت وأحاديثهم كثيرة وفي مجالسـهم واحتجاجاتهم ، وكتب عنها علماء المسـلمين عامـة وعلماء الإمامية خاصة الذين عاشوا في الزمن القريب لعصـر الإمامـة ، وبينهم وبين الإمام سـنوات معـدودة حتي أطلق علي أتباع آل البيت عليهم السـلام منـذ القـدم (المنتظرة)، وهم الذين يعتقدون بإمام منتظر يظهر في الدنيا لإصلاحها ، ولذلك ورد عنهم عليهم السلام الأمر بالانتظار (1)

1- نحن الفرقـة المنتظرة ، وهي بانتظار الفرج ، ولا ندري أقريب أم بعيد، وفي ذلك وردت أخبار أمرت بذلك ، وهذه الأخبار يأخذ بها أتباع آل البيت عليهم السـلام ، حيث أدركوا واقعها وآمنوا بصـحة صـدورها عن ورثـة الشـريعة وحملـة الفكر الصـحيح الأصـيل لهذه الشـريعة المقدسة ومؤداها الدعوة إلي الصبر والاصـطبار والانتظار، وهو ضرب من ضروب العبادة ، وتحمل الأذي في جنب الله ، ومن أجل الله إن الله مع الصابرين فأخذوا بها لأنها أخبار متواترة صادرة عن آل البيت عليهم السلام وبشرت بالفرج .

وبـدأ الحديث مرة أخري وبلغة جديدة ، لغة إسـلامية مهذبة واحترام الآراء ، مما دعا إليه الإسـلام وأن القول بظهور الإمام مهدي آل محمد صلي الله عليه واله إنها مسألة إسـلامية من واقع الإسلام ومن جوهر الفكر الإسلامي ومؤداها وهو موضوع الحديث والحوار أنها قضية تبشر بانتصار الإسـلام في الأرض وتملأ هذه الأمة بالعزم والعزيمة والقوة والطموح وبناء المسـتقبل وتبشـر ببقاء الإسـلام في الأرض وأن النصر والانتصار والسـيادة له في دنيا العقائـد والـديانات ، وغـده أفضل من يومه وأمسه ، ولا يزال الإسـلام منذ فجره يعيش معركة فكرية يعيش في صراع دائم مع عقليات متخلفة ، ومع قوي الشـر في الأرض وإلي الآن لم يحقق نصرا ولم ينتصر علي خصومه في الأرض، فمتي يكون هذا النصـر والانتصار والسـيادة والقرآن هو الذي بشـر رسوله بذلك في سورة الأنفال وغيرها من السور القرآنية ... وهو القائل لرسوله المصطفي صلي الله عليه وسلم : « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ » (1) ، وهو الذي بشره بانتشار، هذا الدين في الأرض تطييبا لخاطره ، متي يكون هذا النصـر وهذه السـيادة في هذه الحياة لصوت الإسلام ولا بد أن ينتصر في الأرض ويتحقق ذلك في ظهور هذا القائد حفيد المصطفي الذي يحمل أسرار جده وما عنده لا يوجد عند غيره عند ظهور هذا القائد أو استلام هذا الإمام القيادة سوف يقود الأمة ويتحقق النصر وتستعيد

1- الضحي: 5.

هذه الأمة ما فقدت وما سـلبت من كرامة وقيم ، وزمانه زمان الخير ، زمان العدل والعدالة والراحة والعافية ، وهو صاحب العصـر والزمان ، وبـذلك يلقب ؛ لأـن زمانه زمان الراحـة النفسـية والطمأنينـة والأمن والأمان في حياة هـذا الإنسان المعـذب في دنيا العنف والقوة والظلام والاجحاف ، ولا بـد من ذلك ، وهـذه اللابدية من أمهات العدل والعدالة التي يدعو لها الإسـلام، وأمر المسـلمين بالاعتقاد بها تأمين عدالة الله ، وكيف الإيمان بها والظالم يصول ويجول يفعل ما يريـد ، لا بد من تحقيق العدل والعدالة الإلهية في الأرض، ولا بد من الانتصار، ولا بـد من أن ترتقي عقليـة هذا الإنسان ليفهم هذه القضـية علي واقعها وفلسـفتها وما وراءها وإن كان يعيش الجهل والتخلف في هذا العصـر صبرا واحتسابا وقهرا وتقيـدا وألما، ولا بـد أن يعقب هـذا التخلف وهذا الركود تفتح في عقلية هذا الإنسان ولا بد من أمن وأمان بعد الخوف والشـدة ، ولابد بعد الشدة من فرج ، وقد قيل بعد كل شدة فرج (الفرج بعد الشدة)، ولابد بعد الحرب سـلم وبعد ذلك يتذوق هذا الإنسان طعم العدالـة الإلهيـة في الأرض بعـد المرور والاجتياز ، وبعد الإعداد والاسـتعداد والقيام بثورة فكرية عارمة بقيادة إمام العصـر مهدي آل البيت عليهم السـلام ، تطهر الأرض من الشـذاذ، وبعد هذا الانتصارللمظلومين وبعد القضاء علي جبابرة الأرض ليدرك المستضـعفون أن هناك قوة إلهية هي التي تمد الدعاة إليها بالنصر والانتصار، وهي التي تمهل الظالمين لعلهم يتحسسوا ويتراجعوا ،

وأن هناك عدالـة في الحياة ، ويتم ذلك علي يـد القائـد العلوي محمد ، سـمي محمد، شبيه محمد، إنه الإمام الذي سوف يطهر الأرض من الجرائم، وعندها يستقر هذا الإنسان المعذب في دنيا الحكم والاستبداد والسلطة والسلطان ليعيش بأمان . استمع لهذا الحديث الإسلامي :

« يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » (1).

« يرضي بخلافته أهل السماء والأرض والطير في الجو ».

وفي كثير من الأخبار الإسـلامية تتردد عبارة يملأ الأرض قسـطا، ماذا يراد بهـذا الامتلاء وهو ذلك الامتلاء المرتقب الذي تشـهده الأرض ويمر علي الإنسانيـة في حياتها ومن خلال هذه الأحاديث تدرك أن هذا الامتلاء تشـهده هذه الأرض ، أو هذه المجموعة الإنسانية مرتين ؛ واحدة بعد الأخري :

تمتلئ الأرض جورا .

تمتلئ الأرض عدلا.

فهل تحقق ذلك ومتي ؟

وكأنها مسألة حتمية لا بد من وقوعها وحدوثها بإرادة لاتدرك ، وكان الأولي علة مهيئة للثانية .

إذا التساؤل : كيف يكون ذلك ؟ وما هي أسباب هذا الامتلاء الأول

1- ذكرته كل الكتب الإسلامية من الطرفين .

لتحقق الامتلاء الثاني في هذه الأرض، وكيف تملأ مرتين متتاليتين ، وكأن العدل الذي وعد به هذا الإنسان في الأرض لا يتحقق في الأرض إلا بعد انتشار الظلم في الدنيا وكيف نتصور ذلك : إن الظلم الشـمولي يخلق العدل الجماعي في هذه الدنيا ! علي يد ذلك المصلح القادم، والإمام المرتقب في زمان مجهول في غيبة الدهر ومطاوي الوجود !

وفي روايـة علي التي يـذكرها ابن طـاووس في الملاـحم والفتن عن الأصـبغ بن نباتـة ، قال : أتيت أمير المؤمنين فوجـدته متفكرا بنكت في الأرض ، فقلت : ما لي أراك متفكرا ، أرغبة في الأرض أم رهبة منها ؟

قال : « لا والله ، ما رغبت فيها قط، ولكن في مولود يكون وهو الحادي عشـر من ولدي ، هو المهدي ، يملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وحيرة وغيبة يضل فيها قوم ويهتدي فيها آخرون » هذا حديث من ألف حديث يبشر بهذا الإمام.

ويتردد اسم هذا المصـلح علي ألسن العقائدين من المسـلمين ، ويكثر وروده في الأخبار والأحاديث الإسلامية التي تبشر بقيام ذلك الإمام المنتظر في عصـر وزمان يأتي فيه ، وهو الذي يأتي بالدعوة للإسلام وينشر أحكام جده بقيام دولة الإمام المهدي عليه السلام ، وهي الدولة التي تنعم فيها البشـرية في الأرض بعـد أن ذاقت آلام الظلم هم وآباؤهم من قبل ، وهـذا حـديث آخر يبشـر بهذا الإمام : في حديث النبي صلي الله عليه واله عن أبي سعيد الخدري ، قال :

« تنعم أنتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط ، ترسل السماء

عليهم مدرارا ، ولا تدع الأرض شيئا من النباتات إلا أخرجته ، والمال كدوس يقوم الرجل فيقول يا مهدي : اعطيني ، فيقول : خذ » (1).

أما الرجل المسلم العقائدي في دولة الإمام المهدي عليه السلام ، وهو كما صوره علي في حديثه ، قال عليه السلام :

« يبايعون علي أن لا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا ، ولا يهتكوا حريما محرما ، ولا يسبوا مسلما ، ولا يهجموا منزلا ، ولا يضربوا أحدا » (2).

وزمان المهدي عليه السلام هو زمن القوة والعدالة والخير في الأرض ، وهذا ما جاءت به الأخبار الإسلامية ، فقد بشر الرسول صلي الله عليه واله في كثير من الأحاديث وصوره في أكثر من مقام .

« يستخرج الكنوز ، ويقسم المال ، ويلقي الإسلام بجرانه ».

وقال : « يستخرج الكنوز ، ويقسم المال ، ويلقي الإسلام بجرانه» (3).

وعن النبي صلي الله عليه واله، قال : « يحثو المال حثوا لا يعده عدا ، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما » .

وتكون الأمة في عهده عليه السلام كما كانت في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم من حيث القوة والعزة والكرامة والصولة .

1- الملاحم والفتن لابن طاووس: 57، ط. النجف.

2- المصدر المتقدم: 122.

3- المصدر المتقدم: 26.

وهذا حديث إسلامي آخر:

قال الرسول صلي الله عليه واله : « تأوي إليه أمته كما يأوي النحل إلي يعسوبها ، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا حتي يكون الناس علي مثل أمرهم الأول لا يوقظ نائما ولا يهرق دما ».

لأن زمانه عليه السلام هو زمن الإسلام ودولة الإسلام ، وفيه ينتشر الأمن بين المستضعفين الخائفين ، وتطهير الأرض من الظلم والظالمين ، وورد في الأخبار : « يبلغ من رد المهدي المظالم حتي لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتي يرده » (1).

وحتي المرأة تنعم في زمان هـذا الإمام، وقد ورد في ذلك : « يأمن الأرض حتي إن المرأة لتحج في خمسـين نسوة وما معهن رجل لا تتقي شيئا إن الله يعطي الأرض بركاتها والسماء بركاتها » (2).

إن المهدي هو الذي يطبق القرآن والشريعة بكل ما فيها من مواد وطاقات في جميع أنحاء الأرض فلا دين يبقي ولا شريعة يدين بها أحد من الأفراد في الأرض غير الإسلام.

فلا يهوديـة ولا نصـرانية في عهـده عليه السـلام ، وهـذه روايـة نتوقف عنـدها طويلا ؛ لأن فيها رائحـة غير إسـلامية ونافذة منها دخل البلاء والسـموم من الأقلام المأجورة : « إنما سـمي المهدي لأنه يهدي إلي أسفار من أسفار التوراة يستخرجها من جبال يدعو اليهود، يسلم علي تلك

1- الملاحم والفتن لابن طاووس : 54.

2- الملاحم والفتن لابن طاووس : 54.

الكتب جماعة كثيرة (1).

إن عصـر المهدي هو العصـر الإسـلامي تطبيقا شاملا فيه بشم الإنسان المسـلم نسـيم السعادة في الحياة ، وفي رواية سعيد الخدري ، عن النبي صـلي الله عليه واله ، قال : « يرضـي عنه ساكن السماء وساكن الأرض ولا تدع السماء من قطرها شيئا إلا صبته ، ولا الأرض من نباتها شيئا إلا أخرجته، حتي يتمني الإحياء والأموات » (2).

وتبدأ البشارات من لسان الرسول صلي الله عليه وسلم وآل البيت عليهم السلام عن هذا الإمام المرتقب وبداية النصر وظهور الفرج العام.

وفي حديث الرسول صـلي الله عليه واله : « إذا ملكت الكفار الخمسة الأنهر » (3) يقصد دجلة والفرات والنيل وسيحون وجيجون » ملك الإسـلام شـرقا وغربا ذلك الوقت ينصـر الله أهل بيتي علي أهل الضـلال ، ولـم يرفع لهـم رايـة أبدا إلي يوم القيامة » (4) ، وذلـك لا يتحقق بالسـهولة قطعا ! حتي تجتاح البلاد الإسـلامية موجات من الجور والظلام الشامل ويبـدأ الصـراع بين قوي الجور والاسـتبداد الحاكم وبين العدل علي امتداد السنين وعلي طول الزمن، وهناك ينتصر العدل في الحياة ويأمن الخائف في الدنيا بعد خوف دام .

وفي حديث النبي صلي الله عليه واله قال :« لا يمكث الجور بعدي إلا قليلا حتي

1- الملاحم والفتن لابن طاووس : 55.

2- الملاحم والفتن لابن طاووس : 55.

3- المصدر المتقدم : 164.

4- المصدر المتقدم : 164.

يظهر ، فكلما ظهر من الجور شيء ذهب من العدل مثله ،حتي يلد الرجل في الجور فلا يعرف غيره » (1).

وقد بشر الشعراء من قبل في العصور الإسلامية . قال دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته المشهورة :

خروج إمام لا محالة خارج *** يقوم علي اسم الله بالبركات

يميز فينا كل حق وباطل *** ويجزي علي النعماء والنقمات

وقال ابن عرب : « إذا دار الزمان علي حروف بسم الله فالمهدي قاما .

ولا نعرف قصد ابن عرب إلا بتحويل هذه الحروف إلي أرقام .

وفي روايـة عنه عليه صـلي الله عليه واله : « تنعم أنتي فيه نعماء لم تنعم مثلها قط ، تؤتي الأرض أكلها ولا تدخر عنهم شـيئا، والمال يومئذ كدوس » (2) .

وفي حديث آخر: « يرضي عنه ساكن السماء وساكن الأرض » .

1- الملاحم والفتن لابن طاووس: 134.

2- الحديث رواه مستدرك الحاكم.

خلاصة القول بالرجعة

وإذا قالت الشيعة الإمامية بالرجعة فليس معناها خروج الإمام الحجة ، إنما رجعة آل محمد صلي الله عليه واله تعقب خروج الحجة عليه السلام (1) .

ولكن هل يؤمن بها غير الشيعة من الفرق الأخري ، مسألة لا أعرفها قطعا ؟ ومعني الرجعة رجوع العدل في دولة الحق، وهي دولة إسلامية ، إنها دولة آل محمد صلي الله عليه واله ، وهي الدولة المنتظرة ، ولا بد من قيامها ، وهي الدولة الكبري (2) تبسط العدل وتحقق السعادة للإنسان المستضعف في الأرض وفيها يفسر قوله تعالي : « وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَي

1- العقائد الإمامية المظفر فقد بحث موضوع الرجعة بإيجاز .

2- التي أشار إليها الإمام عليه السلام في الدعاء: « اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلامَ وَ أَهْلَهُ وَ تُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَ أَهْلَهُ وَ تَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَي طَاعَتِكَ وَ الْقَادَةِ إِلَي سَبِيلِكَ وَ تَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ » . (دعاء الافتتاح)

الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ » (1).

وفي رواية ينابيع المودة ص124، الباب الخامس والأربعين ، وفي آخر هذه الرواية قال صـلي الله عليه واله : أخبرني جبرئيل أنهم يظلمونك بعـدي ، وإن ذلك الظلم لا يزول بالكلية عن عترتنا حتي إذا قام قائمهم ، وعلت كلمتهم، واجتمعت الأمة علي مودتهم والشانئ لهم قليلا ، والكاره لهم ذليلا ، والمادح لهم كثيرا ».

وهنا ترتفع رايـة الإسـلام خفاقـة في الأرض ، ويـذوق الإنسان طعم الحياة بعد قرون سالفة عاشـها بالآلام ومفارقات ، واللابدية العقلية هي الدليل علي رجوع الإنسان إلي الإسلام حيث يدرك الإنسان (2) أن لاقوة له ولا حول ولا أمل يتحقق ولاكرامة ولا سعادة يسعي من أجلها ، كل ذلك لا يتحقق إلا بالرجوع إلي الإسـلام، وهي حقيقة ثابتة ، وكان الرسول صـلي الله عليه واله من قبل أحد الذين نادوا بهذه الحقيقة ، فيقول صـلي الله عليه واله في حـديثه وبشـر العرب بأن الإسـلام الـذي ود آباءهم وخلق منهم أمـة قوية قابلت أمم الأرض ، هو ذلك الدين الذي سيخلق من أبناء تلك الأمة وأبناء وأحفاد أولئك الميامين أمة جديدة متحدة

1- القصص: 5 و 6.

2- وحتي الإنسان العربي مستقبلا بعد تعب وعناء وبعد أن خاض الحروب ولم يحقق أملا ...

بعد التفرقة وتتراجع بعد شذوذ وابتعاد دام عهودا طوال !

يقول صلي الله عليه واله : ربنا يختم الدين كما بنا فتح ، وبنا يستنقذون من ضلالة الفتنة كما استنقذوا من ضلالة الشرك ، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم في الدين بعد عداوة الفتنة كما ألف الله بين قلوبهم ودينهم بعد عداوة الشرك » (1) .

والتساؤل الأول هو: متي تـدرك هـذه الأمـة المتفرقـة واقعها، وتحاول التراجع لتحقق الوحـدة الفكرية من خلال قاعدة عقائدية قوية وتسـير عليها في الحياة ؟ وإذن ومتي ترجع هذه الأمة إلي الشـريعة إلي القاعدة إلي دسـتورها إلي كتاب الله لتنهل من فيضه الصافي ! متي يتحقق ذلك وقد طالت المدة والأمة لا تزال تعيش في رقاد ، وهل يتحقق ذلك مستقبلا.

لترجع الأمة إلي القرآن وتعتصم به، وهو الذي يصوت : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا » (2).

إذن متي تتخلص هذه الأمة من شرور التفرقة وتتيقظ بعد هذا الرقاد ، وتنشط بعد هذا الضعف، وتتجرد من الوهن والهزال ؟ (3)

1- الملاحم والفتن لابن طاووس: 68.

2- آل عمران : 103.

3- إن الأمة عاشت إغفاءة طويلة وصلت إلي حالة الموت، وبعد هذا الموت يقظة ، ولعل الحديث : «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا ». أي ناس هؤلاء ؟!

والتساؤل الثاني هو : هل يهرب الناس عن الأنظمة ويؤوبون إلي الدين وإليه يرجعون؟ أم سيبقي الناس يعيشون في ظلال الأنظمة مدي الحياة وعن الدين متباعدون وإلي متي؟ وهل يدرك النوع الإنساني ويتحسس بأن الحياة الهادئة النعيمة السعيدة إنما هي في ظلال هذه الشريعة الغراء فيتراجع ويتكيف ويأخذ بها كما أخذ بها آباؤه وأجداده ؟

وما دام هذا الإنسان في مسيرة سريعة وفي خطوات و نمو وتطور وتجديد وتكييف وهو في تطلع إلي الجديد ونحو الأفضل، وهو في حركة دائمة مستمرة ، وهو في يومه يختلف عن أمسه ، وهو في غده يختلف عما كان عليه من قبل . إن هذا الإنسان في سعي ووضع ودوافع داخلية وخارجية ، وهو في خطوات نحو الأمام ولا يخطو إلي الوراء ، إلا من فقد الوعي والبصيرة . إن هذا الإنسان الطموح بطبيعته وهو مع الزمن ومع المتطلبات يسعي وراء القوة ، ووراء الدفء ليؤوب إليه ، ويكمن فيه ويستظل حوله فهل فتش الإنسان وعثر علي نظام خير، وأفضل من هذا النظام العادل ليأخذ به أو شريعة أقوي من الشريعة التي أخذ بها آباؤه وأجداده من قبل ، ورد عن الإمام موسي بن جعفر يقول لبعض شيعته : « لو علم آباؤكم وأجدادكم دينا أصلح من هذا الدين لاتبعوه » (1) .

1- بشارة الإسلام في رسالة الإمام الكاظم عليه السلام .

ويستمر الإمام حفيد علي عليه السلام في توجيه نصائحه قائلا: « فالله الله في أديانكم » (1)، إن الآباء والأجداد أدركوا أن الإسلام هو الحق، فأخذوا به وسعدوا في الحياة . ولو قلت لك إن الإسلام كان سبب نهضتها ، وهو سبب خلودها وبقائها في الحياة ، ولو قلت إن العرب لا ترتقي ولا تنتصر ولا تتقدم إلا إذا أخذت بالشريعة منهجا في الحياة فهو قول عليه ألف دليل وأكثر من ألف من تاريخ هذه الأمة فقد ارتقي آباؤهم وأجدادهم من قبل وانتصروا بهذا الدين وحده فهو سبب وجودها وخلودها ، وللإجابة عن ذلك أيضا يتحقق في دولة مرتقبة ، وهي دولة القرآن (2). وهي الدولة التي تمثل قوة الإسلام في الأرض وهي دولة الإمام المهدي عليه السلام .

وقد بشر أئمة الهدي بهذه الدولة ، فتارة يطلقون عليها الرجعة وتارة

1- إثبات الوصية للمسعودي : 260.

2- وهل يستطيع القرآن تشييد دولة وبماذا ؟ وهل فيه طاقات تشريعية أن يمدها وإذا كانت الدولة تقوم من الوطن وهو الرقعة والشعب والدستور فهل يستطيع القرآن النهوض بدولة حديثة ؟ والدول لها نظامها الاقتصادي فما هو موقف القرآن من البنوك وإداراتها ؟ وما هو موقفه من المؤسسات الأخري ؟ وبعبارة أخري : إذا كانت الدولة الإسلامية والقرآن هو دستور الدولة والأحكام التي يعمل بها هي أحكام إسلامية لا يخالطها وضعي . فهل هذا ممكن أم بعيد ، أو هو ضرب من المستحيل والقرآن يخبرنا بطرف آية : « وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ » ؟

يصفونها بالدولة الكريمة، وقد يطلقون عليها دولة آل محمد ومرة يطلقون عليها دولة المهدي المنتظر، وتارة قائم آل محمد ، وقد صوت بها كل آل البيت الطاهرين من قبل ، واستجاب لذلك الصوت والتي ذلك النداء الإنسان المسلم في كل عصوره الإسلامية ، وهي إن دلت فإنما تدل علي طموح الإنسان المسلم إلي ذلك.

الذي يتحدي عقبات الزمن هو ذلك الإنسان المسلم المنتظر لهذه الدولة ويرقبها وسيبقي وهو قوي صبور يقهر الأزمات القاسية . وبعزم من إيمانه – التي يواجهها في هذه الحياة ، إنه ذلك الإنسان الملتزم المحافظ وقد قيل فيه إنه القابض علي دينه كالقابض علي الجمر .

وهذا صوت ضمير مسلم في حديثه عن دولة الإمام المهدي وتلك ولا بد للإنسانية المعذبة في دنيا الآلام. أن تنتهي لذلك الساحل الحق المعبد ساحل العدالة ، وهو أن يجتمع الخلق إلي ميقات يوم معلوم، وهذا هو صوت الإنسان المسلم . الشاعر الحيدري الكاظمي :

ترفرف فوق الأرض شرقا ومغربا *** عليها جلال الله يستوقف الفكرا

وتجمع شمل العالمين بدولة *** يحقق للشعوب بها فخرا

ويسعد فيها المؤمنون وإنهم *** يرون بها الفتح المؤمل والنصرا

فيومئذ لم يبق في الأرض كافر *** ولم تر إلا الحق والخير والبرا

ولم يبق إجرام ولم يبق منكر *** ولم تر ظلما في الوجود ولا جورا

وتخرج هذي الأرض من بركاتها *** وخيراتها ما يملا البر والبحرا (1)

إذا ظهر عليه السلام يأتي بقرآن جديد و إسلام جديد ، هذا منطوق روايات واردة يتناقلها أئمة الحديث الذين يميزون بين الغث والسمين ، وبين الصدق والكذب الذين لا يعرفون الافتراء ، وهنا نبدأ بالسؤال عن هذا الجديد الذي يأتي به حفيد الرسول صلي الله عليه واله ، وما هو هذا القرآن الجديد وما هو الدين الجديد ، هل هو دين جديد يختلف عن هذا الدين الذي آمنا به وآمن به آباؤنا وأجدادنا من قبل ؟ وهل يختلف عن الدين الذي جاء به الرسول صلي الله عليه واله حقيقة وجوهرا وشكلا ، وما هو ذلك الدين ؟ أليس هو الإسلام ؟

إن الدين لواقع ، ومتي يتحقق الوقوع ؟

هذا صوت واحد من أصوات القرآن ، وهو يهتف منذ أعوام إن هذا الدين سوف يستلم الحكم بشكل جماعي وشمولي ، وهو ينادي بأنه شريعة العالم وهو للعالمين . فهل تحقق ذلك ؟ وهل يقع ذلك ، أهو ممكن الوقوع اليوم ؟

وإذا كان القرآن يعلن أن هذا الإسلام هو دين البشرية في أمسها وغدها ، فهل دانت البشرية والعالم أجمع بهذه الشريعة ، وهل وصل الإسلام إلي القارات ؟ فمتي يقع ذلك ، وما معني الوقوع ؟ هل للأمة

1- ن قصيدة للشاعر الحيدري قرأها في ميلاد الإمام المهدي عليه السلام .

تنتظر يوم بدأ الرسول صلي الله عليه واله يعلن دعوته فبشره القرآن بالنصر وإن الدين يقع ؟ الإسلام دين طموح إلي أن يدعو جميع الإنسانية ، وفلسـفة هذا الطموح منذ أيامه الأولي ، وفي الإسـلام نصوص كثيرة وآثار واردة وكلها تعلن عن هذا الطموح الإسلامي الواسع. أن يحكم الإسـلام البشـرية ، أو كل بني الإنسان حكما عادلا شاملا وينشر السعادة في الأرض ، يحكم الإسلام لا لأغراض توسعية كما يسعي لذلك غيره في الأحكام والأهـداف . ليس الإسـلام يهدف لذلك وليس هو حكما قسـريا . وهذا ما أكده القرآن ودعاة الإسـلام وأئمة الهدي ، وما ورد عنهم عليهم السـلام من أخبار بأن هناك زمان قادم وهناك عصـر شـريعة منتظر وإمام عادل يحكم في الأرض ويختلف عصره عن باقي العصور وحتي عن عصور الأنبياء حتي قيل تسود العدالـة الـدنيا شـرقها وغربها ، ويطبق حكم الله في الأرض ، من هو ذلك المنتظر الـذي تنتظره البشرية والذي بشرت به الأديان جميعا ، من هو ؟

هل هو السيد المسيح عليه السلام الذي يعود للأرض ليحكم من جديد ؟ أهو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ؟ وهل هذا تفكير جديد ولـد في عصور متـأخرة أو هو نـابع من حقيقـة الإسـلام، ولا بـد من الإيمان به، والأخـذ به ؟ ومن خالفه أو رفضه أو شك فيه هل خارج عن الإيمـان ؟ هـذا مـا سـنمر عليه في رحلتنا الجديـدة ، ونقطع فيها مسافات فكريـة طويلـة ، و موضوع بحثنا هـذا هو عودة الإسـلام للحياة ، واستلامه الحكم الشامل، ولا أريد أن أتحدث عن الإسلام بأنه هو الدين الأفضل ،

أو دين التكامل الفكري في الأرض ، أو هو نظام عدالـة وحكم عـدل وإنما أحاول أن أضع بين يـديك قوة الإسـلام واسـتمراريته وخلوده في الحياة ومحاولـة تطبيق الإسـلام علي يـد حاكم عادل يأتي ليملأ هـذه الـدنيا عدالة ، وهو إمام من شـجرة متحدر من سـلالة الأنبياء عليهم السلام من ذرية خاتم الرسل صلي الله عليه واله وهو محمد المهدي بن .. بن .. بن ..

وهذا ما أجمع عليه المسـلمون في كل عصورهم علي أنه من ذرية الرسول صلي الله عليه واله ، وقد آمنت الأجيال المسلمة به ، وإنه أصبح ضرورة اجتماعيـة ولا بدية الوقوع تفرضـها الحياة العامة ومسـيرة الإنسانية في مراحل وجودها، الإنسانية التي اكتوت بآلام الحكام واسـتبداد الجبـابرة ، وإنه يـأتي لتحقيق العـدل الإـلهي في الأـرض يـأتي يملأ هـذه الـدنيا « يملأها قسـطا وعـدلا ». وهو ما يقال له عنـد المفكرين المحـدثين عودة الإسـلام إلي الحيـاة أو عودة الشـريعة للحكم وبها إحياء الأمـة بعـد موتها، وبناء هـذه الأمـة وإعادة وجودها أو قل إتيان وجودها وظهورها بعد الخفاء والانعزال عن الحياة وبعد ذلك ترتفع ارتفاعا متناسـبا مع حضارتها وشـريعتها. وكانت الأمة ترتقب ذلك منذ الزمان الأول (1).

ص: 100

1- تكاد الأمة الإسلامية أن تجمع علي ظهور امام منها وهو الذي يدفعها دفعا ويعيد مجدها.

لماذا الإمام المهدي عليه السلام ؟

ويتساءل الشاب وبعقلية : لماذا المهدي ؟ وإذا خرج فماذا يحقق للدنيا وللمسلمين . والإسلام شريعة تحمل الطاقات الجبارة لو فجرت النعمت البشرية في ظل الإسلام، وهي ثروة من الأفكار، فلماذا المهدي ، وهل هناك حاجة لذلك، وما هو الداعي لذلك ؟

وما دام الإسلام دينا تكفل بكل حاجات الحياة وهو كامل ووحدة متكاملة لم يهمل شيئا ولم يغفل شيئا ، وما دام القرآن بين المسلمين وفيه تبيان كل شيء وقع أو يقع وحدث أو سوف يحدث ، وما دام القرآن هو القرآن ، وما دام محمد هو الرسول، وما دام حلال محمد حلال وحرامه حرام فهل هناك حاجة لهذا الإمام المهدي ، فماذا يغير وماذا يبدل وماذا يشرع، وظهوره والانتظار لخروجه وماذا يأتي به هذا الإمام المرتقب ؟ وماذا سوف يحقق للإنسانية ، وهل يأتي بدين أوسع من الإسلام، وهل يأتي بدين غير الإسلام يتلاءم مع البشرية القادمة ؟

وهل يأتي بقرآن جديد، ودين جديد ، أقوي وأوسع مما جاء به الرسول محمد صلي الله عليه واله ؟

وهل يأتي بدين غير الإسلام و قرآن غير القرآن ؟ وإذا قلنا بذلك معناه إنه شيء جديد وليس إماما ، وإذا قلنا إنه سوف يخضع البشرية الدولته كما نطقت به الأخبار وإن البشـرية يسودها وتطيع أمره وتنتشـر لعدالة في كل الدنيا ويملأ الأرض ، والامتلاء معناه يطبق ذلك شرقا وغربا ، وهل هـذا تحقق للرسول محمـد صـلي الله عليه واله ؟ أو للأنبياء عليهم السـلام من قبل إن هـذا أو ذاك قاله ويقوله الشاب المثقف الشاب المتردد الذي يعيش الشك والقلق والتباعد عن الدين وعدم قبول هذه القضـية إلا بأدلة منطقية من وحي الأفكار المسـتقيمة ، هذا ما وجدناه وأدركناه في حياتنا ، وبدأنا الحوار بين مجموعة من هؤلاء

اللقاء الأول الجديد

ونبـدأ هذا اللقاء وهو الأول مع هذا الشاب الشاك في موضوع الإمام المهدي عليه السـلام وبموضوعية وبحرية في القول وبجرأة في الكلام. ونحن نحاول رفع الشك وغرس اليقين وبناء عقيدة وجلاء الحقيقة المستقرة .

وقبل البدايـة في الحوار نقول لهؤلاء الشـباب المثقف كما يدعي نبدأ حديثنا معكم ، إذا آمنتم بالدين صدقا وحقا وإن الدين من ضـروريات حياة الإنسان ولا يسـتطيع الإنسان أن يعيش بلا دين، وإذا كنتم أحطتم بالـدين وأدركتم الواقع والحقائق الدينيـة ، أما إذا كنتم قد أخذتم منه بطرف قلدتم السلف في أمور الدين ، فلا نبدأ الحوار ولا نصل إلي نتيجة مقبولة قطعا . وهذا ما عليهشبابنا اليوم، فقد أغفلوا كثيرا من المسائل الجوهرية من هذا الدين الخالد دين الحياة وبدأوا الجدال « وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًي وَلَا كِتَابٍ

ص: 103

مُنِير » (1) وهو يجادل في إمامة المهدي ولم يدرك أهمية الإمامة في الدولة الإسلامية ، والإمامة هي قوام الدين واستقامة الأمور الاجتماعية بها ؛ لأن الإمام قائم وهو امتداد للسلطة الدينية في الدولة الإسلامية ، وبدأت الإمامة ودورها الاجتماعي بعد رحلة النبوة ، والرسول صلي الله عليه واله هو الذي عين خلفاءه من بعده، وقال صلي الله عليه واله : الخلفاء من قريش ، وعدهم اثنا عشر خليفة ، وآخرهم هو المهدي عليه السلام وقاطعني شاب قائلا : وهل المهدي عليه السلام يملك من القدرات ويحقق المعجزات ويأتي للبشرية ما لم تأت به أنبياء الله عليهم السلام من قبل ؟ وهل هناك معجزة يأتي بها وبها ينتشر هذا الدين في الدنيا ؟ ولماذا يعطي ذلك المهدي من الامكانيات دون جده الرسول صلي الله عليه واله من قبل ؟ ولماذا قيد الرسول الإمامة بعدد معين ولم يقل الأئمة «عشرون إماما» ؟، وما دام هذا الدين استمراري الوجود وما دامت البشرية به لا غني لها عن هذا الدين ولا يمكن الحياة بلا سلطة قائمة ، السلطة التنفيذية علي هذا الدين فالإمامة ضرورة من ضروريات الحياة السياسية . إذا الإمامة ضرورية واستمرارية فلماذا اثنا عشر إماما فقط ؟

وهل تنتهي الإمامة لهذا العدد أو لا حاجة للإمام في ذلك الزمان ، وهل ترتقي الأمة فعندها تسير أمورها بغير سلطان أو حاكم لأنها ترتقي فكريا وعندها ينتهي دور الإمام ، فلا إمامة ولا نبوة في ذلك العصر،

1- الحج : 8.

وهذا هو خارج عن منطق الدين ؛ لأن التكليف لايسقط والأمة تحتاج لقيادة، وإن تطبيق الأنظمة في الأمة من قبل السلطة قطعا وهو الإمام ...

ص: 105

مع المشككين في قضية المهدي عليه السلام

وكثر الشاكون والمشـككون والمترددون وتكاثروا في هذا العصر، فالعجب من رجل مسلم قد عرف الإسلام وتثقف بثقافة إسلامية كيف لا يهضم قضـية الإمام المهدي عليه السلام ، ولم يعها حق وعيها . أنا أعجب منه كيف يشك بإمامة المهدي ، مهدي هذه الأمة ، وكيف يتردد بخروجه وقيامه بالأمر، كيف وقـد أجمع عليه (1) المسـلمون في كل العصور الإسـلامية وقد سجل الباحثون من علماء الحديث قوائم في إحصائيات من أسـماء علماء العامـة الـذين اعترفوا به وبظهوره وأنه من ذريـة الحسـين عليه السـلام ، ورووا فيه الروايات الكثيرة عن الرسول صلي الله عليه واله إن صـح هـذا القول ، فلا شك ولا ريب فيها وقـد ملئت الكتب الإسـلامية بالأحاديث والروايات وبـدأت حملة جديدة يقودها رجل أو أكثر من

1- فلا يخلو كتاب من كتب الإمامية إلا وورد فيه حديث وبشارة عن الإمام المهدي عليه السلام .

رجل وهو يعلن الإسـلام ويقول : أنا رجل مسـلم عرفت الإسلام واعترفت بالخلفاء بعد محمد صلي الله عليه واله ويؤيد العلماء من العامة ولا يتردد برواياتهم لأنهم رجال صـدق وهم علماء صادقون ولا يتسـرب الشك إليهم، ولم ذلك الشك في قضـية المهدي ويطرح الروايات (1). وأعجب من ذلك رجل آمن بالإمامـة بعـد النبوة واعترف بآل البيت عليهم السـلام أئمـة وقادة بعد الرسول صـلي الله عليه واله واعتقد بالإمامة وضـرورة وجود الإمام واعترف بعلي قائدا شـرعيا وإماما ، ومن بعده اله الأحد عشـر إماما وأدرك أن الحياة لا تستقيم بغير قيادة أبدا، فعلي عليه السـلام إمام بعد الرسول ومن بعده الحسنان والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والحسن عليهم السلام . اعتقـد بهؤلاء الأطهار قادة لا يدانيهم أحد في الفضل. ثم إذا هو وصل إلي الإمام الثاني عشـر الإمام المهدي عليه السـلام تردد وشك فيه ، كيف وقـد نص عليه أبوه وأجـداده وبشـر به الرسول صـلي الله عليه وسـلم ، وتحـدث عنه الأئمة وأخبروا عنه . وقد قرأنا كلمة المهدي عليه السلام علي لسان كل إمام منهم ، البداية من علي عليه السلام حتي الإمام العسكري عليه السلام ، فنحن نؤمن بإمامة علي عليه السلام دون الحسـنين أو نعتقد بإمامة الحسنين دون السجاد عليه السلام ، وقد حصل النص عليه من قبل أبيه وجده علي عليهما السلام ، فالنص موجود ومروي ومدون في الموسوعات والصفحات ولا ريب فيه ، ونحن نقول بإمامة الإمام لأنه عالم صادق

1- غزت الأسواق الإسلامية حملات مشبوهة تشكك في الإمام المهدي عليه السلام .

معصوم منصوص عليه بالإمامة ، ولا نأخذ ونلتزم بإمامته كاملة ونتردد في حديثه وبشارته عن المهدي عليه السلام ونطرح الرواية الواردة عن علي عليه السلام أو عن الصادق عليه السلام أو عن الرضا عليه السلام فيها بشارة بخروج إمام يقود الأمة ويثور في وجه الفساد، ونحن إذا طرحنا روايات هؤلاء العلماء المذكورة في الكتب الإسلامية المروية عن آل البيت عليهم السلام عندها ننسب إليهم الوضع ونحذف هذه القوائم من الأحاديث وهي صحيحة السند والمتن ، كيف ورواتها من الثقات ، وهل نقول إن هؤلاء الرواة اتفقوا وتواطئوا علي وضع هذه الروايات ونسبتها للمعصوم، ثم جاء هؤلاء العلماء التقاة فدونوها في رسائلهم ومؤلفاتهم وهم في عصور مختلفة وبين هذا وذاك فجوة زمانية وبعد مكاني كيف تقول ذلك وهم ممن عرفوا بالورع والتقي والإيمان والقداسة (1).

ونتساءل مع هؤلاء المشككين عن بواعث الشك، ولماذا هذا التشكيك في قضية الإمام المهدي عليه السلام دون غيره وهناك قضايا أخري قد تصطدم مع العقل وهي كذلك، ولكن الشباب المثقف نراهم قد آمنوا بها واعتبروها من المسلمات ومن البديهيات ولا تردد فيها وهي لا يدعمها برهان منطقي.

1- وقد ألف في موضوع المهدي من الإمامية الكثير من الثقات رسائل ومؤلفات كالطوسي والمفيد... أما العامة فلا يخلو كتابا من كتبهم إلا وفيه رواية أو أكثر ، إلا وهي تبشر بظهوره وإنه من ذرية الحسين عليه السلام ، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا.

كيف تكون الحياة بعد ظهوره عليه السلام ؟

كيف يكون الإنسان أخلاقه وعلاقاته الاجتماعية ، وكيف تكون الأمة في وجودها ونموها وظهورها علي مسـرح الحياة ومن أبرز ما يقال عنه صـاحب العصـر والزمـان ، فعصـره وزمانه يختلف عن العصور الإسـلامية السابقـة والحياة تختلف عما تقـدمه من تموجات واضـطرابات ومخاوف ومتابعات وملاحقات.

ومعني ظهوره بروزه في الميدان السياسي ووجوده الذي يراه هذا وذاك وممارساته ومشاركاته لمأساة الأمة وما مر عليها من محن وأحداث ، فيضـمد جراحاتها ويزيل فقرها وما عرض عليها من ذبول وانـدحار، ومعني ظهوره (1) في الميدان العام أن ذلك يمثل وجها جديدا مشـرقا لهذه الأمة ووجودا جديدا لها وتطورا في عمرها الفكري

1- وهذه شبهة تغلغلت في الأذهان أنه إمام غائب وليس هو بغائب ، أي خفي مستتر في الزوايا

والسياسي الجديد ، ويمثل مرحلة من أفضل مراحلها التي تطمح بالوصول إليه وتسعي في حركتها للارتقاء في سلم الرقي ولا ترتقي الأمة إلا بقيادتها ومفكريها ، وهو القائد المفكر المؤمل المرتقب ويمثل أفضل دور في أدوار هذه الأمة في قوتها ورقيها ونموها وتقدمها في الميادين الواسعة ولكل أمة عمرها ولكل أمة أدوار حياة بعد الولادة والنشأة ولكل أمة ازدهار واندحار ، ونجاح وإخفاق ، ولكل أمة مراحل ومسيرة في هذه الحياة في عمرها الزمني ، فهذه الأمة يوم ولدت في مكة ويوم نمت في المدينة ويوم ازدهرت سادت وبنت وشادت و حكمت وأوجدت لها كيانها في العصور اللاحقة وأفضل دور من أدوار مسيرتها ورقيها ووجودها هي وصولها إلي مرحلة التكامل والكمال الفكري والسياسي بظهور هذه القيادة الوارثة الشرعية المحكة الواعية الحاوية العادلة المطمئنة المتمكنة ، وقد دعت الأمة في ساعات عبادتها بذلك : « وَ تَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَي طَاعَتِكَ وَ الْقَادَةِ إِلَي سَبِيلِكَ وَ تَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ » إن ذلك من الأمور الحتمية الضرورية التي يريدها الله لعباده المؤمنين ومن أجلهم خلق الأرض وأباح الطيبات ، وجعل لهم هذا الدين آخر الأديان ، وهذه الأمة قد مرت بمراحل وسوف تقطع مراحل جديدة في المستقبل وتظل تسير وتتحرك وتتعثر وتتفاعل وتمر بأزمات ومتاعب حتي تصل إلي درجة ومرحلة من نموها وشأنها شأن الأمم الأخري حتي ترتقي ، وأفضل وأقوي دور من أدوار حياتها بقيادتها الحكيمة

الرحيمة وتقدم الأمة إنما هو بقيادتها واتحادها وحيث نعيش غيبة القيادة وهو عصر ما بعد الغيبة فالأمة في ركود وسكون وهمس وصمت حتي يقترب الفرج وتتقارب الأمور وتنتهي فترة الغيبة ، وإن طالت وامتدت ولكل بداية نهاية وحيث غيبة القيادة عنا فنحن في حال كما تري وسيجعل بعد العسر يسرا ولا تبقي الحال كما هي، وربك هو الذي يكيف ويبدل ويغير الأحوال الاجتماعية وهي كما تراها وهي ما عليه من حيث التمزق والانطوائية و.. و.. والسبب هو غياب القيادة عنها ، فلو كانت القيادة الشرعية المجعولة بالجعل الإلهي فإن الأمة تبصر طريقها في مسيرتها ، فإذا كان الجعل من الله وهو الجاعل وهو المختار، فإن الأمة في نجاحات في خطوات مسيرتها للأمام، للأفضل، للفتوحات « وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَي الَّذينَ استُضعِفوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُمُ الوارِثينَ » (1) ، فهو الذي يختار، هو الذي ينتقي ، ويجعل نورا في طريق هذه القيادة لتبصر طريقها . « وَإِنّ الدّينَ لَوَاقِعٌ » (2) شاءت الأقدار واختلفت الظروف وتشابكت قوي الشر فإن الله هو الذي ينصر أولياءه ويسددهم في الحياة كما حصل وتحقق من قبل ومن بعد « لِلّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » (3) إن هذه الأمة خير أمة أخرجت ، هذه لغة القرآن ، وهذا مدح

1- القصص: 5.

2- الذاريات: 6.

3- الروم: 4.

الله لهذه الأمة ، وهي التي عبدت الطريق في مسيرتها واستطاعت أن تطور نفسها وترتقي في أيامها التاريخية المشرقة ، فهي بالأمس كانت العنوان الأمثل بين الأمم شهدت بذلك لها أمم الأرض في شرقها وغربها وهابتها أمم الأرض الفرس ؛ وما تملكه من حضارة طويلة ومدنية قوية ، والروم وكثرة أعدادها ، والأمة وقرآنها ، والأمة وأصواتها الخمسة في الليل والنهار : أشهد أنه محمدا رسول الله ، هذا الصوت الثاني الذي تطلقه الأمة بعد الشهادة الأولي وكلمة الشهادة هي الشاهد والشهيد علي علاقتها بالله وترابطها وتركيبها وبناء هيكلها إنها شرف الأنبياء عليهم السلام ، إنها أمة القرآن .

فقد مرت بتطورات وعهود متباينة مضطربة وأيام مختلفة وأيام إسلامية مقبولة ، فهي بين مد وجزر، وهي في عصر القرآن ونزوله وطوفانه وأنواره المشرقة التي أنارت وأضاءت في نفوسها وعقولها ، وعصر النبوة عصرالقوة والوجود ، ثم عصر الخلفاء ، ثم عصر الجمود والاندحار والانقسام، ثم عصر الظهور، ثم عصر سقوط الدولة الكبري ، ثم عصر التجزئة والحدود الوهمية والحواجز الموضوعة والطائفيات الجارحة، تبقي هذه الأمة تعيش هذه الحياة المتموجة ، أو تنهض وتستعيد مجدها والرسول صلي الله عليه واله قد حرها ونبهها وهو يشبه هذه الأمة بالشجرة في حديثه في حجة الوداع : « اعلموا رحمكم الله إن مثلكم في هذا اليوم كمثل ورق لا شوك فيه إلي أربعين ومائة سنة ، ثم يأتي من ذلك شوك وورق إلي مائتي سنة ، ثم يأتي من بعد ذلك

شوك لا ورق فيه حتي لا يري فيه إلا سلطان جائر وغني بخيل ، أو عالم راغب في المال ، أو فقير كذاب ، أو شيخ فاجر ، أو صبي وقح ، أو امرأة

رعناء.

فسأله سلمان متي يكون ذلك ؟ فقال :

« يا سلمان ، إذا قلت علماؤكم ، وذهب قراؤكم، وقطعتم زكاتكم ، وأظهرتم منكراتكم ، وعلت أصواتكم في مساجدكم، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم، والعلم تحت أقدامكم، والكذب حديثكم ، والغيبة فاكهتكم، والحرام غنيمتكم، ولا يرحم كبيركم صغيركم ، ولا يوقر صغيركم كبيركم ، فعند ذلك تنزل اللعنة عليكم ويجعل بأسكم بينكم، وبقي الدين بينكم لفظا بألسنتكم » (1).

أليست هذه الأمة ينطبق عليها هذا الحديث ، وهي كما هي عليه اليوم، وهي كذلك ، فإن بقيت علي هذه الحال ولم تستعد لتستعيد المفقود منها المأخوذ من تراثها والمسلوب من حقوقها .

وقد تحدث الرسول صلي الله عليه واله كثيرا عن الأمة وحذرها وأشار لها بعدما عبد الطريق لها في مسيرتها ، فإن هي كما أرادها كانت هي الأمة الباقية النامية في دنيا الأمم والحضارات ، وقد تحدث الرسول صلي الله عليه واله عن المستقبل قبل وقوعه وحدوثه وأخبرعما يقع قبل أن يقع ،

1- جامع الأخبار: 161، ط . ايران ، وللحديث صلة أخذنا موضع الحاجة منه.

وعن الأحـداث والحوادث قبل حـدوثها وإحداثها ، وعما يأتي من موجات من الضـلالات والفتن والمشاكل والأحداث التي تجتاح البلاد وتضـطرب الناس عندها ، وقد تحدث عن ذلك كثيرا ، ولكن الرسول صلي الله عليه واله دعاها للاعتصام بحبل الله والالتزام بشريعته لتقطع مسـيرتها وتحافظ علي وجودها وكيانها وبعـدها ينكشف البلاد وبعد ذلك مرحلة الانتصار والفرج فأي مرحلة تلك التي ترتقبها هذه الأمة . إن هـذه الأمة هل تعلم بما حدث عليها ووقع أو سـيحدث ويقع أهي نائمة أو تعيش في غفلة وركود، متي وإلي متي وإلي أين وقد حذرهم الرسول صـلي الله عليه واله من قبل فلم يأخذوا بما قال وأخبر وحذر وأنذر وبشـر وهو الصادق وهو البشـير النذير ، قال عبدالله بن مسعود ، قال لنا رسول الله : « أحذركم سـبع فتن تكون بعدي : فتنة تقبل من المدينة ، وفتنة بمكة ، وفتنة من اليمن ، وفتنة تقبل من الشام ، وفتنة تقبل من المشرق ، وفتنة من قبل المغرب ، وفتنة من بطن الشام » (1).

ومن أحاديث الرسول صـلي الله عليه واله عن أمته ، وعن القضايا المستقبلية وما يحدث عليها في المستقبل البعيد والقريب وكما أخبر وقع وحدث . يقول صلي الله عليه واله : « يكون في أمتي أربع فتن ، فالأولي يصيبهم فيها بلاء حتي يقول المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، والثانية حتي يقول المؤمن : هذه مهلكتي ، والثالثة كما قيل انقضت تمادت الفتن ، والرابعة تصيبهم

1- الملاحم والفتن لابن طاووس : 16.

إذا كانت الأمة مع هذه مرة ومع هذا مرة ، فلا إمام ولا جامع » (1).

ومن أحاديث الرسول صلي الله عليه واله : « تكون فتنة يعرج فيها عقول الرجال حتي لا يكاد يري رجلا عاقلا » .

وفي حديث آخر عنه قال صـلي الله عليه واله : « لا يطلع من قرن الجور شيء إلا مات من العدل مثله ، ثم لا يطلع من قرن الجور شيء إلا مات من العدل مثله ، ثم لا يطلع من قرن الجور شـيء إلا مات من العدل مثله ، حتي يولد قوم لا يعرفون إلا الجور، ولا يعملون إلا به ، ثم إن الله تبارك وتعالي يعطف علي خلقه فيأمر قرن العدل أن يطلع رأسه ، فلا يطلع من قرن العدل شيء إلا مات من الجور مثله ، ثم لا يطلع من قرن العدل شيء إلا مات من الجور مثله ، حتي يولد قوم لا يعرفون إلا العدل ولا يعملون إلا به » (2).

يفهم من هذا كله أن الرسول صـلي الله عليه واله البشـير الصادق الذي اطلع علي المستقبل ونظر فيه ، وأخبر بانتصار العدل والعدالة ، ومن بعـدها الحياة السـعيدة والسـعادة في دولة القرآن وانتصار الحق وأهله، فقد أطل الرسول صـلي الله عليه واله علي هذه الدنيا من نافذة معينة وعرف وأدرك ورأي وكشف عن بصـره ما يحـدث من تطورات وموجات في الأزمنـة القادمـة ، وعرف نهاية الأمر وما يجري وما يحدث من بلايا واختبار

1- الملاحم والمتن لابن طاووس: 17.

2- المصدر المتقدم : 122.

و مشـكلات ثم عودة الناس وتراجعهم إلي هـذا الشـرع وانتصار النظام الإلهي بين الأنظمـة التي حكمت ثم انـدحرت ، ولا بد من انتصار الحق، ولا بد من اعتراف الإنسان بخطئه وإن قطع مسافة علي غير هدي ، وعندها يتراجع ولا بد من الرجوع والاسترجاع إلي الله وإلي الحق وفي حديث النبيوضوح وتوضـيح وحديث النبي هو المرآة وهو المؤشر عن هذه الحياة الآتية القادمة التي ستنتهي إليها هذه الأمة إذا أدركت أخطاءها وعرفت أسـباب ضعفها وتأخرها وهزيمتها وعندها يمتلأ الإناء بمعين وشراب عذب فرات ، متي يكون ذلك والدنيا قد أظلمت فلا صدق ولا وفاء ولا أمن ولا أمان .

إن ذلك واقع في دولة الحق إذا حكمت وهذا معني ظهوره ومشاركاته العامة والخاصة ، فقد ورد في الأحاديث الصادقة المبشـرة « إن الشاة لتسـرح مع الـذئب » ، « إن السـماء تمطر الـذهب والفضـة » ، « إن الزكاة يطوف بها الغني ويصوت فلا يجـد فقيرا جائعا »، الناس في أمن وأمـان وراحـة فلا سارق ولا اعتـداء حياة ملؤها الخير « يملأها قسـطاً وعـدلا كما ملئت ظلما وجورا » ، « تمطر السـماء مطراً كعهـد آدم وتخرج الأرض بركتها وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعشه قبل ذلك في زمان قط » (1).

1- الملاحم والفتن لابن طاووس: 125، حديث نبوي مشهور قابل للتأويل والتوضيح.

وفي حديث النبي صلي الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري : « يملأ الأرض قسطا وعدلا ، وتنبت الأرض نباتها ، وتمطر السماء مطرها، وتنعم أمتي في ولايته نعمة لم تنعم مثلها » (1)، وقد تسألني عن حالة الناس في هذه الدنيا بعد ظهوره وانتصاره و بعد القضاء علي أعداء هذا الدين ، وهذه الأمة بعد ذلك تغير الدنيا والناس فتغير نفسية هذا وذاك ، يقل جشعهم وتعم العدالة والمساواة بين الأفراد، فالجائع يشبع، والمظلوم قد استرجع حقه ، فلا تقية ولا مجاعة ولا ضيم ولا ذلة وهي أيام العزة والكرامة ، فالعزة لله ورسوله وللمؤمنين .

وفي حديث النبي صلي الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري : «أبشركم بالمهدي

يبعث في أمتي علي اختلاف من الناس وزلزال أو زلازل، فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يرضي به ساكن السماء (وسكان السماء) يقسم المال صماخا ».

قلنا: وما الصماخ ؟

قال صلي الله عليه واله : « بالسوية بين الناس فيملأ الله قلوب أمة محمد غنا ويسعهم عدله ، حتي يأمر مناديا ينادي : من له في مال حاجة ؟ فلا يقوم من الناس إلا رجل فيقول أنا فيقول له : انت السادن يعني الخازن فقل له : إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالا ، فيقول له : حث يعني

1- الملاحم والفتن لابن طاووس: 127 ، وفيه صورة من صور الحياة الباسمة الضاحكة لأيام المهدي عليه السلام ، وكيف يعم العدل والسعادة والخير .

خذ حتي إذا جعله في حجره وأحرزه ندم ، فيقول : كنت أجشع أمة محمد نفسا ، قال : فيرده فلا يقبل منه، فيقول له : إنا لا نأخذ شيئا أعطيناه ، ثم قال : لا خير في الحياة بعده » (1).

1- الملاحم والفتن لابن طاووس: 126، وعبارة حث هو فعل أمر وله معناه واستعماله ، فإن الإمام يحث المال حتا، أي لا يعده عدة وهذا من سمات الحياة التي تعيشها الأمة في زمانه .

لقاء مع المؤمنين المعترفين والمعتقدين به عليه السلام؟

اشارة

وهؤلاء هم المؤمنون حقا ، هؤلاء ينتسبون إليه ، ويقال لهم الاثنا عشرية ،والإمامية (1) ، وبدأنا مع هؤلاء بحوار وبلغة تختلف عن لغة المشككين فيه وبوجوده وبخروجه.

فقال هؤلاء المعتقدين به بأنهم اعتقدوا به لأن الروايات الصادقة جعلته ورسمته لنا. فآمنا به نحن وآباؤنا، وسوف يسير أبناؤنا بذلك وهذا منطوق الروايات في تشخيص الأئمة بعد الرسول صلي الله عليه واله .

قال صلي الله عليه واله : «كلهم من قريش».

وقال في رواية : «اثنا عشر أميرا ، كلهم من قريش» .

1- وهم الفرقة الاثنا عشرية ، وليس في الطوائف الإسلامية فرقة غيرهم ، حيث يعتقدون بالأئمة عليهم السلام بعد الرسول صلي الله عليه واله ، عددهم إماماً بعد إمام، والإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر ، وهو إمام منصوص عليه ومعين باسمه وصفته ورسمه ووصفه أمام منتظر يخرج بعد غيبة .

وقال صلي الله عليه واله : « اثنا عشر خليفة ، أو في رواية : «لا يزال هذا الأمر ماضيا حتي يقوم اثنا عشر أميرا...».

فآمنا بهـذا العـدد ولا ينطبق إلا علي ذريـة فاطمة وعلي عليهما السـلام ... والإيمان بالمهدي ليس هو مسألة تقليد عشوائي أو متابعة الأبناء للآباء ، أخـذ الولـد عقيـدة أبيه وأمه وراثة ، أو الجد لأنها تقديس الموروث كما هو عند الشـعوب المختلفة إنما هي مسألة تعتمد علي برهان وتقوم علي دليل وعلي أساس معقول منطقيا ، وليس الإيمان بالمهـدي عليه السـلام المنتظر مسألـة إيمان تعبـدي أو تدخل في الغيبيات أو التعـديات . هـذا مـا وصل إلينا وسـري ونقل وسار عليه السـلف واعتقـده من كان قبلنا ، فعلينا الإيمان بوجود إمام مهـدي يقال له ، أو كما يقولون !! وليس الإيمان به لأنه لم نـدركه ولم نره وإن وصل إلينا رواية لا يكون ضـربا من الإيمان بالغيبة والإيمان بوجوده ولم نره نحن اليوم ولم يراه غيرنا من قبل والانتظار ليس معناه مسألـة تعبديـة يجب الأخـذ بها، ولكن من المسائل القديمـة وآمنا بها وهي مسألـة من المسائل الغيبيـة التي لم يعرف عنهـا شـيء وهي من الأمور الموهمـة أو الغيبيـة أو الخياليـة ويشـملنا قوله تعالي : « الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ » (1) ، والغيب مفهـوم عـام كـل مـا غـاب عن العقـل وعن الوجـود الظـاهري ولم تشـمله الرؤيـا وعنهـا تكون شبيهـة بالإيمـان بالأـمور الغيـبية باللامحسوسات

1- البقرة : 3.

واللامرئيات كالإيمان بالملائكة والجن والأرواح وكل ما لا تقع عليه العين ولم نر ذلك رؤية بصرية ، وهنا يقال قد تثاب علي هذا الإيمان وقد لا تثاب عليه . ثم بدأنا حوارا جديدا مع المعتقدين المؤمنين بقضية الإمام المهدي عليه السلام لنلمس دليلا مقنعا مقبولا لنأخذ به أو نطرحه أو نقف عنده ، فإذا سألنا هذا وذاك : لماذا آمنت بالولاية والإمامة بعد رحيل النبوة ؟ ولما تحب آل محمد صلي الله عليه وسلم ؟ ولماذا أخذت بمسيرتهم ونهجهم ؟ ولماذا اعتقدت بإمامتهم وإنهم اثنا عشر إمامة ؟ ولماذا المهدي هو الثاني عشر ، ومن قال بوجوده وبقائه وقد طال الزمن وامتد وبطول غيبته ؟ ولهذا الحديث مقدمة لا بد منها عن هذا الإمام الثاني عشر.

بعدما ارتحلت النبوة عن الأرض بعد عمرها الطويل بين الأمم بعد ذلك كله ختمت بخاتم الرسل، وارتحلت النبوة وتركت ثقة كبيرا وأفكارا وفلسفات وتركة جديدة لها أثرها وآثارها تكاملت واجتمعت واتصلت وتواصلت ونمت وكبرت وأصبحت ثقلا واحدا هو الإسلام هو الدين القيم ، هو الدين الحق ، هذه التركة الكبيرة قابلة للتقسيم والانقسام، وقابلة للتأويل والتحريف والفهم والوقوف عندها ، فقد يخطأ هذا الفكر وقد يصيب فيها قابلية الاجتهاد والتحليل إنها الشريعة ذات الحجم الكبير . إنها الإسلام الذي ختمت به الشرائع السابقة واللاحقة ، إنها حصيلة أزمان ودهور وتفاعلات وانفعالات وأزمات وعقبات وفترات متلاحقة شريعة بعد شريعة ونبي بعد نبي

وكتاب بعـد كتاب ، وجرت واجتمعت في بحر واحـد في ذهنيـة واحـدة علي لسان واحد في اطار واحد إنه الإسـلام فمن يقوم بهذه التركة ، وهـذا العقل الأكبر من هو يا تري الـذي ينهض بهذا الثقل الواسع وهذه الرسالة الكبيرة ومن هو أهل لذلك وأي عقل ومن يتمكن أن يكون خلفـا بعـد النبوة ويقوم مقام هـذا الرسول الراحل في التغيير والسـيادة وإدارة الشؤون العامـة والخاصـة من هو ذلك الفرد الكامل المتكامل المسـتقيم الذي ارتقي وتسـلق درجات الاستقامة فكان عقلا وقدرة ووعيا فيه الكفاءة الذاتية ليكون إماما قائدا لقيادة الأمة ، ومعني ذلك أنه إمام والإمام عليه المسؤوليـة وإدارة الحياة له وعليه يحمل العقليـة ، هو عقل الأمـة وهو المدير والمدبر للقيام بأداء وظائف النبوة في الأرض ليس ذلك الإنسان الذي تسـتهويه الأطماع ويسـتجيب للرغبات والمؤثرات من هو قل لي من هو ؟ دلني عليه ، أتدري من هو ؟ إنه الإمام ، إنه الفرع من النبوة ، إنه ذو النفس الكبيرة ، لاـ ينفعـل لأبسـط الأـمور، لا يغضب من أجل نفسه ، كما كان النبي يكون ، هو كبير النفس ، لا يغضب إلا من أجل الله ، لا يتعصب إلا من أجل نصـرة الله ، هو المستقيم لا تحركه الرياح مهما اشتدت، وهو الذي يقف عند السقوط إذا سقط غيره ، ولا يسـتجيب لرغبات النفس وطاعتها ، وهذا هو الاعتصام والعصمة ، من أراد أن يكون إماما ويجلس مجلس النبوة وليس ذلك ضربا من ضروب الاستحالة والخيال ، فمن استطاع أن بروض نفسه ويجاهدها ويتغلب عليها إنه هو الإمام ومن تغلب علي

نفسه فهو المنتصر.

وقد تسألني : لماذا كانت سلسلة الإمامة بهذا الرقم عندنا ، وليسعند غيرنا ؟

الجواب : ليس للأمـة دخل في الزيادة والنقصان والاضافـة والتغيير . والابدال والتبديل أو زيادة هذا العدد أو نقصانه مطلقا كما فعلت بعض الطوائف ولانـدري لماذا ، وإذا فعلت فقـد أخطأت كما حصل ذلك في العصور السالفـة ، ويدل علي ذلك أن هذا العدد (اثنا عشـر إماما) رواية صـحيح البخاري ، رواية مسـلم في صـحيحه ، رواية ابن طولون، رواية القندوزي ، رواية ابن حجر، رواية الشـبلنجي في نور الأبصار، انهم اثنا عشـر فقط من بعده صلوات الله عليه عدد لا زيادة ولا إضافة عليه ، فمن هم يا تري ؟ ولا ينطبق هذا العدد المقصود إلا علي الأئمة من ذريته ، فإن قيل لماذا اثنا عشـر إمامـة وعمرهم جميعا قصـير والـدنيا أطول والحياة أوسع والأمة يزداد عددها وتكثر مشاكلها ، فماذا بعد الإمام الثاني عشـر كيف تكون الدنيا فهل تحتاج إماما أو هي ترتقي وتدبر نفسها بنفسها وتدير شؤونها ؟ إنها اجتازت فترة الانتقال بعد ظهور الإمام الثاني عشر، كما صرح أستاذنا في بعض محاظراته (1) . وهم في حد سواء، واحد بعد آخر، هذا يأخذ عن هذا ، وهذا يرث

1- أستاذنا الحكيم، عندما سئل عن فترة الانتقال ، أجاب تنتهي بظهور الإمام الثاني عشر .

هـذا، وحـديث هـذا هو حديث من تقدمه ، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السـلام : « حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحـديث جـدي حديث الحسـين ، وحديث الحسـين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السـلام ، وحديث أمير المؤمنين حـديث رسول الله صـلي الله عليه واله ، وحديث رسول الله ، قول الله عزوجل » (1)، وهم في العلم سواء، وهم امتداد واستمرار لمدرسة النبوة في الأرض، لا فرق بين صغيرهم وكبيرهم (2) ، فهم مدرسة واحدة ، وحديث واحد، ومنطق واحد، وعقلية واحدة ، والصغر والكبر لا ـ يغير ولا ـ يبـدل ، فـإن كـان إمامـا حقا فهو إمام ، ولو كان ابن يوم واحـد أو ابن ساعـة ، كـذلك النبوة والأنبياء عليهم السـلام فهم مختلفون في أعمارهم ، ولا دخل لكبر السن وصـغر العمر في النبوة والإمامة ، وعيسي عليه السلام كان نبياً وتكلم وهو في المهد، وقد ورد عن إمامنا الجواد عليه السـلام وصـدرت مثل هـذه الكرامة فقال أبوه الرضا عليه السـلام : « إنه شبيه عيسـي » وقد جعل النبي هذ العدد من بعـده وقال : هم اثنا عشـر إماما ، وجعل النبي صـلي الله عليه واله هو جعل الله ، واختياره اختيار الله ، ومحمد صـلي الله عليه وسـلم قام بتنفيذ هذا الجعل وهو الذي رشح وأيد ونصب وأخبر أن خلفاءه هم اثنا عشر أسماؤهم

1- جامع احاديث الشيعة للسيد البروجردي 1: 180.

2- وقوله : صـغيرهم وكبيرهم تسامحا، فالإمام الصادق عليه السـلام كبير في السن، أما محمـد الجواد والحسن العسـكري عليهما السـلام الإمام الحادي عشر فقد كان عمره ثمان وعشرون سنة.

وصفاتهم وهم الذين يصلحون لقيادة الأمة وهممن بعده لا عشرة ولا عشرون، هم اثنا عشر إماما .

والسؤال : لماذا هذا العدد ولم يكونوا أقل أو أكثر ، ولو كانوا أكثر فما يكون ولماذا لا يكونوا خمسينا أو خمسمائة أو ألف إمام ما دامت الأمة باقية وفي طريقها إلي النمو في مسيرتها ومراحلها ومتطلباتها وما يدرينا ماذا تحتاجه الأمة بعد آلاف من السنين القادمة ، هذا وغيره محتمل ، ويقال ولكن ما يـدرينا كيف تكون الأمـة لو ظهر الإمام الثاني عشـر وطبق الدسـتور حرفا حرفا وأخذت الأمة ووعت واستيقظت وأدركت واقعها وتخلصت من الآثار والمتاعب والأزمات وأشرقت الحياة وأثمرت الأشجار وكثرت البركات .

أمـا أننا نسأل ونقول ونحن نعيش الزمن الحاضـر وكل سؤال له جواب ، وكل جواب رهين بالحياة الراهنـة ، ونحن اليوم نعيش الغيبـة الكبري وقد تذوقنا حرارة آلامها وآثارها الكثيرة في عناوين كثيرة في المحيط السياسـي والاطار الفكري وعشـنا الضعف والفقر وتحمل الأذي الذي لا يطاق وعشنا الولاية للفقهاء وغاب عنا الكثير وصبرنا علي ما هو أكثر (1).

1- عاش آباؤنا وأجدادنا والمؤمنون السابقون آلام ومتاعب الغيبة الصغري وهي محددة ليس بهذا الحجم والإمام له غيبتان : الغيبة الأولي ، والغيبة الثانية .

وهذا قول من بنان أفكارنا ، فالإمامة معناها إدارة الأمة وتعبيد الطريق في مسيرتها وقد جعل الله هذا الإمام آخر أئمة الهدي لحكمة ولسر قد لانـدركه ولاـ نصل إلي عمقه ولا نـدري ماذا يفعل وماذا يحقق من معجزات ويقيم من أمور معطلـة وكيف يجـد الأمـة وماذا يفعل وما دام الإمام والنبي في مسار واحـد وهـدف واحـد وقص واحـد وسـيحول ضـعف هذه الأمة إلي قوة ويبدل الفقر إلي غني ، فإذا آمنت هذه الأمة واطمأنت وأكلت من بركات الأرض فعندها تكون الحياة ربيعا .

والإمامة جعل إلهي ومن جعله الله واختاره لهذا المنصب الإلهي فهو أهل أن يسير الأمة هذا الطريق طريق الله فاسلكوه.

« وتريد أن من علي الذين استضيفوا في الأرض ونجعلهم أية وتجعلهم

الوارثين » (1).

وفي هذه الأمة المؤشرات والمنبهات والأنوار والخطوط البيانية أدعوك أخي أن تقف عندها وتقرأها وتعيد قراءتها من جديد فلعلك بعد ذلك تستلهم الأفكار الإلهية والدروس المقبولة فيها وعنها .

وفي الآيـة الفعـل جعل قـد تكرر مرتين وقـد تسألني أو أنا أسألك أو تسأل القرآن عن هـذا الجعل الأول هل هو الجعل الثاني زمانا ومكانا والمجعول لهم في الأول والثاني وبينهما خطوات وفجوات ، ومن هو المقصود بهذا الجعل الإلهي ، وفاعل الجعل الأول هو فاعل الجعل

1- القصص : 5.

الثاني وهو الله الـذي جعلهم أئمـة هو قـد جعلهم الوارثين للأرض أصـحيح ذلك أتؤمن بهـذا الجعل قل حقا وابتعـد عن المغالطات فإنها ليست من الـدين . ومن ملازمات الإمامـة التصـرف المطلق وملك من لا يملكه غيره بحسب ولايته ، فالنبوة والإمامة لها ذلك. النبي أولي بـالمؤمنين من أنفسـهم والأرض يرثها المؤمنون الأولياء العباد الصالحون ، فلماذا ذكر هـذا الجعل الثاني بعـد الجعل الأول أتـدري لماذا الجعل الأول كان في عالم أسـبق من الجعل الثاني وبعدما جعلهم أئمة واختارهم بعد ذلك جعلهم وهو الفاعل جعلهم يرثون الأرض في زمن مسـتقبل قادم متي يكون ذلك ولا بـد من ذلك إذا برز هـذا الإمام وظهر في الميـدان العملي ، في الميدان السياسـي، وإدارة الأمة ، إن ذلك واقع ، وإنه إذا طبق أحكام القرآن المعطلة وما أكثر المنجزات التي لم يقمها الرسول صلي الله عليه واله لأن الموت عاجله ، ولأن عمر الـدعوة محدود وحتي الأئمة من بعده ولكن هذا القائم ليحقق ويفعل ويأتي بما لم يأت به من تقدمه من آبائه وتنتظره أمور كثيرة وكثيرة وهو الثاني عشـر ويختلف عن الحادي عشـر وعن العاشـر ، وحتي عن الإمام علي الذي اسـتلم الخلافة والتقييد والنفوذ والتطبيق وشهر السيف وأقام الحدود وقاوم أهل الباطل في زمانه و ترك ثقلا كبيرا لمن يأتي من بعده تركه لولده الإمام الحسن والحسـين عليهما السلام لم يكمل ما كلف به ولم ينجز كل المنجزات وترك الأمر لابنيه ، فشـهر الحسـين عليه السلام سيفه ، وقاوم وجاهد وبذل وضحي وجاء دور ولده السجاد وجاء دور الإمام

الباقر ومن جاء بعده ، وكلهم مروا بأيام ساخنة فثبتوا وصبروا وتحملوا وبقيت أمور وأمور تنتظر هذا الإمام. وبعد الإيمان بالنبوة بالدليل القطعي والاعجاز والقرآن هو المعجزة . وبعد الإيمان بالنبوة . والتصديق يلزم ذلك التصديق بما قاله الرسول وصدر عنه من إخبارات وأقوال وتصريحات فقد أخبر الرسول كثيرا عن عدد الأئمة من بعده وعن ظهور المهدي وبشر به وأنه الإمام الثاني عشر وأن الخلفاء من بعده هم اثنا عشر إماما فما علينا إلا أن نصدقه وقد ثبت صدقه وهو الصادق وتجب طاعته ، وهو القائل بعد أن تملأ الأرض ظلما وجورا يملأها قسطا وعدلا ، وفي ذلك روايات كثيرة ومستفيضة رواها الفريقان ولا يمكن الشك فيها أو إسقاطها أو طرحها أو نفيها أو تكذيبها لأنها روايات مستفيضة مشهورة مذكورة في كتب المسلمين وليست في كتب الشيعة وحدهم وما أكثر هذه الروايات .

الروايات المذكورة في الكتب الإسلامية المتفق عليها والمصادر والكتب القديمة التي ذكرت المهدي ؛ وجوده وبقاءه وطول عمره واستمرار وجوده حيا إلي يوم ظهوره وخروجه بأمر الله في الوقت المناسب حسب مقتضيات المصلحة وهذا أمر من الله وعند الله ، وهذه المصادر كلها موثوق بها عند عامة المسلمين وهي وما ورد فيها وما ذكر فيها عن حديث النصوص والروايات فقسم منها يذكر أحاديث نبوية صحيحة حسنة موثوق بها والقسم الآخر فيه نصوص وبشارات وتأويلات للآيات القرآنية صدرت من الرجال الأعلام كابن عباس

وسـعيد بن جبير وابن مسـعود وغيرهم ، وقسم منهـا بشـارات قـد وردت في كتب الفريقين السـنة والشـيعة ، والقسم الثالث ما هي إلا آراء ومعتقدات وتصـريحات عن اعتقاد وإذعان و تصديق بظهور المهدي عليه السـلام وهي مسألة معترف بها متفق عليها منذ الأيام الأولي عن السـلف الصالـح ومتسالم عليها عنـد المسـلمين الأجـداد والآباء والأبناء والأحفاد وهم في قمة المعرفة والقداسة ولو كان فيها شائبة ظن أو احتمال أو مسألة مسـتحدثة أو خلقتها ظروف قاتمة أو حياة بائسة لسـقطت من الاعتبار كيف وقد وجد هؤلاء لها مصدرا وجذورا سـبقتهم وقـد غرست في أذهان من سـبقتهم وهي تحدرت وجاءت عن رسول الله صـلي الله عليه و اله وعن أبنائه المقدسـين الصادقين الذين عرفوا بالاسـتقامة والطهارة حتي عنـد أعدائهم ، ووردت عن الصـحابة الأجلاء الشـيوخ منهم الذين عرفوا بالورع والإيمان المسـتقر، ووردت عن التابعين الذين عاشوا وماتوا وما سجلت عليهم هفوة واحدة ، أو مخالفة أو ميل إلي الدنيا وأهلها وما استجابوا إلي ملذات الحياة وما أغرقتهم الزبارج والزخارف والملامع والقشور الماديـة الزائلـة الزائفة التي سـقط من أجلها ألوف من الرجال وهي فكرة كانت تجول في أذهان علماء المسـلمين الذين عرفوا بالموضوعية والحياد وهي متواترة من عصر إلي عصر ومن جيل إلي جيل وثابتة ومتسالم عليها ، وهي قضية إسلامية أصيلة رصينة مقبولة ، وهي من المسلمات المألوفة المأخوذ بها لا ريب فيها والكل آمن بها ورددها ورغب بها وتغني واطمأن

وجاءت علي لسان شعراء المسلمين الكميت ودعبل وفي جميع المحافل والمجالس ، فلو كان فيها شك أو غرابة أو قضية دخيلة لوقفت الأجيال ضدها واعتبروها من الأمور الجديدة المختلفة خلقها أفراد أو طائفة ، أو ولدت في جيل أو عصر، أو جاءت بها تيارات عن الشرق أو عن الغرب أو تفاعلات دينية نتيجة اللقاء والالتقاء والامتزاج والتلاقح والتأثر والتأثير كما وقع في هذا الوهم صاحب كتاب (فجر الإسلام) سامحه الله علي ما وقع فيه.

وهناك نصوص وتصريحات لو ذكرناها لطال بنا المقام وهي مذكورة في كتب الأخبار والأحاديث والروايات وهي نصوص لا يوجد فيها مدخل أو نافذة إلي ساحة الشك والاضطراب والتضارب أو التصادم مع جوهر الشريعة وهذه النصوص والروايات والأحاديث والبشارات والآراء المقبولة والتطبيقات للآيات القرآنية التي حاول كثير من المفسرين جعل المصداق لها هو الإمام المهدي عليه السلام فقد طبقوا وفسروا كثيرا من الآيات عليه ، وقسم منها يبشر بزمانه وظهوره قبل ظهوره و قبل تراكم الأحداث وقبل تفاقم الأزمات وقد حصلت أو في طريقها إلي الحصول والوقوع وفيها دلالة مقبولة ومؤشرات عن ظهوره ولا بد من ظهوره وهذه اللابدية قد حصل عليها الإجماع بعد الإجماع عند جيل وجيل آخر وزمن لاحق عن آخر سابق معمول به ومأخوذ بمصداقها ومعقولها لم يتوقف أحد ولم يقف عندها مطلقا :

- ذكر الترمذي في صحيحه 2: 270 قال : قال : قال رسول الله صلي الله عليه واله :

ص: 130

« لاتذهب الدنيا حتي يملك العرب رجل من أهل بيتي »

وورد أيضا في الجزء المذكور وفي الصفحة نفسها قال النبي صلي الله عليه واله : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتي يلي رجل من أهل بيتي ».

- وفي الصواعق لابن حجر ص 97: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم البعث الله فيه رجل من عترتي » .

وورد عنه صلي الله عليه واله : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتي يخرج رجل من أمتي ، يواطئ اسمه اسمي ، وكنيته كنيتي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ».

هذه الأخبار الموجودة المروية هل نصدقها أو لا نصدقها ، أما علماء المسلمين الذين عرفوا بالصدق والورع والأمانة ويؤخذوا بروايتهم ويرجع إليهم المسلمون في عصرنا ومن سبقنا ومن يأتي من بعدنا، هل يتهمون بالوضع والكذب في خصوص هذه القضية بالذات ونصدقهم في غيرها أم هم صادقون فيما قالوه وذكروه .

ـ صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم واعطف عليه سنن المصطفي لأبي داود سلمان بن الأشعر السجستاني واعطف عليهما صحيح الترمذي لأبي عيسي محمد بن سورة ، ثم اعطف عليهم الصواعق المحرقة للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي وعقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر لأبي بدر جمال الدين يوسف بن عيسي بن علي بن عبدالعزيز بن علي

المقدسي الشافعي والفتوحات الإسلامية للشيخ الإمام المتبع السيد ابن أحمد زيني دحلان والفتوحات المكية للشيخ أبي عبدالله محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن العربي الحاتم الطائي وكشف الظنون ومفاتيح الغيب للإمام محمد فخر الدين الرازي ومفردات القرآن لأبي القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الإصفهاني ونور الأبصار للشبلنجي وينابيع المودة في مودة ذوي القربي للشيخ سليمان القندوزي وغيرهم، وغيرها من المصادر الموثوق بها المعمول بها وقسم من الأحاديث التي تحدثت عن عدد الخلفاء وأئمة المسلمين ، وأن العدد الثابت المحدد الذي رسمه ورقمه وأثبته هو صاحب الرسالة وهي تجعل و تحصر الخلفاء بعد النبوة في اثني عشر إماما وخليفة لهذه الأمة بعد الرسول صلي الله عليه وسلم ، فماذا يصنع بها ؟ وعلي من تنطبق ؟ ومن هم هؤلاء الخلفاء الذين قصدهم الرسول صلي الله عليه واله بهذا العدد لا زيادة ولا نقصان وفي بعضها القائم المهدي عليه السلام بزمنه واسمه وصفاته وشمائله وما يفعله وما يصدر عنه من تصرفات ؟

وهذه الأخبار هي تثبت دعوي وادعاء من اعتقد بالأئمة اثنا عشر إمامة لا غير ولا تنطبق إلا علي الأئمة من أولاد الحسين عليه السلام وهم علي ومحمد وجعفر و موسي وعلي ومحمد وعلي والحسن والمهدي عليهم السلام ، ولا تنطبق علي غيرهم ممن تقلدوا وقادوا وحكموا وسادوا فإن العدد أكثر أو أقل وبينهم وبين الرسول صلي الله عليه واله أبعاد ومسافات وفجوات

فلا قربي ولا تقارب ولا انسـجام ولا مشايعة له في مسلكه وسلوكه وسننه وأخلاقه وآدابه وهذه قائمة من هذه الأخبار التي رويت عنه في عدد الأئمة من بعده :

. أخرج مسلم في صحيحه 6: 2 طبع مصر سنة 1224 في كتاب الامارة (باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش) عن جابر بن سـمرة ، بطرق متعددة أنه قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه واله يقول :

« لا يزال الدين قائما حتي تقوم الساعة ، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

. وأخرج أحمـد بن حنبل في مسـنده بطرق عديدة ، عن عامر بن سـعد بن أبي وقاص ، قال : كتبت إلي جابر بن سـمرة مع غلامي : أخبرني بشيء سمعته من رسول الله صلي الله عليه واله ، قال : فكتب إلي : سمعت رسول الله صلي الله عليه واله يوم جمعة عشية رجم ... يقول :

« لا يزال الدين قائما حتي تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » (1).

ومنهـا : عن مسـروق ، قال : كنا جلوسا عنـد عبـدالله بن مسـعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبـد الرحمن ، هل سألتم رسول الله صلي الله عليه واله كم تملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبدالله بن مسـعود : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألنا

1- مسند أحمد بن حنبل 2: 89، طبع مصر سنة 1212ه.

رسول الله صلي الله عليه واله فقال : « اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل » (1) .

ومنها : أخرج الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص 445 : عن جابر بن سمرة ،قال : كنت مع أبي عند النبي صلي الله عليه واله فسمعته يقول : « بعدي اثنا عشر خليفة »، ثم أخفي صوته فقلت لأبي : ما الذي أخفي صوته ، قال : «كلهم من بني هاشم» .

هذا ما ورد في كتب اخواننا المسلمين ، ونحن نأخذ به ، أما ما ورد في كتب الشيعة أنفسهم فكثيرة وكثيرة ، وردت عن أئمتهم أئمة الهدي والحق وهم أقرب للرسول صلي الله عليه واله نسبا واتصالا وقربا وسلسلة وأفكارا ومن هم ومن هو ، مثلهم أو يدانيهم ، وقد ألف علماء الإمامية الذين تقترب عصورهم إلي عصر الإمامة المؤلفات الكثيرة في موضوع الغيبة وإثبات الإمام المهدي عليه اسللام والانتظار وما يقع قبل ظهوره من فتن وما يحدث بعد ظهوره ، كالشيخ المفيد والطوسي والنعماني وغيرهم ومن هؤلاء من إشباع هذه المسألة وأزالوا الستار وهدموا كل الشبهات وما دخل وادخل في أذهان المسلمين في عصرهم وهذه كتبهم قد وصلت إلينا لو رجعت إليها وقرأتها :

وقد ذكر المفيد في كتبه الروايات التي صدقها واطمأن لها وهو شيخ جليل مصدق مقبول عند الفريقين في استقامته وعقليته ومشربه ومبانيه ، فقد ذكر الشيخ المفيد في الأمالي عن أبي خالد الكابلي قال :

1- مسند أحمد بن حنبل 1: 298.

قـال لي علي بن الحسـين : « يـا أبا خالـد ، لتأتين فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو منها إلا من أخـذ الله ميثاقه ، أولئك مصابيـح الهـدي ، وينابيع العلم ، فينجيهم الله من كل فتنة مظلمة . كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان في ثلاثمائة وبضـعة عشر رجلا ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، وإسرافيل أمامه ، معه راية رسول الله قد نشرها لا يهوي بها إلي قوم إلا أهلكهم الله عز وجل : (1).

وقـد ألف علماء الإمامية عشـرات ، بل مئات ، من الكتب والردود والمناقشات في موضوع الإمام المهدي عليه السـلام ، وقد ملئت الكتب القديمة والحديثة بأفكارهم وآرائهم ومعتقداتهم بهذا الإمام ، فهو من رسول الله صـلي الله عليه واله وباسم رسول الله صلي الله عليه وسلم ويخطو خطوات رسول الله صـلي الله عليه واله ، ولغته وأفكاره ودعوته ومسيرته فهو عن رسول الله صلي الله عليه واله وإلي رسول الله صلي الله عليه واله وعلي منهاج رسول الله صلي الله عليه واله وقد ورد : « إذا ظهر نشر راية رسول الله لا يهوي بها إلي أحد إلا أهلكه الله » (2).

وقد ورد : « إذا خرج خرج بسيف جده » .

وقد ورد : «إذا خرج الإمام القائم حكم بين الناس بحكم داود وحكم محمد».

وإذا خرج كانت الدنيا كلها تدين بدين الإسلام، وهذا ما بشر به

1- أمالي المفيد : 26، ط. النجف الأشرف.

2- نور الأنوار: 202.

سعيد بن جبير عندما سئل عن هذه الآية : « لِيُظهِرَهُ عَلَي الدّينِ كُلِّهِ » (1) ، قال هو الإمام المهدي عليه السلام ، كما في ....

وورد في الخبر: « إذا خرج الإمام القائم لا يترك بدعة إلا أزالها، ولا سنة إلا أقامها ».

وقد ورد : «إذا خرج المهدي لم يبق أهل دين حتي يظهروا الإسلام »، وبخروجه تطهر الأرض من النفاق والطائفية والضلال والتضليل والتفسخ ودعاة الرذيلة والاستعلاء والكذب والاعتداء وسفك الدماء ومن ينشر الضلالات بين المسلمين :

عن حذيفة بن اليمان ، قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه واله يقول : « يميز الله أولياءه وأصفياءه حتي تطهر الأرض من المنافقين والضالين وأبناء الضالين » (2).

وإنما سمي القائم مهديا لأنه يهدي إلي أمر مضلون عنه ، وسمي بالقائم لقيامه بالحق، وإذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور.

وهذا ما تنشده البشرية في ليلها ونهارها ومعاشها وسباتها ، فالأمن والأمان هو الراحة والاطمئنان وهو الإمام المؤمل لذلك ، وهو أمل الدنيا وأمل المحرومين ولا يخرج وإذا خرج لا يفعل إلا ما يرضي الله ،

1- التوبة : 33 و الفتح: 28 و الصف : 9.

2- أمالي المفيد: 92، ط. النجف الأشرف.

وقد ورد : «لا يتحرك ولا يخرج إلا بعد أن يؤذن له بذلك».

وورد : « إذا أذن له بالخروج صعد المنبر فدعا الناس إلي نفسه وناشدهم بالله ودعاهم إلي حقه وأن يسير فيهم بسنة رسول الله ويعمل فيهم بعمله » .

وكل هذه الأخبار والأحاديث تثبت حقيقة واحدة وهي عدم انفصاله وارتباطه واستقلاليته عن جده المصطفي صلي الله عليه واله ولا نعطيه من الصفات والسمات والامكانيات والقدرات والفاعلية والخطوات أكثر وأكبر وأوسع وأقوي مما كان لجده ولأبيه ، فهم في مسار واحد، وخطوات متعقبة وسبيل واحدة « قُل هٰذِهِ سَبيلي » (1) وخطوات علي والمهدي والحسين عليهم السلام هي خطوات محمد صلي الله عليه واله ، ولكنها خطوات جديدة تتلاءم وعصره وزمانه ، وأهل عصره من حيث العطاء ومن حيث المصلحة ومن حيث القوة والعدل والإنسانية والزمن والعطف بأهل عصره فليس هو إمام انتقامي يأتي بالعنف والتسلط والقهر والقوة والدمار والسفك إنما هو إمام هدي وإصلاح وتوجيه ليسلك الناس طريق الله ، وإذا وردت أخبار فهي رموز ومؤشرات ودلالات وكنايات واستعارات تحتاج إلي توضيح وتأويل لا الرفض والشك والتكذيب فليس من الأدب والعلم والمنطق أن كل شيء لا تهضمه ولا تتمكن من هضمه وتحليله تعمد إلي تكذيبه والتشكيك به ، وهذه صفة الجهلاء،

1- يوسف عليه السلام : 108.

فالطفل في عقله والأـمي في ذهنيته ومن لم يعرف القضايا المختبرية والتحليل والمعادلات والمركبات لا يصدق بالحقائق الكامنة في الأشياء وبعد الاطلاع والنمو والانفتاح والتطور يصدق ويؤمن بها ، فإن آباءنا يختلفون عنا كثيرا ، ونحن نختلف عنهم أكثر، والأجيال القادمة تختلف عنا كثيرا أوسع فكرا وتقدما ورقيا وتطورا واتصالا وانفتاحا والحياة في حركة مستمرة والحضارات في مسيرة ورحلة ومواصلات ، فزمانه يختلف عن زماننا ، وما يصدر عنه يتلاءم وطبيعة ذلك العصر وذلك الزمان ، وما يدرينا كيف تكون الحياة القادمة والدنيا وتطورها وهذه نماذج من الروايات التي تقف عندها باستغرابوهي قابلة للتأويل والتحليل .

نصوص وأقوال وروايات وأحاديث :

كثرت الأقوال في الإمام الحجة وجاءت الروايات المختلفة وقرأنا نماذج منها وبعضها يتلاءم وجوهر الإسلام ومنطق العلم والبعض الآخر قد لا يؤخذ به إلا بعد تحليله وفهمه ومعرفة رموزه ودلالته وهذه نماذج منها :

1- « إذا خرج عليه السلام فكل سنة من سنينه بمقدار عشر سنين » ، فتكون السبع عن سبعين وتحليل هذا النص سهل لأنه من الأمور التقريبية .

2 - « إذا خرج يأمر الله الفلك بالسكون وقلة الحركة ، فتطول الأيام والسنون وتشرق الأرض بنورها ، وتذهب الظلمة ويستغني الناس عن

ضوء الشمس»، ومعناه أن الحياة هانئة رغيدة والناس منعمون مطمئنون في أيامه عليه السلام .

3- « إذا خرج عليه السلام يأمر أن يحفر نهر من ظهر مشهد الحسين إلي الغري يجري بينهما حتي ينزل الماء إلي النجف » ، وهذا من الممكنات ولا غرابة فيه ؛ لأن البلدان تتقارب والناس متواصلون فلا بعد ولا تباعد ولا انفصال .

4 - « إذا خرج يحمل معه حجر موسي الذي انبجست منه اثنتا عشرة عينا فلا ينزل منزلا إلا نصبه (نصب الحجر) فتبجس منه العيون»، وأي غرابة في هذا الحديث ، أليس معناه العزم والفتوة والإرادة والحاجة الواقعة إلي استخراج المياه من العيون من باطن الأرض ؟!

5- « إذا خرج تكون رجة في الشام ويروح فيها مائة ألف رجل»، وقد حدثت الحوادث والأحداث والحروب بالأسلحة الفتاكة في عصرنا هنا وهناك.

1- « إذا خرج عليه السلام يبني بظاهر الكوفة مسجداً له ألف باب وينصره الله بالرعب ، ويؤيده بالظفر ، وتطوي له الأرض ، وتظهر له الكنوز فلا يبقي في الأرض خراب »، وأي داعي إلي التشكيك في هذه الرواية والمسجدية ليس معناه الجدار والبناء قائمة لها عنوانها وثبوتها ولو علي الأرض بعد إثبات المسجدية وينصره الله كما نصر جده بقلة جيشه وتطوي له الأرض بظهور الوسائط وسرعة الحركة ، فالبعيد

قريب ، وما في باطن الأرض حتي المعادن والمناجم تتطور ويحصل الإعمار والبناء فتتغير الحال في زمنه وهو خير الأزمنة وهناك السعادة ويسعد الناس في زمن القائم عليه السلام .

7- ومن الروايات : « إذا خرج عليه السلام ينعم الله علي الخلائق في زمانه نعمة لم يتنعم قبلها قط »، وما يدرينا كيف تكون الحياة والنتاج والفكر والطعام والأشجار والثمار والأسعار والخير والرفاهية والحاجة .

8- ومن الروايات : « يعمر الرجل في فدكه حتي يولد له ألف ذكر لا يولد فيها أنثي»، ولعله يراد بهم الأولاد والأحفاد وما ينتسب إليه وإن نزلوا، والولد أحب إلي قلب الرجل وما يدرينا أن الذكور تتكاثر وتقل الإناث.

9- ومن الروايات : « تظهر الأرض كنوزها حتي تراها الناس علي وجه الأرض ، فإذا جرت المياه وحرثت الأرض وكثر الزراع واثمرت الأشجار واعشوشبت الأرض ونزل المطر بالخير كانت الأرض وجها أخضر» وهذه هي الكنوز .

10 . ومن الروايات : « أن الرجل يطلب فيأخذ منه زكاة فلا يجد أحدا يقبل منه لاستغنائه عما عند الناس واستغناء الناس بما رزقهم الله تعالي من فضله » وما يدرينا أن الأغنياء في زمنه هم أكثر الناس ، أما الفقراء فقد أغناهم الله وارتفع مستواهم في العيش فإذا شبعوا فلا يمدون أيديهم إلي الصدقات فعندها يفتش صاحب الزكاة فلا يجد

مستحقا لها.

11- ومن الروايـات « إذا خرج عليه السـلام يؤلف الله بين الشـاة والأسـد الضـاري ويلعب الطفل بالحيـة فلا تمسه بسوء » وما يـدرينا أن التآلف والروح الشريرة تموت وتظهر الطبيعة الخيرة فيعيش الأسد والشاة في بستان واحد والطفل يقترب من الحية وهي نائمة فلا يمسها ولا يقترب إليها كل له شأنه وسـيرته وعمله وقصده فالآفات مشـغولة بالذهاب والإياب ، فالشاة ترتع والأسد في عرينه ، فهذا قد وجد له ما يكفيه فلا اعتداء ولا عداوة ولا عنف وقد رأينا وشاهدنا الحيوانات المفترسة تحولت إلي حيوانات أليفة تعرف وتميز من قصدها بشـر واعتداء فتألف له ولا تمسه بسوء.

12- ومن الروايـات : «يخرج عليه السـلام وهو شاب بين الثلاثين إلي الأربعين ، وكل بقعـة مر بها بري نوره مشـرقا ، كيف وقـد قطع عمرا زمنيا طويلا منـذ ولادته وغيبته الأولي والثانيـة ، وحتي هـذا الزمن الذي نعيشه نحن ويعيشه أبناؤنا وأحفادنا ؟ إن ذلك سـهل يسـير ، معناه يخرج بعزم وقوة وإرادة وهمـة الشـاب ، وهم أهـل العزة والعزم والعزيمـة وإن كان شـيخا في صورته ولكنه في حياته وعزمه وانـدفاعه شاب يملك ما عند الشباب من الهمم والإرادة .

13- ومن الروايات : « يخرج عليه السـلام ويخرج معه من ظهر الكوفة سـبعة وعشـرون رجلا خمسة عشـر رجلا من قوم موسي واثنا عشر رجلا من

قوم عيسي عليه السلام ، وظهر الكوفة مجال واسع يدخل فيه المكان اللامحدود وقوم موسي من أحبه وأطاع وآمن به وأخذ به وكذلك عيسي عليه السلام ، وأي غرابة ، فإن الإمام المهدي عليه السلام له اتصال برسول الله صلي الله عليه واله ، ورسول الله صلي الله عليه واله امتداد واستمرار واتصال بمن سبقه من الأنبياء فلا ينفصل هذا عن هذا وهم أسرة واحدة وحملة رسالة واحدة ودعاة إلي الله هذا تابع وهذا ملحق وهذا لا ينفصل عن هذا، والأئمة أو الأوصياء هم سلسلة جاءت بعد النبوة فلا غرابة أن يكون تقاربا في الأفكار واتصالا في القصود والأهداف ، فالمهدي والهادي والهداة والدعاة هم كلهم يهدون بأمر الله ومن الله وإلي الله وعن الله فلا ينفصل من أطاع هذا عن غيره وأطاعه هذا إطاعة للأول وللسابق وقد ورد : « إذا خرج المهدي يظهر الهدي وينتشر الإسلام وتنهدم البيع ودور الضلال ».

أليس هذا هو الذي جاء به محمد وعيسي وموسي وكل الأنبياء عليهم السلام ؟ وقد ورد : « إذا خرج يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، فالقسط والعدل والانسانيات والسعادة والخبر والصلاح والإصلاح والأمن والأمان هو رائد كل الرسالات السماوية في الأرض وبه جاء محمد صلي الله عليه واله والتوحيد صوت الجميع « أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ » (1) والخوف والخشية والرجوع والاعتماد والتوكل علي الله

1- الكهف: 110. الأنبياء: 108. وفصلت : 6.

عنوان الرسالات السـماوية وهو منطق عيسـي عليه السلام وتفكير محمد صلي الله عليه واله وخطوات موسي عليه السلام ، فأي فاصل وأي فصل وانفصال بين هذا وذاك فهم دعاة الحق والحقيقة والعدل .

والتسـاؤل هنـا: هـل حقق الأنبيـاء عليهم السـلام أهـدافهم كلهـا ونشـروا رسالاـتهم ؟ وهل بلغوا بكل ما حملوا به وفي طريقهم العقبات والأـشواك هل فعلوا كل شـيء وأكملوا أدوارهم يملكون القـدرات والمعاجز القاهرات أو تركوا أمورا كثيرة لا يكملها ولا يؤديها إلا من جاء بعد هذا وبعد ذاك وحتي خاتم الرسل صـلي الله عليه واله فقد ترك الكثير إلي الإمامة تعمله وتؤديه وكم قرأنا من أذكار وتفسـيرات ومواقف وأدوار للإمام أداها في المناسـبات وعند الاقتضاء ، فآيات شرحت وإجابات صدرت وهي للإمامة ولم تصدر عن النبوة وهي كثيرة مسطورة في الكتب الإسـلامية لو قرأتها لصدقت ما قلناه وما عرضـناه فالإمامة بعد النبوة أدت دورها وبقيت أمور تنتظر الزمن ونضوج الأفكار وتطور الحضـارات والارتقـاء عنـد ظهور الإمام المهـدي عليه السـلام ، فهي بين النبرة وعن النبوة وإلي الإمامـة وبعـد انتهاء فترة الانتقال ونضوج وانفتاح العقليات ونمو الأفكار.

المبشرون والبشارات

والمنتظرون لظهوره عليه السلام ؟

وقد تسألني أو تسأل التراث الإسلامي الصحيح المقبول المأخوذ به المتداول : هل ورد اسم المهدي علي لسان رسول الله صلي الله عليه واله أو لسان الصحابة الكرام أو لسان الأئمة من قبل ؟ قبل ولادته وقبل غيبته .

والجواب : جاء علي لسان رسول الله صلي الله عليه واله اسم المهدي وصفته وزمنه وظهوره في كتبنا وكتب المسلمين عامة وحتي كتب غيرنا .

جاء في كتاب اليقين لابن طاووس ص 122: « وسماه رسول الله صلي الله عليه واله بأسماء كثيرة » ، وابن طاووس رجل مشهود له بالصدق والأمانة وموثوق بآرائه عند الجميع وقد أجمع من قرأ له بأنه صادق في كلماته وألفاظه وأفكاره وخطاه وخطواته .

قال رسول الله صلي الله عليه واله : «ألا ـ إن المهدي عليه السلام منا، الظاهر علي الأديان ، المنتقم من الظالمين ، إنه فاتح الحصون وهادمها، وقاتل كل قبيلة من الشرك ، المدرك لكل ثأر لأولياء الله ، ألا إنه ناصر دين الله ، ألا إنه المجتاز

ص: 144

من بحر عميق ، ألا إنه المجازي كل ذي فضل بفضله وكل ذي جهل بجهله ، ألا إنه خيرة الله و مختاره ، ألا إنه وارث كل علم والمحيط به، ألا إنه المخبر عن ربه السديد ، ألا إنه المفوض إليه ، ألا إنه قد بشر به من سلف من القرون بين يديه ، ألا إنه باقي حجج الحجيج – الجميع – ولاحق إلا معه ، وإنه ولي الله في أرضه ، وحكمه في خلقه ، وأمينه في علانيته وسره » (1) .

ومثل هـذا كثير وكثير وما أكثر الأخبار والبشارات فقد جاء في المصدر نفسه (2) أن النبي أخبر عن عدد أوصيائه وأنهم اثنا عشر وصيا . فما هو مصـداق هـذه الروايـة وعلي من تنطبق و من هم الاثنا عشـر، فما علينا إلا أن نشـكك أو نقف عندها ، ومعناه يدعونا ذلك إلي هدم الثقة بعشرات من أئمة المسلمين وثقاتهم المشهود لهم بالوثاقة والأمانة وإلا فلا داعي إلي التكذيب ، وهل يجوز تكذيب المسلم بلا داعي ، وإذا رجعت إلي المصـدر نفسه وقرأت خطبـة النبي صـلي الله عليه واله في حجـة الوداع اقرأهـا من جديـد وهي مـذكورة في كتاب اليقين لابن طاووس ، ثم عاود قراءتها وقف عنـدها طويلا سوف تدرك بأن المهدي عليه السـلام لا ينفصل عن رسول الله صـلي الله عليه واله ولا يبتعد عنه ، وأن الأفكار هي الأفكار (هي هي) ولكن الناس يسرحون ويمرحون ويتقبلون

1- اليقين لابن طاووس الحلي : 103 و 122. ط. النجف الأشرف.

2- المصدر المتقدم : 60.

فنون الشك والتأويلات ، فمنهم من آمن بها واعتقد وأخذها تعبدا وانصياعا لأنها مسألة لا ينفر منها الفكر والذوق والاستحسان وتقبلها النفوس ولها نصيب من الوثوق والجذور الإسلامية ، وقسم شوهها قصداً أو جهلا أو عصبية ، وحاول تغيير معالمها جهلا وعنادا وتعصبا أو تخلفا و خانه ضعف الإيمان وسوء الهضم والجهل وعدم الاطلاع علي واقعها من ينابيعها ومصادرها، فابتلي بداء وهو سوء الهضم الفكري والأفكار قد تهضم وقد يصعب عليها الهضم وهذا ما نهي عنه آل البيت أتباعهم وطلابهم أنهم لا يحدثوا الناس مما لا تقبله نفوسهم وعقولهم وقالوا : «إن أمرنا صعب مستصعب ».

أما القسم الثالث وهم الثابتون علي القول علي الحقيقة علي الواقع الذي عرفوا الإسلام دينا، وأن الإمامة بعد النبوة ، قوة وحص ورعاية ، وبقاء للإسلام، وبقائها بقاء للإسلام وهؤلاء الذين عرفوا أن المهدي هو الإمام الثاني عشر ، وأن الإمام باقي وهو كمال وتمام للإمامة و به يبشر الإسلام و به ترتفع وراية الله أكبر علي هذا الوجود لأن ذلك لم يتحقق لجده المصطفي من قبل ولكن إرادة الله اقتضت أن يكون هذا الإمام الثاني عشر هو الذي ينشر الحقويطبقه ، والله ناصره ونصرة الله لها عوامل وأسباب ودوافع قد ينصره الله بالهواء بالبرق بالرعد بالأصوات، والله خير الناصرين ، وإذا أراد الله شيئا لا تعوزه الأوهام والقضايا والتصورات عند بني البشر وهذا هو الوعد الحق.

ص: 146

الانتظار وما هي أخبار الانتظار ؟

هل نبقي علي الانتظار، وهل نثاب إذا كان الانتظار هو التكليف في حقنا ؟

وهنا أسـئلة كثيرة وخطوات متعددة نخطوها قد نجتازها وقد نتعثر في الطريق لأن الطريق شائك ومن كان طريقه شائكا فيأخذ الحيطة خشية من الوقوع في الخطر أو الضلال ، لماذا الانتظار ؟ نسأل أنفسنا نحن المنتظرون ، هذا هو السؤال الذي يتردد اليوم، وهو حديث الساعة.

وهل نحن أمة مكلفة واصـلة إلي مرحلة من الوعي السياسـي والانفتاح الفكري ،وما هو واجبنا الشـرعي ؟ هل هو السكوت والصبر وتحمل الأذي ونبقي بالانتظار و إن طال الزمن ، وقـد طال الانتظار وانتظر آباؤنا وأجـدادنا ونبقي بهـذا الانتظار إلي أن يأذن الله لهذا الإمام الهادي ، فإذا أذن الله له وخرج وعندها وبعدها نتوئي القيام بمسؤوليته

ص: 147

وهو أعرف بالمصـلحة والبناء والهدم والتغيير أو نبقي علي الانتظار وإن كنا نملك من الامكانيات والعدد والخطط أو نبقي علي الانتظار وإن ذابت هذه الأمة وأحاط بها أعداؤها وإلي متي هذا الانتظار وقد طال ويطول وسيطول وسوف يطول كل ذلك ونبقي علي الانتظار، وماذا بعد، لو طال وامتد وكثرت المشكلات وتأزمت الحال وبقي الإمام علي هذا التستر والابتعاد والخفاء أو نبقي علي التكتم والكتمان .

هل نبقي هكذا كما بقي آباؤنا، ونتحمل كما تحمل أجدادنا، وساروا علي التقية كما يقولون ؟

أتدري كيف نحن ، وماذا وقع ، وماذا حل بنا دون غيرنا فصبرنا وتحملنا وتجرعنا منذ غيبة هذا الإمام ويوم غاب عن أعين النظار واسـتتر عن هذه الأمة ولم تزل هذه الأمة وهي صابرة وصبرت ، وماذا بعد هذا الصبر، وقد تحملت ألوانا كثيرة وصـنوفا وأصنافا من الأذي والشدائد وهي تنتظر الفرج ، وهل هناك لون جديد من ألوان الأذي لم تتجرعه ولم يقع عليها كل ذلك قد تجرعته وهي صابرة .

أهذا هو التكليف الشـرعي ، وهذا هو الامتحان ، كما يعلل من كتب في فلسـفة غيبة الإمام ؟ وهل يطول عمر الإمام إلي آلاف من السـنين القادمة فكيف حال الأنبياء والأحفاد إذا غرقوا في طوفان من الأذي والمحن والأزمات وما هو تكليف الأبناء والأحفاد في المسـتقبل القريب أو البعيد هل هو الصبر والتحمل ولا يجوز لهم (شرعا)

أن يحركوا ساكنـا أو ينطقوا بحرف واحـد ؟ وكـأن الله قـد كتب علينا ذلك وعلينا أن نتحمل هـذا البلاء والامتحان الشديـد وملاقاة الأهوال القوية والآلام بصدور وقلوب من حديد ومواجهة الطغاة في الأرض والحاكمين في الدنيا هكذا ...

ومتي ، وإلي متي ، وإذا طال الزمن وامتـد إلي ألف قادم أو امتـد إلي ألفي ثانيـة أو ثالثة أو رابعة أو أكثر ويطول الزمان وإن قدرنا أو قلنا بهذا التقدير فلماذا لا نتحرك وننطلق وتحسب الأمة وتفكر عن مخرج ومنطلق ويقظة وتسلك وتخرج من هذه الزاوية والانطوائية ، وهذا الصمت ، وتفتش عن مسار وطريق شـرعي لتحقق هـدفا مقبولا ما دام الحـديث الوارد (حديث المسؤولية) التي هي مسؤولية الجميع « كلكم راع » المسؤولية مسؤولية الجميع ، ولكن هل تتجزأ أو لا تتجزأ أو هي الفئة دون أخري وهل هذه المسؤولية هي مسؤولية البعض أو هذا دون هذا أو هـذا الفرد من حيث هو عضو بعينه أنت دون غيرك ، أو هي مسؤوليـة الأفراد مجتمعين من حيث هم أعضاء متماسـكون قادرون يملكون الإحساس والحركـة علي الخطوات هؤلاء هم المكلفون دون غيرهم أو التكليف واحد تكليف الجميع العالم والجاهل والفقير والغني ، وما هو هل هو الاصطبار أو الصبر أو الانتظار أو ذلك ما وجدنا عليه آباءنا؟

كيف والحال قد تغيرت أو نبقي علي الانتظار والعدو قد تكاثرت

أفراده لماذا الانتظار وماذا ننتظر وقـد تباعـد أبناؤنا عن هـذا الـدين وأخـذتهم الأمواج الحمراء والبيضاء وحتي الموجـة المتوسـطة والموجة الصـغيرة ، ماذا بعد هذا الانتظار وهذه الأمواج القادمة إلينا ، وهذه الذبذبات المتواصـلة قادمة علينا من هاهنا وهاهنا ، أهكذا نعيش والناس تقاطعوا وتدابروا وتعاملوا بسوء الظن واستهزأوا وسخر بعضهم بالآخر أبعد ذلك نبقي حتي يأذن الله لهذا الإمام بالخروج.

أهـذا كلام مقبول ، ومن يأخـذ به ، أنتظر حتي تمتلئ الدنيا شـرا ، ومتي تمتلئ ؟ وكيف تمتلئ ؟ وبماذا ؟ وقد كثرت الشـرور وطغي الفساد وانتشـر بعـدما ظهر في البر والبحر، أو نبقي نرفع أيـدينا بالـدعاء ليـدفع الله عنـا ما نحن فيه ونحن نسـتطيع أن نرفعه لو تحركنا ، أو نبقي نردد وندعو ونطلب الفرج من الله ونصوت ونستغيث .

ماذا بعد ذلك وكم استغثنا ودعونا وبكينا كل ذلك ونبقي علي الانتظار إنها حكاية قديمة حكاية القدماء ..

إن الأمة الراكدة الساكنة في طريقها إلي الاحتضار وبعد الانتظار هو احتضار الموت الذي صـنعناه بأنفسـنا، وأن الأمة التي تبقي هكذا علي ذلك إنها تموت وقد ماتت أو تحتضر ويأكلها ذئاب الأرض إذا لم تحرك بدأ فما معني قوله تعالي : « إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُركُم » (1)

1- محمد صلي الله عليه واله : 7.

أين العزم والحزم ؟ وما معني قوله تعالي : « اِن يَنصُرکُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَکُم » (1) أو ننتظر السماء أن تسقط علينا حجارة أو ملائكة تدافع عنا ، لماذا كل ذلك ، ولماذا نتظر وقد غرقنا ؟

والسؤال الثاني : لماذا هذه الغيبة الطويلة ، وما هو السبب ومن أجل ماذا ؟ هل هو الخوف والحذر والفرار ؟ وهل الغيبة هي السلامة ؟ وهل الحذر من السلطان من الحاكم ؟ فإن كان ذلك كان من سلطان عباسي فإن الحكم والسلطة العباسية زالت واندثرت والحال قد تغيرت وقد ذهبت أمس وما فيها والحال وما عليه أو ما عليها ؟ وهل يرضي هذا الإمام إن الإمام يرضي أن تصبح هذه الأمة وهي بهذه الحال وأن يكون لعدوهم عليهم سبيل ؟ هل نحن بانتظار الفرج ؟ ومن هؤلاء الذين سوف يفرج الله عنهم بخروج هذا الإمام الغائب ؟ وهل كل مسلم أم هم رجال معلومون معدودون معروفون ما هو الجواب وأي أمة هي إذا خرج إمامها ؟ كيف هي وكيف تكون الناس إذا ارتدوا وتباعدوا عن هذا الدين وتلاشت وتمزقت وتدابرت كيف تكون هذه الأمة وإذا خرج كيف يجدها هل يجدها أمة ميتة شجرة يابسة أجساما موزعة أو يجدها قد وعت وأدركت .. إذا وعي الناس دينهم فيخرج ويجد أرضية صالحة لينشر العدل ويحكم ويوضح ويفهم ويبين للناس الشريعة ويدلهم علي الطريق كيف ؟

1- آل عمران: 160.

ونتساءل ونسأل أنفسنا : هل نصلح أن نكون جيشا عقائديا واعيا ومعسكرا مدركا مدربا ثم يخرج هذا القائد (المهدي عليه السلام) الذي ينشر الهدي ويقاتل بنا عدونا لأننا جيش ونؤمن به ونحن بانتظاره فما معني الانتظار . إن أمة تعيش الانتظار وهي علي الانتظار من أجل أهدافها في هذه الحياة وإنها أمة تنتظر قائدها ليقودها ويتقدمها كيف وقد فقدت قوتها ومعالمها وهي باقية علي الانتظار وقد طال هذا الانتظار ويطول ويطول والانتظار مهما كان فيه من ألم فكيف لو طال الانتظار فالألم يزداد ويتكاثر، فكيف تكون هذه الأمة في هذا الانتظار الطويل وكيف الآلام وهي في زمن الغيبة كم هي الحوادث والآلام إنها سلسلة طويلة وأحداث وشبهات وتفكك في الصفوف وإصابات في الأجسام وظنون وأوهام.

إن أمة تعمل بالظنون قد غرقت في أمراضها المختلفة « نْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ » (1)، نحن منتظرون ونبقي ندعو ونرفع أيدينا ونرفع أصواتنا ونبقي ندعو والصوت هو الصوت والدعاء هو الدعاء : « اللهم عجل فرج محمد وآل محمد. اللهم أرنا الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة ... الغوث الغوث العجل العجل » بهذا وبغيره من أدعية التوسل والندبة والاستغاثة نعيش ونصوت كما كان آباؤنا من قبل « اللهم عجل فرج إمامنا » لماذا هذا الدعاء بالتعجيل والتسهيل والتقريب ومن أمرنا

1- الأنعام : 158.

بـذلك ؟ كيف وقـد طـالت المـدة وامتـد الزمن علينا وغزتنا أمم الأرض بما تملك من إمكانيات وهبت علينا رياح الشـرق والغرب ، ونحن جالسون في الزوايا والمحاريب والتكايا والغرف المظلمـة جالسون أو نائمون أو راكـدون لا نحرك بدأ لا بالحجارة لندفع عن أنفسـنا الضـيم رضـينا بالـذل فسـكتنا هل أمرنا الإمام أو النبي صـلي الله عليه واله ، وهل أمر الرسول أتباعه بهـذا وهل انتصـر الرسول بهـذا من قبل ونبقي نسـتغيث وتتحقق الأهداف فما معني قوله تعالي : « وَأَعِدّوا لَهُم مَا اسـتَطَعتُم مِن قُوَّةٍ » (1) أو نبقي ولا نتحرك نبقي نعيش التفكك والتحلل والانهزامية لا أذن تسـمع ولا عين تبصـر ولا تسـتطيع الحركة ولا نرفع حجرا من مكانه لنرمي به عدوا إذا لم يكن عندنا سلاح غيره ولو قاتلنا عـدونا بالحجارة لانتصـرنا . إننا كثرة وعـدونا أقل منا ، أتبقي هـذه الأمة بهذه الحال فلا تنتبه من هذا الرقاد ولا تتراجع ، إلي متي وتبقي كما هي تـدعو وتسـكب العبرات ، إنه والله الجهل ، والموت والتناقض والسـقوط ، إنه التناقض الـديني والجهل بالـدين، فالدين الذي يدعو إلي النشاط والقوة والحركة والعمل والتدريب والوقاية والوعي والاسـتعداد كيف ندعو إلي الخمول والسـكون ، وهو القائل « وقل اعملوا فسـيري الله عملكم ورسوله والمؤيثون » (2) ، ما هو ذلك العمل الذي قمنا به ليرانا المؤمنون ،

1- الأنفال : 60.

2- التوبة : 105.

ومن هم المؤمنون إنه قائد المؤمنين ورأينا قربه ، إنه الإمام القائد ذلك الحفيد الحاضر الناظر القائم ، وذلك المنتظر إنه يريد منا غير هذا غير ما نحن عليه.

إلي متي هذا الرقاد يا أمة محمد صـلي الله عليه واله ويا جيش الإمام ، فهو يريد النشاط يريد من الأمة غير هذا ليراها موحدة فإذا اطمئن بها نهض اليسير بها أما إذا بقيت ترتل آيات الدعاء وتذرف الدموع وتكثر من الآهات والحسرات وهي متناحرة متفرقة ماذا تحقق لنفسها وليومها ولغدها ، هل تحت الفرقة الانتظارية أو الأمة المنتظرة النائمة علي الضيم والأذي ، الغارقة في أحلامها ، التاركة حقها .

أنحن تلك الأمة ماذا يقول عنا التاريخ، وماذا يصمنا أبناؤنا وأحفادنا القادمون ، وماذا نجيب هذا الإمام لو حضر في غدلو سألنا إننا انتظاريون وقـد أمرنـا بالانتظار وانتظرنا ، فهل أمرنا بالصبر علي الآلام ومقابلـة الحوادث بصبر وجلـد وتحمل وننتظر الفرج المرتقب من قال ذلك إنها مسألـة تكونت وصارت الفرقـة الانتظارية ونظن إنها علي صواب وعملها مطابق للواقع وأنها تثاب علي ذلك وأن الانتظار عبادة من العبادات المشـرعة في حقها في زمن الغيبة ، كيف وهي قادرة علي تحقيق زعامة وإيجاد قوة وإعدادها وإمكانية وكثرة عدد وأيد تبني ما هدمته الدهور لو اتفقت كلماتها ونزعت عن قلوبها الغل الموروث عن الأيام المظلمة الأيام البالية التي كانت عليها هذه الأمة كل ذلك

سهل وما أقـدرها لكنها رغبـة بالانتظار مدعية أن ذلك مروي بنصوص وروايات وأن أئمتهم أمروهم بالانتظار ومن قرأها وقف عندها طويلا ضاحكا باكيا .

تعال معي واقرأها فقد ذكرت في كتب الغيبة وهي كثيرة وهل يجب علي كل مسلم القادر وغير القادر الصغير والكبير القائد المتمكن العالم أن يأخذ بها ويصبر ليكون انتظاريا في كل شؤونه الخاصة والعامة ولا يرفع ولا يدفع ولا يتحرك ولا يصـعد جبة ولا يهبط واديا ولا يتكلم ولا ولا .. ويبقي منتظرا لأن الانتظار هو الحكم الشـرعي وفيه ثواب جزيل لأن هناك روايات تحبـذ أو ترشـد وأوامرها إرشادية وأن انتظار الفرج من صـفات المؤمن كما يقولون فعليكم بالانتظار أيها المؤمنون وحتي لو طال الانتظار وقد طال ويطول ويبقي يعيش هذا المؤمن الضعيف القوي الذي يتضاعف ويبقي بهذه الحالة.

1- في الاحتجـاج عن السـجاد عليه السـلام في حـديثه عن الإمام الثاني عشـر عليه السـلام قال : « وان القائلين بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان » .

لأـن الله تعالي ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفـة ما صارت به الغيبـة عنـدهم بمنزلـة المشاهـدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف أولئك المخلصون حقا ؟

2- وقد ورد عن الصادق عليه السلام وهو يوصي أحد طلابه عندما سأله

فقال : فماذا يستعمل المؤمن في ذلك الزمان ؟ قال : «حفظ اللسان ولزوم البيت ....» .

أهذه هي وظيفة المؤمن في هذا الزمان أن ينحجر في حجرته ويعتزل الأمور العامة ؟

3- وقد ورد عن علي بن الحسين عليهما السلام ، قال : « انتظار الفرج عبادة »، ماذا يقصد بانتظار الفرج هل هو السكوت أو الاعتكاف في المساجد أو صم الآذان عما يقع ويحدث أو تكتيف الأيدي إلي الوراء أو يردد : ماذا علي إذا وقع البلاء علي غيري ، فلا مواساة ولا اطلاع ولا مشاركة وكأنه ليس من المسلمين ؟

3. وفي العيون عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه واله : « أفضل أعمال أنتي انتظار فرج الله تعالي » ، وقد ورد : « أفضل الأعمال انتظار الفرج»، ومن أخبار الانتظار قد ورد بصيغ مختلفة : و انتظار الفرج أفضل الأعمال، وقد انتظرنا وانتظر آباؤنا وينتظر أبناؤنا، فهل في ذلك رضا لله ولنا فيه صلاح وقوة ووعي وإعداد واستعداد أو فيه كبت وصمت وتحمل الأذي ؟ وأخبار الانتظار مهما كثرت واختلفت واتصلت وانفصلت أو كانت مقطوعة السند أو ترددت علي الألسن ، أو تواترت أو ذكرها من هو أفضل منا أو وجدناها مسطرة في الكتب القديمة والحديثة .

1- فهل هي تحمل تكليفا شاملا لكل أفراد الأمة الصغير والكبير

والذكر والأنثي والقادر والمتمكن والفقير والغني والقوي والضعيف .

هل هي تـدل علي وجوب قطعي ولا يمكن تأويلها واقتصارها علي غير القادر ، أما القادر فله حكم وتكليف آخر والتأمل في أخبار الانتظار وشأنها قـد نجـد فيها لمسات ومؤشـرات بأنها ولـدت وحـدثت في زمن الغيبة أو بعد الغيبة ، فهل هذا الانتظار بدايته من الغيبة ونهايته عند الظهور أو هي لها أبعاد أخري فهل هي أخبار لها زمن محدود وينتهي العمل بها وتطوي ثم تموت وتندثر بظهوره عليه السلام ؟

وأما الأخبار الأخري التي تبشـر بظهوره والإيمان به فهي أصوات قديمة ذات هدف واحد وقصد و مقصود معين فهي أصوات متصـلة وأفكار متواصـلة منذ أقدم الأزمنة ، وهذه الأصوات والنداءات العالية كلها لأبناء الدنيا بأن هناك إمام مصـلح هو الإمام المهدي عليه السـلام الذي يصـلح الدنيا بخطواته، فهو المنتظر، وهي بشارات وتبشـيرات وهتافات للأجيال القادمة ، نحن وحتي من يأتي بعدنا لانخص المسـلمين أو خصوص من يحمل الولاء لآل محمد صلي الله عليه واله ، فهي بشارات بولادته وبمقدمه الشريف وبإصلاحاته لينعم أبناء الدنيا بهذا الإمام المرتقب الـذي يملأ الـدنيا ، كل الـدنيا ، المشارق والمغارب ، الفقير والغني ، الأسود والأبيض، وهـذه هي السـعادة التي من أجلها هتف المبشرون ، وما أكثر هؤلاء المبشرين بظهوره حتي سعيد بن جبير شيخ قراء العراق ، فقد ذهب في تفسير هذه الآية : « لِيُظهِرَهُ عَلَي الدّينِ

كُلِّهِ » (1) وهو الـذي ينشـر الـدين في كل أطراف الـدنيا ليعم القارات والأمم والقوميات ، ولا يظهر إلا بعد أن تتحول الحياة إلي أمواج من الفتن والشكوك والاضطرابات .

وقد ورد عن الصدوق عن أبي عبدالله عليه السـلام ، قال : « يأتي علي الناس زمان يغيب عنهم إمامهم فيا طوبي للثابتين علي أمرنا في ذلك الزمان » ، فقيل : يابن رسول الله ، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان ؟ قال : « حفظ اللسان ولزوم البيت »

وتعني هـذه الرواية الصبر والتحمل ؛ لأن المؤمن يعيش في سـجن واسع ويعيش مع غير فصـيلته ، فعليه أن لا ينفصل عن الحياة ؛ لأنه هو ابنهـا ، وعليه أن يسـير ويواكب ويعايش الناس وإن ضـلوا، وهـذا هو المقصود «الـدنيا سـجن المؤمن » ، ونحن بين فكرتين وبين فترتين أو حياتين ، زمن ما قبل الخروج ، وزمن ما بعد الخروج، أما ما قبل الخروج فناس تعيش في ظلام وتردد وارتباك.

تقول الأخبار أن الإسـلام يندرس ويسـقط ويذوب ، ويكون من الأمور المسـتغربة ، وتترك الأمة الحق ، وتتعطل أحكامه ، وتنساه ، وتميل إلي غيره فتعيش بغربة « لا يبقي إلا اسمه والقرآن إلا رسمه»، أصحيح ذلك أو هو مجرد فرض أو مطلق احتمال وظنون لا يؤخذ بها ،

1- التوبة : 33 و الفتح: 28 و الصف : 9.

أو هي أوهام وتنبؤات وأحلام النائمين ، والإسلام أقوي من كل ما يحدث ويقع ؛ لأنه دين الحياة ومعناه يساير الحياة هذه هي الفكرة الأولي .

أما الفكرة الثانيـة وتقول أن الإسـلام قوي ، وأقوي من الزمن ، وأقوي من كل فكرة ، و من كل مذهب ، إنه الحصن الحصـين ، وقوة لا تقهر ، وراية خفاقة ، إنه دين الله ، أحكمه وأنزله ، وهو الذي تكفل بحفظه سيبقي يتحدي وصوته لا يخمد وسيبقي ، وهو الذي يدفع الأمة ويحركها ويعـدها ويبقي هو هو، فـإذا خرج الولي المصـلح ينشـره ويبعثه ويطبقه بمـا يملكه من سـلاح وقـدرات وصـلاحيات وليس ذلك علي الله بمستحيل ، ولا مستبعد، فهو الذي قال :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (1)، وهو القائل :

« إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا » (2)، وما يـدرينا كيف تكون الحياة بعـد ألف عام، وكيف تكون العقليات بعـد ألف عام، هذه مسألة لابد من دراسـتها وهي من الأمور المسـتقبلية والقضايا التي يبحثها المعنيون بعقليات الشـعوب وأخلاق الأمم، وما يـدرينا أن أمتنا سوف ترتقي عقليا وتتيقظ وتصل إلي درجة من الوعي وتنبه إلي أن الإسلام هو الذي يدير شؤونها فترجع إليه وتفر إليه والفرار إليه فرار إلي الله « فَفِرُّوا

1- الحجر: 9.

2- غافر: 51.

إِلَي اللّهِ » (1) أيها المسلمون ، فهو خالقكم، وهو الذي اختار لكم هذا الدين ، وهو دين آبائكم وأجدادكم.

ونعود إلي أخبار الانتظار ونقف عندها ونتأملها فقد يقع التعارض فيها في الميدان العملي العام أو الوظيفة الشرعية التي يخاطب بها الإنسان المسلم المكلف ، فما هو دوره إذا وقف علي المسرح السياسي ، هل يعمل بها ، وماذا يقوم به ، فإذا قرأناها من جديد فهي تحت هذا الإنسان المسلم علي انتظار الفرج أو انتظار البطل المصلح أو انتظار المهدي الذي يعيد إلي النفوس كرامتها ومعناه الصبر أو الاصطبار أو التصبر بلا اختيار صبر علي ألم، ومعناه التوقف عن الحركة وعدم ممارسة أي عمل من الأعمال في أي حال من الأحوال، وهذه هي الأخبار صريحة واضحة في هذا الجانب فلا دفاع ولا كلام ولا إنكار ولا استنكار ولا رفع ولا وضع ولا تغيير . ومن جهة أخري أن المسلم مكلف بواجبات كثيرة ويجب عليه القيام بها ، ولا يجوز له تركها أو التقصير بها ، وهي أمر أو نهي ، افعل ولا تفعل ، والعقل حاكم في ذلك.

1- يجب عليه دفع الأذي عن نفسه وعمن هو مسؤول عنه « قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ » (2)، «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ،

1- الذاريات: 50.

2- التحريم: 6.

فعلي المسلم أن يدفع عن نفسه وعن ولده وعن أهله وعن عشيرته الأذي والضرر، وهذا من أوضح الواضحات ، كما أن حفظ النفس واجب ، فدفع الأذي واجب عنها ، والإلقاء في التهلكة محرم شرعي وعقلي

2 – يجب عليه أن يقول كلمة الحق إذا عرف الحق .

3– ويجب عليه الاهتمام بأمور المسلمين .

4– ويجب عليه الوقوف أمام الأوضاع الفاسدة ، وفي وجه الطغيان والأخطار والتيارات التي تهدد بيضة الإسلام فينهي ويأمر وأن يكون المسلم إنسانا قويا ، والقوي خير من الضعيف ، فماذا يصنع المسلم اليوم، هل يتمسك بأخبار الانتظار فيسكت ويتواكل ويترك الأمر إلي غيره، وغيره يترك الأمر إلي غيره ، وغيرنا يسكت ، والجميع يسكتون ، وأخيرا الموت وهو السكوت وتجرنا إلي مخالفة الدين ؛ لأن من لا يعمل به ولا يستجيب له أمرا أو نهيا وكل قد سكت ونتحول إلي الأمة الصامتة ، الأمة الصماء الراكدة الغارقة التي جري الماء تحتها وعندها يظهر إمام العصر ونحن نيام وهو الذي يوقظنا ويحركنا ، كيف يجدنا إننا لم نعمل كل شيء ، ولم نحرك كل شيء ، ونحن نتردد . لهذا الدين إمام سوف يأتي ويصلح الأوضاع الفاسدة ، وأبقي أنا ساكتا صامتا منزويا معتزلا لا أسمع ولا أحرك يداً، وارفع يدي بالدعاء والدعاء بلا عمل ولا حركة ليس من الدين ، كل ذلك والإنسان المسلم

يسـمي نفسه منتظرا داعيـا هاتفـا . اللهم عجـل فرجه كما رأينا وسـمعنا وقرأنا ، والأعجب من ذلك أن بعض فقهائنا الراحلين تغمـدهم الله بالرحمة وأسكنهم أوسع الجنان ذهبوا إلي أن أموال الإمام تدفن في الأرض أو تلقي بالبحر ، وإذا خرج هو يخرجها ويتصدق بها علي الفقراء من أبناء هذه الأمة ،ويتصرف بها ، هل هذا من الإسلام، وهذا هو الإسلام ولا نتحرك ولا نتصرف ولا نسعف، هذا معناه الموت البطيء. إن الواجب الشـرعي غير هذا إنه التكليف الملقي عليك وعلي وعلي كل مسـلم ومسلمة ، ولا يسقط أبدأ ، وما هي الأعذار الشرعية الدالة علي السـقوط ، فـإن الواجب علي المسـلم اليوم وفي غـد أن يعمـل ويتحرك ويسـتعد ويخطو من أجل تطبيق جميع أحكام الله ، ويعمل عملا صالحا فيه الله رضا وللمسـلمين صـلاح ، والصلاح والإصلاح من جوهر الإسلام « وَقُل اعمَلُوا » (1) وما أكثر آيات العمل، نعمل وندعو ونتحرك ويبقي المسـلم منتظرة للفرج، وإن السـكوت والاهمال والركود في ذلك هو خلاف الشرعية ، فأين العمل وأين الحركة يا أبناء الإمام الثاني عشر.

1- التوبة : 105.

الانتظار والاصطبار ولماذا الانتظار ؟

وهل نحن في حالـة الانتظار أو نحن في حالـة الاصـطبار؟ وبينهما فروق ومسافات لا تقف عنـد حـد، فهذا داخل في اللابدية لا اختيار ولا تخير وذاك داخل بإرادة أنفسنا و برجاء المطلوبية ، فهل نثاب علي الأول لأنه تكليف ووظيفة شرعية وفيه أمر وأخبار كثيرة ، فقد ورد « اللهم اجعلني من المنتظرين لفرج آل محمد صلي الله عليه واله ».

وورد في الـدعاء : « اللهم عجل فرجهم» ، فالانتظار وظيفـة شـرعية ، أما الاصـطبار فمسـلك اضـطراري وحالـة مفروضـة خلقتها الظروف السياسـية ؟ وهـل نثاب علي الانتظار مهما طال الزمن ، وقـد طال ، وماذا بعـد هـذا الانتظار، أوليس هو الموت والركود والجمود والضـياع والانـدحار والاحتضار كما نحن نعيش ذلك فقـد وقعت الأمـة في مشاكل فرعيـة واحدة بعد الأخري وانشـغلت في أمور لا ثمن لها ، وفيها ضياع لأوقاتها كما هي في حال غيبته وإن بقيت الأمة بين قال وقيل ،

ص: 163

وبين هـذا وذاك ، وبين أنـا وأنت ، وبين هؤلاء وأنا من هؤلاء ، وأنت من أولئك ، إنها مشـكلة المشاكل وأم الأزمات ، فقـد غرقت الأمـة أو كادت أن يغرقها هذا الطوفان الطائفي والانشطارات والانقسامات ، وأنا أحذر من حدوث مشاكل جديدة مستقبلية وأخطار تحبط بهذه الأمة وتنـذرها بالموت وتفتت شـملها وبقايا وجودها وبعـدها تـذوب ، وتأخـذها أمواج من الفتن وتيارات من البـدع إذا امتـدت غيبة هذا الإمام وانقطاعه عن هـذه الأمـة واسـتتاره عنها ، وقـد غرقت هـذه الأمة في عصـرنا بأمواج سوداء وحمراء من الفتن، فهي تعيش في ظلمات فقدت هـداها وهي تأمل وتحـدث وتتحدث وتنتظر ، وقد انتظرت فما هي وظيفتها الشـرعية في حال الغيبة ، فقد انتظرت ألف سـنة قد مضت وقد طال الانتظار، ثم انتظرت وطال الانتظار، كما قـد انتظر الآباء والأجـداد من قبل ، وينتظر الأبناء والأحفاد، وماذا سـيكون، وماذا يحـدث إذا غشينا هذا الركود وهذا الانتظار وقد اشتد الألـم وكثرت الأمراض وكلها آثار سلبية وكلها تفتك في جسم هذه الأمة.

يا ضـيعة هـذه الأمـة بعد قائدها وحاميها ونورها ، وهو الدليل إلي الله وهو الذي يعبد الطريق لها في مسـيرتها ، إن وجوده قوة ونور ودلالة وإرشاد وهداية إلي الصواب .

إن وجوده أمان ووقاية لها من الوقوع في الخطأ .

إن وجوده معها أو وجوده بينها ، أو وجوده عندها كل ذلك رحمة

وأثر وكل ذلك أفضل من غيبته واستتاره وتباعده وخفائه عن هذه الأمة التي أوشكت أن تسقط في أحضان أعدائها ، وهذا ما وقعت فيه هذه الأمة في هذا العصر فكيف في العصور المقبلة والأيام القادمة أمة تعيش بعد رحيل نبيها وغيبة إمامها وترفع صوتها شاكية باكية صارخة داعيه : « اللهم إنا نشكو إليك فقد تبينا صلواتك علي وآله ، وغيبة ولينا ، وكثرة عدونا ...» فهي بعد إمامها وقائدها ورائدها أمة لا تملك حولا ولا قوة ، قد ضاعت بين أمم الأرض وحكموا عليها بالتأخر والضياع . إنها الأمة الضائعة ، إنها تشبه الأرض الميتة ، فما هي وسائل الحياة و عوامل الرقي ، هل هو الصمت والنوم الطويل في الزوايا المظلمة ومحاريب العبادة وساعات الصلوات ، وماذا تحقق لهذه الأمة من نفع ودفع ، وحركة وتحريك وتنبيه وإيقاظ وهة إلي متي كل ذلك والأمة هي التي أوشكت أن تفقد عنوانها واسمها وتتخبط في مسيرتها لأنها فقدت الدال والدليل والضياء وشرقت و غربت فهي تمشي علي غير هداها .

وكم يعثر في الطريق رجال ورجال ، وكم ضل كثيرون وكثيرون لأن البصر مفقود ولأن الطريق فيه عثرات .

نحن أمة بين أمم الأرض ، الأمة التي تباعدت عن كتابها وعطلته في مسارها ومسيرتها ، نحن أمة ارتحل عنها ومنها دالها وهاديها وغاب عنها إمامها ، فإن كان خائفا من سلاطين الجور فهذا حديث الأمس .

ص: 165

هـذه الأمـة تعاني الأمراض فما هو الـدواء الشافي ، هل هو الصبر والاصـطبار ، إنها تعاني صـنوفا من الآلام النفسـية كل ذلك وقد اعتزلت الحياة ومالت إلي السـكون والسـكوت والصـمت والكبت والانطواء والاعتكاف والأمـة إذا فقدت قائدها واعتزلت وانفصـلت عن ماضـيها، خسـرت الكثير من مقوماتهـا ، والأمـة إذا اعتزلت أخلاقهـا وراحت تفتش عن أخلاـق جديـدة فقـد ضاعت لأنها ماتت أخلاقها ، فمن هو المسؤول عنها إنما الأمم الأخلاق هكذا قال أحمد شوقي .

والصـمت والتجرد والاعتزال معناه الموت المعجل والقضاء عليها، فهي تعاني الإفلاس الخلقي والركود الفكري وراحت تستجدي فلسفات جديـدة ميتـة لأنها فقـدت النور وماتت بالظلام وبقيت تعاني هذه الأمراض، فما هو الدواء ؟ فهل تتحرك وإذا تحركت علي غير بصـيرة من أمرهـا وإذا سـارت فهي في عمي وفقـدان البصـر ، وإذا بقيت ولـم تتحرك ولـم تتفاعل وتسـتجيب للأحـداث فهي في طريقها إلي الانقراض والانتهاء ، وإذا لـم تتكتف وتـدافع وتخطط وتهنـدس للمسـتقبل وترسم الخريطـة السياسـية وتفتش عن الوقاية والعلاج والدواء والإصـلاح وعوامل الرقي لنفسـها فإن الـداء انتقل من الآباء إلي الأبناء ثم الأحفاد إنها عاشت ردحا من الزمن بأمراض مزمنة كما هي اليوم قد تمركزت فيها العلل فلا طبيب ولا دواء وطبيبها ودواءها وقوتها بوجود هاديها وهو بقيـة الله في الأرض بعـد رحيل النبوة ووجود الإمام كوجود الضوء لأنه الدال ولأنه نور الله ولأنه الهدي

والهدايـة وأظنني صادقا إذا قلت إن غيبـة الإمام المشـكلة الكبري والـداء الخطير الفتاك وإن غيبته إن طالت وإذا طالت وامتـدت في الزمان الطويل فإن هـذه الأمـة سوف تنـدثر وتذوب وتأخذها الأمواج المظلمة فلا تدري أين الهدي والهداية والساحل والوقاية والنجاة والتحرر من كل ذلك ، أتبقي في دوامـة وفي دائرة لا تعرف النهاية كثيرة الأعداء وكيف تواجه الزمن والأزمات والأحداث ، هل تثاب علي هذا الصبر ، أو صبر اختياري إن شئنا صبرنا وإن شئنا تخلصنا أهو صبر أو اصطبار أو هو سكوت وصمت وتحمل ونستقبل الصفح وطأطأة الرؤوس أهذا هو التكليف الشرعي ، وهل هذا هو واجبنا الشرعي، أيهما أفضل وأيهما أقوي وأشد علي النفس لا أدري .

وليتني كنت أدري ويسأل أحدهم أصـطبر أم أنتظر وأيهما يثاب عليه هذا الإنسان المعذب المبتلي دعونا وصـمتنا وصـرخنا وبكينا وتفرقنا ، كل ذلك لم يحقق أثرا إيجابيا.

لماذا الانتظار وقـد طالت ليالي الصبر الليالي المظلمـة ، ولماذا لانعمل من أجل هـذا الدين ومن أجل هذه الأمة ، ومثلنا مثل من لم يجد الماء فعليه أن نفتش عنه ، ومثلنا كمثل موسـي الكليم راح يفتش عن النار لأهله ، وهل نبقي بهـذا الانتظار، وماذا يحقق هذا الانتظار فلماذا لا نعمل ونفكر ونخطط من أجل البناء والجهاد أو الدفاع ، فقد انتظر آباءنا ، وماذا حققوا وانتظر أجدادنا من قبل ، صبروا

علي كل شيء وصبرنا علي كل شيء ويصبر آباؤنا ، وهل يرضي الله لهم ذلك .

لماذا كل ذلك ، لماذا الاستسلام ، أليس نحن كثرة وقوة ولماذا هذا الصمت وقد ضاعت الحقوق وإلي متي هذا السكوت ولماذا هذا الانطواء أيها المسلمون ؟

ص: 168

نحن الفرقة المنتظرة ومن هو المنتظر ؟

نحن الفرقـة أو الطائفـة التي غاب عنها إمامها واعتقـدت بولادته وإمامته وغيبته بعد ما كان وله دوره الإيجابي وعنه صدر الكثير ، نحن الأمة التي تنتظر هـذا الإمام ولكتها بقيت تعيش علي صبر وهنا الصبر فوق طاقتها وقـدرتها ولكنها تباعـدت عن ماضـيها المبارك المشـرق الذي أمـدها بالمعرفـة واعتقـدت بالإمامـة بعـد النبوة وبقيت تعمل بالتقيـة في قضاياها وممارساتها وتتحمل الأذي الشديـد وحتي الأشد وكأنها ليست من أمم الأـرض وهي الطائفـة الغريبـة في دنيـا الأمم فقالوا وتقولوا عليها ونسـبوا إليها الكثير، لماذا ؟ لأنها تؤمن بوجود الإمامـة في الأرض هي طائفة تعتقد بإمام ثاني عشر ويقال لها الفرقة الإمامية الاثنا عشرية (1) اعتقادا له من يبرره ويدعمه وله أساسه وبناؤه ،

1- كتب الاعتقاد والعقائد والمعتقدات – القديمة والحديثة – ذكرت ذلك تفصـيلا، فقد أوجز أستاذنا المظفر محمد رضا في عقائد الإمامية ذلك .

وهو من صلب الشريعة وواقعها .

اعتقاد و اعتقادنا مدعوم بالكتاب والسنة والسيرة والإجماع والعقل والضرورة وكلها حاصلة ثابتة أما إذا كان الاعتقاد بلا وعي ولا معرفة ولا دليل فهو من البدع وضرب من الاختلاق ونحن من ذلك نبرء ، وقد علمنا أئمتنا علي الاستقامة في كل قضايانا الفكرية والفلسفية وقد ورد عنهم أن نعرض ما ورد عنهم علي كتاب الله فإن وافق الكتاب أخذنا به وإلا ضربناه عرض الجدار ولكن موضوع الإمام وغيبته مبني علي فلسفة وحكمة ومقتضيات وهذا ما يجهله الكثير فلو أدركوا بوعي فلسفة الغيبة ودواعيها وأبعادها لما حصل الذي حصل وما صدر الذي صدر و اعتقاد وعقيدة بلا أساس أو دليل إنما هي ضرب من ضروب الأساطير والخرافات أو أحدوثة اختلقتها الأوهام والأوضاع القديمة والحياة الساخنة ثم بقيت وتسربت فهي قضية موروثة متوارثة مأخوذ بها لأنها جاءت عن الآباء والأجداد، وهذا هو الفكر الجاهلي الذي هدمه الإسلام ، ونحن براء من ذلك كله فقد قرأنا وفتشنا ورجعنا إلي الكتاب والسنة فوجدنا قضية الإمام المهدي عليه السلام والإيمان بها ضرورة من ضروريات الشريعة ومن لم يؤمن بها فهو لم يعرف الدين علي واقعه ويصح القول فيه ، وينطبق عليه الحديث : « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ».

إن ظهور الإمام إلي الميدان العملي السياسي العام معناه إعادة

بناء الأمـة من جديـد وبناء الأمـة كبناء الدولة وبناء الدولة ليس مسألة سـهلة ، إنما هي تحتاج إلي قوة وعزم وتخطيط ، ولو تشابكت الأيدي واتحدت القوي ، فلا ولن تسـتطيع هذه الأيدي إعادة بناء الأمة بعد سقوطها وتفرقها ، إذا كيف يبني هذا الإمام هذه الأمة بعد سقوطها ؟ إن بنـاء الأمـة هي من منجزاته وهو الـذي يعيـد لهـا هيبتها ومجـدها وما ضاع منها ، وهي بانتظاره والدولـة العالميـة وقوامها وإقامتها هي من مختصاته وفكرة الدولة العالمية ليست من الأمور الوهمية أو المسـتحدثة ، وهي فكرة إسـلامية من واقع الشـريعة لأنها شـريعة عالمية تدعو الأمم والقوميات والعقليات في مشارق الأرض ومغاربها وفكرة الدولـة العالميـة والمهدي عليه السـلام معناها اسـتمرار لصولة المصـطفي المبعوث الـذي نادي بها تشـريعا والإمام المهـدي عليه السـلام حفيـده سـينادي بها تطبيقا لأنه يحمل أفكار الأنبياء عليهم السـلام ، ولأن الشـريعة تسع الـدنيا « وَ مـا أَرْسَـلْناكَ إِلّا كَافَّـةً لِلنّاسِ » (1) ، والشـريعة هي ذات قوة وعطـاء أن تسع الحيـاة بكـل اتجاهاتهـا واحتياجاتها ومتطلباتها ، فليست قضـية المهدي عليه السلام قضية تخص هذه الطائفة ، أو من مختلفاتها ، ويحسب البعض – وهو علي خطأ، أو يتعمد هذا الخطأ – بأنها قضية بعيدة عن الشريعة وواقعها وأنها تخص هذه الطائفة أو هذه الفرقة ، كيف ما كان فنحن بانتظار هذا الإمام ، وإن طال الانتظار، لكن علينا أن نبحث ونقرأ

1- سبأ: 28.

لعلنا ندرك فلسفة هذه القضية وهذا الانتظار ثم نعود إلي أنفسنا ونسأل ونتساءل كيف نحن، وماذا هيئنا ، وماذا أعددنا ، وماذا خططنا ، وماذا فكرنا، وماذا نفعل من أجل المستقبل القريب.

هل جمعنا صفوفنا وأعددنا وتقاربنا ؟ وما هو تكليفنا الشرعي ، هل هو السكوت والصبر وتحمل الأذي أو حركة الأيدي والألسن بالدعاء ؟ هذا هو لاغير، وإذا سألنا عن ذلك كان الجواب :

إن ذلك مكتوب علينا ، فعلينا أن نستجيب إلي ما كتبه الله علينا ، هكذا ولا غير ولا مفر ولاجواب ولا حركة ونبقي نتلقي الكلمات القاسية التي تشبه السهام الخارقة والنبال الجارحة وسكوتنا دفع كثيرا من الكتاب أن يحركنا بقلمه المأجور لنستمع وليقرأ اعتقادنا وما انطوت عليه نفوسنا كما شهدنا ذلك عندما هب واندفع الكاتب المصري أحمد أمين فكتب (المهدي والمهدوية)، ولما سئل قال : لولا ذلك ما قرأنا ما كتبه الكتاب ووصل إلينا من الانتاج الفكري الكثير عنكم.

إن قضية الإمام المهدي عليه السلام أوقعت أبناء هذه الأمة بمشاكل اجتماعية وفرقت صفوفها ، وخلقت الأفكار المضادة ومسببة التخلف والابتعاد والتباعد عن الكتاب ، فلو قرؤوا كتابا مقبولا عن الإمام المهدي عليه السلام لما حصل الذي حصل ونقول نحن نؤمن به وننتظر ويلزمنا الانتظار عقلا و شرعا، والصبر وإن طال الانتظار واشتد الألم

ويتحقق الفرج ولا بـد لليل أن ينجلي ونصبر وما صبرنا إلا بالله ، وهذه الفرقة التي كثر أعداؤها في هذه الدنيا دنيا الباطل والأكاذيب وشأنها شـأن الفرق الأخري التي تمر بمراحل وخطوات فهي بين المـد والجزر وبين القوة والضـعف ، وفي كل يوم حال وشأن ، هـذه الفرقـة مرت وعاشت خطوات وفترات مختلفـة منـذ ولادتها ومنشؤها ونموها ، فهي بين يوم ويوم وهـذا ليس بجديد لم تجد هذه الفرقة راحة أو حرية في يوم من أيامهـا الماضـية وفي مراحـل حياتهـا من حكـام العصور وسـلاطين الـدهور الـذين قتلوا أئمتهـا ورجالهـا ولاحقوا وتابعوا أفكارها وحركاتها فكان المفروض لا وجود لها في هـذه الحياة ولكن ماذا بعد كل ذلك بعد هذا وذاك كانت الأمة ، وكانت هذه الفرقة ، وكان الفكر والوجود وهي لاتزال وإن غاب عنها إمامها وما أحوج هـذه الأمـة إلي الإمام في هذه الأيام السوداء وما يقوله أبناء هذه الأمة فهو إفصاح عن الجروح والآلام والكبت فقد سمعنا من يقول إذا كان هذا الإمام قد خاف من حكام عصره أو كان في حذر وخوف وريبة منهم فهل ذلك باق في هذا العصر وهذه الأيام، وإذا خاف الإمام من الآباء والأجداد فما ذنب الأبناء؟

هـذه مقولـة اليوم وقد قالها كثيرون الذين ملوا الحياة وضاقت صدورهم وامتلأت بالنزيف العاطفي من جراحات القلوب وقالوا : لماذا غاب ولماذا طال الانتظار وما أحوجنا إليه ، وكثر العتاب ورسائل العتاب فقد قال شاعر الفيحاء السيد حيدر الحلي معبرا عن ألمه :

من حامل لولي الأمر مالكة *** تطوي علي نفثات كلها ألم

هـذا واحـد من ألف من كلمات هـذا الإنسان المعـذب الإنسان الصابر، الذي عبر عما في عقله الباطن وضـميره الجريح، هذا هو الإنسان المنتظر الـذي ينتظر وطـال عليه الانتظـار، وكلمـا طـال الانتظار ازداد الألم واشـتد المصاب ، فقـد قال الكثير إلي متي ، وأين هو والقائلون كثيرون والـذين سـئموا وملوا الحياة وضاقت صـدورهم وامتلأت ألما واختزنوا الآلام ولا ندري لو طال الانتظار ماذا يقول الناس في العصور القادمـة ، أمـا الإنسان المنتظر في عصـرنا فإذا اشـتد عليه حزنه اسـتغاث به وصوت رافعا يـديه : أغثنا أغثنا يا فرج الله الغوث الغوث العجل العجل هذا هو صوت الإنسان المنتظر في عصرنا الذي ينتظر هذا الإمام .

هـذا المنقـذ هو خاتم الأئمة الذي أطال الله عمره بمشـيئته وأجل دوره وظهوره إلي وقت الحاجة « الإمام الثاني عشـر هو الحجة المهدي ، وهذا الإمام هو آخر حجج الله علي الأرض وخاتم خلفاء رسول الله وآخر أئمة المسـلمين الاثني عشر وهو بعد في دار الدنيا وقد أطال الله تعالي بمشيئته عمره الشريف وهو غائب عن الأنام » (1).

ويبقي الإنسان المنتظر لهذا الإمام الغائب ويسأل ويسمع ويحس

1- من هم الشيعة ؟ لمحمد مهدي الشيرازي الكربلائي : 21، مطبعة الآداب - النجف الأشرف.

ويتألم وينتظر ويوصي أهله والآخرين بالانتظار ... أنا وأنت وكلانا وكلنا من حيث نحن هو ذلك الإنسان المنتظر أو أنت كذلك ؟ كل الدنيا بالانتظار وكل الدنيا في تغير وتطور وكل يوم هو في شأن وكل ما في الدنيا جديد ويتجدد ونحن نرتقب ونأمل وننتظر الأفضل ننتظر الضياء والنور والتغير وانتشار العدل في الدنيا هذا هو اعتقادنا ومن لا يؤمن بالانتظار لا صبر له ولا دين له ولا عقل له ونفي الانتظار معناه هدم الأحاديث الكثيرة المروية في الكتب وما أكثرها وقد وردت عن أئمة آل البيت عليهم السلام .

فقد ورد في فضل الانتظار عن الإمام الصادق صلي الله عليه واله ما يغني وما يبعث الاطمئنان والثقة ، والأمل والراحة في نفس الإنسان المنتظر ، فإذا رجعنا إلي الكافي وجدنا فصولاً من أخبار الانتظار . اللهم اشهد علينا أننا بانتظار الإمام لأنه الإمام المنتظر ولأنه الإمام الموجود وإن غاب عن أبصارنا المحدودة وعن العين وإن غاب عني وعنك فهو ليس بغائب هو حاضر وهو شاهد وهو مشاهد وهو معنا في مجالسنا وموقفنا يرانا ويلحظنا ويسددنا ونحن في لطفه وشهوده ورؤياه وقد ورد في أحاديث آل محمد صلي الله عليه واله « إن ميتنا إذا مات لم يمت وإن غايبنا إذا غاب لم يغب ».

وهذا الحديث يجب الوقوف عنده طويلا ويحتاج لعقلية تستضيء بنوره وتدركه وهنا طال الحديث بيني وبين هذا المشكك، وكان المحور الذي دخلنا فيه كيف يحكم عليه بحكمين ويتصف بصفتين

الغيبـة والحضور والغيبة ليست نقصاً فيه أو هدما لإمامته ، فالغيبة أسـندت إلي كثير من الأنبياء والأولياء ، وغائب آل محمد صـلي الله عليه وسلم قد تلبس بالغيبة واتصف بها وهو كذلك.

إذن ما هو المقصود من هـذا الحديث بعد صـحة روايته وسـنده وهو من الأحاديث المسـموعة المنقولة في كتب الروايات والأحاديث نقله السـماعون وعلقوا عليه كثيرا ، وإذا قلنا إنه ليس بغائب ولم يغب عن المسـلمين فمعناه تلبس بالحضور وما هو المقصود من هذا الحضور ، هل هو الحضور الفكري أو حضور عنـد البعض دون البعض أو الرعاية العامة للآخرين من حيث لا يعلمون ولا يدركون ودار الحديث بيننا وقطعنا وقتا طويلا وأشواطا سـريعة وكان السؤال الجديد هل للحديث أبعاد أخري وتأويلات مقبولة لا تصـطدم مع القضايا العقلية المنطقية ومع أسس العقيدة المذهبية التي أشادها آل البيت عليهم السلام والمعنيون بالاعتقاد والعقيدة وما هو تأويل الحديث وليس في الحديث أي صعوبة إذا قلنا إن الأئمة شـهداء علي الخلق يرون ما لا يراه الناس ويسمعون ما لا يسمعه الناس وهم حاضرون في أذكار الناس وإن أعمال الناس تعرض عليهم فغيبتهم جسديا لا تمنع من حضورهم فكريا وروحيا وأخلاقيا ، فهم السادة ولهم السيادة وإليهم يرجع الناس ، وعنهم ينطلقون ، فغيبة الإمام عليه السـلام عنا أو ابتعاده عنا لا يفقده الحضور والمعنية والوجود علي المواقف وما يصدر وما يقع علي هذه الأمة ، فهو معها لم يبتعد عنها ، فهو الذي يدير شؤونها، فهو قريب

إليها ، حاضر معها ، يرعاها ويسدد أخطاءها.

بقي السؤال : ماذا يقصد بالغيبة ، وهل غيبته من الله معناه حرمان الأمة من نوره ومن عطائه أو من نفسه فهو الذي اختار لنفسه الغيبة ؟ وهذا سنبحثه في الأبحاث القادمة في فلسفة الغيبة وآثارها السلبية والإيجابية علي هذه الأمة ، وأبعادها وحدودها وبدايتها وكيف الانتهاء...

إن مسألة الإمام المهدي عليه السلام ونشأتها مسألة إسلامية وليست دخيلة أو مستحدثة أو مرتجلة أو مختلفة ، كما توهم من لا بصيرة له بذلك .

وهنا وجه هذا السائل وهذا السامع أو هذا المشكك السؤال قائلا : كيف ظهرت وانتشرت ، وكيف اعتقد المسلمون بالمهدي عليه السلام وتوارثوا هذه العقيدة ؟

الجواب وباختصار: إن نشأة هذه الفكرة وولادة هذا المعتقد عند المسلمين منذ عصر النبوة والصحابة وعصر التابعين وكل العصور الإسلامية ونحن من حيث المقياس الزمني الجيل العاشر وسبقتنا أجيال آمنت واعتقدت بالمهدي عليه السلام والغرض والبداية هو تصريحات وتأكيدات الرسول صلي الله عليه واله بذلك ، وما أخبر به وما ورد عن الأئمة عليهم السلام من بعده ، وأن عددهم اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل ، وهو القائل « الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»، والأخبار في ذلك كثيرة فليست هي قضية هذا الجيل وقد قطعت مسافات زمنية وعاشت

عقليـات وأصابها ما أصابها من التشويه والانحراف ودخل عليها ونسب إليها ما ليس منها ، فظهرت فرق كثيرة هنا وهناك اسـتغلت وتاجرت وتلاعبت بقضية المهدي عليه السلام وما أكثر الفرق وما أكثر المتعمقين بشخصية المهدي عليه السلام لأن الدنيا مصدقة ومؤمنة بالمهدي من حيث هو هو، فاسـتغل المغرضون هذا الشعور بقضايا ومصالح سياسية ، فنسمع بالمغرب العربي وغيره أو في المشرق الإسلامي أو هنا وهناك من يقول بالمهدوية والمهدي ولكن هذا بعيد كل البعد عن واقع القضية المقدسة الصحيحة المروية التي بشر بها الرسول والصحابة ، وما أكثر المبشرين بالمهدي عليه السلام منذ أقدم العصور .

وكم قرأنا من الكتب والأفكار الهزيلـة المعنونـة بعنوان المهـدي والمهدوية ، وهي ضـرب من الدجل والافتراء وحاول الآخرون أن يتقمص شخصـية المهدي لغرض أن يستغل البسطاء من الناس وحاول آخرون تشويه المعتقد وأدخل ووضع واختلق أفكارا له ومنه وعليه، فهي من خلق هذا الإنسان وليست هي من واقع المهدوية الصحيحة.

قرأت في مجلـة العربي التي تصـدر عن الكويت العدد 253 محرم الحرام 1400ه في كانون الأول سـنة 1979م مقالاـ ينقل فيه عن فلم جزائري قدمه احد السينمائيين الجزايين يقال له مرزاق علواش بعنوان مغامرات بطل « في مغامرات بطل يعالج علواش وسواسأ

ص: 178

يفتش في أعماق اللاشـعور الجمعي العربي وبوجه خاص في أكثر المناطق العربيـة تخلفـة ، ففي هـذه المناطق يتجسـد هـذا الوسواس في شكل حقائق ماديـة تزيـد من نقل التخلف والاحباط ، إنه وسواس المهدي المنتظر الذي سـيظهر يوما ليخلص الجميع من شـياطين الفقر والجهل والمرض قهريـة جبارة واحدة لأداء مهمة إلهية ، وهكذا تتمخض العملية عن ولادة إنسان يزيل عقدة نقص القبيلة يوعد الانتقام من الواقع المزري ويزيل في الوقت ذاته لعنـة القـدر عن مجتمع بكامله ، وهـذا يعلن عن قرب النهايـة ، حيث ينكشف معه عقم الوسواس ففي الجزائر يولد طفل صـغير فيقوم أعبان القرية يضعون وشمة علي ذراع الطفل ويعلنون ظهور المهدي المنتظر، ويحظي الطفل الصبي الشاب بكافة صـنوف العون والتقدير، ويرسلون بطلب معلم له يعلمه أصول الحكمة ويركز المعلم الشديد في خلق إنسان متفوق يمكنه أن يحل في المهدي الملهم والمستعد لأداء مهمة الهية .

وهـذا القول وهـذا التصـريح من هـذا الكاتب الجزائري إن قصد به هذا الكاتب موضوع المهدي الذي يعتقده المسـلمون من أقدم العصور المهدي المنتظر من ذرية الرسول صـلي الله عليه واله من ولد فاطمة عليها السـلام الذي بشر به الصحابة فهو علي خطأ أو قصد به الموضوع المعين والقضـية الخرافية الخاصة المقصودة المألوفة في الريف الجزائري، فهو قول ناقد ومقبول شرعا ودينا وأدبا ، وإن هذا النوع من السلوك المنبع في الريف

الجزائري إنما هو ضـرب من الخرافات الدينية وهو من أشد الأخطار علي الدين الصـحيح والعقيدة الإسـلامية ، وإنه عمل يشوه معالم وجه الـدين المشـرق كما هو يصـرح بـذلك في نفس المقال ومثل هذه الخرافات والأساطير لو تغلغلت في نفسـية هذا الطفل المولود في الريف الجزائري وانطبعت كان لها الأثر والتأثير وكان لها الفاعليـة علي المعلم الـديني المقبول إن هـذا بعيـد كل البعد عما يعتقده المسـلمون في المجتمع الإسـلامي ، ولا صـلة له بالمهدي عليه السـلام من آل محمد صـلي الله عليه واله ، وإن قضـيته قضـية تحتاج لعقلية واعية ونفس صابرة وقد ورد في الدعاء : « اللهم ارزقني صبر آل محمد صلي الله عليه واله واجعلني انتظر فرجهم» ، أي أنتظر المهدي عليه السلام الذي يطهر الأـرض من الظلم والاعتـداء وتعيش البشـرية في ظله بأمن وأمان وهو الإمام القائم الـذي تنتظره الـدنيا والأرض والقوميات والإنسانية علي اختلاف أشكالها ، كما صوره أحد المحدثين في مباحث علم الكلام .

يقـول فخر الـدين الطريحي في كتـابه (مبـاحث علم الكلاـم) ص 208: « وإمـام زماننـا هو القـائم المنتظر محمـد بن الحسن الحاضـر : بالأمصار الغائب عن الأبصار فيظهر بعد غيبة طويلة فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يفتح الله علي يديه مشارق الأرض ومغاربها ، بشـرنا بذلك النبي صـلي الله عليه واله ، وقال : طوبي للصابرين في غيبته ، طوبي للمقيمين علي محبته ، أولئك من وصفهم الله في كتابه

ص: 180

فقال : « يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ » (1) ، وقـال : « أَولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ ۚ أَلَا إِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (2)، وكذلك بشرنا آباؤه عليهم السلام ، وأن غيبته طاعة لله وامتثال لأمره ، وإن سـببها ليس منه ، وقبيح نقل الفرض عقلا كما تقدم يدل علي أنه ليس من الله ، فتعين أن يكون من الخلق ، فإنهم أخافوه وهموا بقتله ، وسبب بطائه اما كثرة العدو وقلة الناصر أو مصلحة استأثر الله بعلمها » (3).

واسـتمر فخر المحققين الطريحي الأسـدي بقوله : «نحن نتوقع ظهوره ونسـأل الله تعـالي أن يعجـل فرجه ويرينـا فلجه ويجعلنا من أنصاره وأعوانه » (4).

ولعلنـا عزيزي القـارئ قاربنـا ولما نصل إلي هـذا الشوط وإلا سـنبدأ في رحلـة جديـدة ، رحلـة نحو الواقع ، رحلـة إلي رحاب التصور، ثم التصديق إلي المقدمة وما بعدها .

1- البقرة : 3.

2- المجادلة : 22.

3- مباحث علم الكلام للطريحي : 282.

4- مباحث علم الكلام للطريحي : 282.

رحلة جديدة إلي رحاب الإمام المهدي عليه السلام

وهـذه سـفرة جديـدة ورحلـة نبـدأها بعـد هذه السـفرة الأولي التي قطعناها بمعيتك عزيزي القارئ ونحن لا نزال في حديثنا عن هذا الإمام المهـدي عليه السـلام ولعلنا بـدأنا نتباعـد عن ظلام الشك وقاربنا ضوء اليقين ونبدأ حديثنا من جديد عن المهدي عليه السـلام الذي ترتقبه القلوب ، قلوب المعذبين في حياة القوة والظلم.

المهدي عليه السلام حفيد النبوة الذي قيل فيه وقالوا عنه ، وهو لا يزال بين

الأقوال في العقول المستقيمة والسطور البيضاء والسوداء في الكتب الإسلامية المختلفة ، إنه الإمام المهدي عليه السلام .

المهدي بين الوهم والحقيقة ...

بين الخيال وبين الصدق والاعتقاد ، بين الوجود واللا وجود .

بين الاختلاق الذهني وبين الدين الصحيح .

وبين الواقعية وبين الأحدوثة المختلفة ...

وبين التصور والتصديق ...

وبين المعقول واللامعقول ...

وبين التكذيب وبين الإيمان به ...

وبين التشكيك والثبات والانتظار له .

بين فريقين ؛ المؤمنين به ، وبين المعتقدين بوجوده تقليدا وبين المتأملين لقضـيته وفق الأسـس والمعادلات المنطقية والقياسات والأشـكال والقضايا الفكرية .

المهدي عليه السلام بين الانتظار الذي طال وأحدث الجراح وبين المتوقعين لظهوره ، إنه المهدي عليه السلام.

المهـدي عليه السـلام بين الحضور العقلي والنفسـي وبين الحضور الخـارجي في نسـبة ولادته وبقائه إنه المهـدي عليه السـلام بين التراث القـديم والتراث الحـديث ، هـذا هو الإمام المهـدي عليه السـلام بين القبول والقبول ، بين العقليتين العقلية القديمة ، عقلية الآباء والأجداد والعصور السالفة ، والعقلية الحديثة عقلية المختبر والتجريب وما يؤمن بما له وجود بالخارج وإيمانه بالعقليات يتوقف علي إيضاح وإفصاح وجلاء واستبصار إنها عقلية اليوم.

الإمـام المهـدي المشار إليه ، المخبر عنه من قبل ، والمبشـر به هو الواحـد المعهود المعين المقصود من نسل الحسـين عليه السـلام ومن أحفاد النبوة.

الإمام المهدي بين المعرفة وبين الاجتهاد الجديد وبين التقليد القديم الموروث.

بين تقليـد الآباء والأجـداد الذين آمنوا به روايه وأخذوا بالمأثور وصدقوا وآمنوا وانتظروا هذه عقلية الآباء والأجداد والذين ورثوا ذلك المعتقد من الزمن الأول ، وقضـية المهـدي هل يسانـدها النقل ويـدعمها المأثور والمأثورحجـة يثبت الاعتقاد ويكشف عن صـحة هذا الاعتقاد ، ويتوقف عليه هذا الاعتقاد، أو هي قضية عقلية يدعمها العقل السليم ، العقل المقبول ...

أو هي قضـية لا بد منها ضـرورية لنشـر العدالة في الأرض ، وهذا ما وعد الله به من قبل ، ووعد الله لا خلف فيه وبذلك صوت المصلحون والمبشـرون وأخبروا به في الزمن القـديم لتطمئن الإنسانية بهذا المهدي الذي يصـلح الدنيا ، أو هي مسألة ضـرورية من ضـروريات الحياة الإنسانية ومن مقتضيات الحياة الإنسانية ، ولها اتصال بعدالة الله وإثباتها وثبوتها جزء لا ينفصل عن واقع علم التوحيد والتوحيد الصحيح ؛ لأنها قضـية انتصار للمظلومين في الأرض ، وهي حرب . وردع وإيقاف لتيار الظالمين في دنيا البشرية ، أو هي نشر رحمة الله بين العباد في هذه الحياة ، حياة الإنسان القوي والضعيف ، وهنا قضيتان فرعيتان :

الأولي : وهي كيف يجب أن تكون هذه الأمة عند ظهوره واستقباله

ومواجهة جند تستقبل القائد وهي لاتملك السلاح ولا التنظيم والاعداد ، أو كيف تكون هذه الأمة هل نعدها إعدادا مقبولا لاستقباله عليه السلام كما ينبغي عسكريا وفكريا ، وكيف وبماذا وإلي متي؟

وهل نحن جند له كما ندعي ونقول ونصوت :

يا إمام العصر يابن العسكري المنتظر *** نحن جند لك فاظهر أيها الثاني عشر (1)

الثانية : هل نحن نبقي كما نحن عليه هيابين نخاف من ظلام الليل ، لا نفعل ولا تحرك ساكنا، ولا نصحح أخطاءنا ، ولانصلح أنفسنا، ولا نطور حياتنا ، أو نكيف أمورنا ونؤطرها بأطر جديدة بما يتناسب ومواجهة هذه الحياة القادمة .

والمسألة الثالثة الفرعية الجديدة التي ظهرت في أثناء هذا الحديث وهذه المرحلة هل هي قضية الشيعة وحدها أو هو إمام للشيعة وحدهم دون غيرهم ، أو هي قضية اختلقها الفكر الشيعي نتيجة العذاب الذي عاشه في الظروف السالفة كما يقولون ... انها مخاض ظروف سياسية حادة قست علي فئة معينة في الأرض فتصورت بقوة خيالها فولدت عندها هذه القضية ، قضية البطل الذي يأتي ليخلص المعذبين في الأرض ، معناه قضية اختلقها هذا الإنسان

1- الشاعر مرتضي الحائري الخطيب من حفاظ القرآن .

لحماية نفسه بنفسه، فخلق صورة رجل من بنان أفكاره ووحي خياله وتصوراته وعن حياته مخلوق له ومنه وإليه صورة أنه كذا ... وأنه كذا ... وأنه كـذا... وظهوره في يوم كذا، وبقي هذا الإنسان المعذب قرونا وسـنوات ، وطال هذا الانتظار كما حاول الكاتب المصـري أحمد أمين ، فقد حاول أن يجعلها قضـية لا واقع لها خلقت في ظروف معينة وليست إسـلامية وإنما هي قضية خلقها الإنسان وقد أحدث ضجة في هذه الفترات ثم اعتذر بأنه لا يملك تلك المصادر ولم يعها من قبل ، إنه عذر لا ثمن له.

الإمام المهدي عليه السلام اتفقوا عليه واختلفوا فيه ، فقد ورد في الكتب الإسلامية جمعاء وحتي الكتب الأخري فكرة المهدي عليه السلام والانتظار وانه المصـلح الذي يصـلح الدنيا واختلفوا في اسـمه وفي شـخصه وفي نسـبه ، وهذا الاختلاف لا يضر في أصل الفكرة المنحدرة الأصـيلة . نحن نسـميه المهدي المنتظر والإمام المؤمل وقائم آل محمد صلي الله عليه واله من ذرية الحسين كما بشر به الرسول صلي الله عليه وسـلم ، فقـد قال الرسول صـلي الله عليه واله وهو يشـير إلي الحسـين عليه السـلام : «هـذا إمام، وابن إمام، وأخ لإمام، وأبو أئمة تسع، تاسعهم المهدي ».

أمـا غيرنـا يسـميه بأسـماء أخري والاشـتباه في المصـداق الخـارجي والكل اتفق علي المبـدأ والمنشأ والجـذور والبدايـة والمفهوم وأنه وقع الاختلاف في الخارجي في الذات وما أكثر الاشتباهات في المصاديق

ص: 186

الخارجية وهم يسـمونه البطل المحرر والبطل المصلح للعالم والبطل المرتقب كيف ما كان فهذه الفكرة دينية قديمة والدين وحدة متكاملة لا تتجزأ ولا تنفصل بعضها عن البعض الآخر، وإن تعدد المبشرون بهذا الدين إن التفكير بالمهدي عليه السلام مسألة لها جذورها الدينية .

وهذا التفكير موجود في الفكر الديني وفي كل الحضارات والتراث الديني الذي سـطره الأنبياء عليهم السـلام لا اضـطراب فيه ولا تناقض ، فما وجدناه عند محمد من فكر وإصـلاح وخلق وأدب و تبشير و اقتدار وجدناه عند من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام ، فعيسي والإنجيل ، وموسـي والتوراة ومحمـد والقرآن ، وقـد وجدنا بين هؤلاء وغيرهم نسـبة وانتسابا وحركة وابتداء وانتهاء ، وبين هذا وذاك زمان طويل فكيف التقي هـذا وأخـذ من هـذا، الكل انطلقوا من زاوية (الله هو الخالق) وهم الواسـطة بين الخلق والخالق وكلهم رسل الخير وكلهم يحملون فكرة الاسـتقامة والعدل والتوحيد ، محمد صـلي الله عليه واله لم ينفصل عمن تقدمه ، والكل يشكل مدرسة وهي مدرسة التوحيد والدعوة إلي الله ، وكلهم ينادي بوجود الجنـة والنار ، ومحمد صـلي الله عليه واله وحده بشـر بالإمام المهدي وليس الكتب الإسـلامية وحدها هي التي تهتف وتتحدث عن هذا الإمام الكبير ... الكبير الذي سيعيش في آخر الدنيا ويدعو إلي ما دعي إليه الأنبياء عليهم السلام والأوصياء.

وقد ورد في الحديث الصحيح إن الله بعث محمدا صلي الله عليه واله رحمة

وسيبعث ليس القائم من آل محمد صلي الله عليه واله نقمة علي من يريد الشر في الإنسانية والتسلط والسطوة ومص الدماء. وحتي من يتحدث عن قضايا المستقبل والإصلاح الاجتماعي أخبر عن قيام رجل قوي يصلح الدنيا ، فهم يجمعون ويتفقون عليه وإن اختلفوا فيه ، وهم يكثرون الحديث عن هذا البطل المرتقب وهم يتحدثون عن صفاته وقوته وصراحته وعن نفسيته وعن قوة شخصيته وعن أعماله وتصرفاته وعما ينجزه للإنسانية وما يقدمه من إصلاحات ومعاجز فكرية وسياسية ، هدم وبناء ، وما يحققه في شرق الدنيا وغربها ، وهم يأملون قدومه وإن طال الأمد وامتد الزمان وقدوم هذا البطل حقيقة لا ريب فيها، وفي قدومه ووجوده في الساحة الواسعة أحاديث كثيرة مفضلة ، وإن اختلفوا في اسمه ومكان قدومه فإن ذلك لا ضير فيه ، وهو اختلاف في الشكل لا في المضمون، فقد قرأنا كتب الطوائف والملل والنحل والطوائف السماوية القديمة والحديثة وجدنا كلهم بخبرون ويتوقعون ويبشرون بقدوم هذا المصلح لهذه الدنيا المضطربة ، ومن أحاديثهم وأفكارهم الاجتماعية أن الحياة في حركة وتغير وقد يكون سريعة وقد يكون بطيئة ، هذا ما اعترف به علماء الاجتماع وعندهم أن مسيرة الحياة الاجتماعية لا بد أن تمر بمراحل، مرحلة بعد مرحلة ، فهي بين قوة وضعف ، مرحلة النمو والظهور ، ومرحلة اللقاء والانتشار، ومرحلة التلاقح والتفاعل، ومرحلة الأخذ والعطاء ، ومرحلة الاندثار والانهيار، هكذا تمر البشرية بهذه المراحل

وهـذا ما يحدث قبل ظهور هذا المصـلح المرتقب ، وهذا ما نجده في كل الحضارات الشـرقية والغربية ، وهي تتحدث عن آخر الزمان وما يحدث فيه وحتي الحضارة الإسـلامية ، وكلها آمنت بأن الدنيا تتغير وأن آخر الزمان يختلف كثيرا بأهله وارتباطاته وأخلاقه واتصالاته وكلها آمنت وبشـرت بظهور شخصـية قوية تحمل هموم العالم ويقال له المصـلح الأكبر الذي يدعو لإصلاح الدنيا و تغيير نظام هذا العالم بغيره سطرة بعـد سـطر وكلمـة بعـد كلمة حتي يظن الناس أنه جاءبدين جديد أو بقرآن جديد أو بشـريعة جديدة كل ذلك لم يكن وإنما يدعو إلي دعوة الأنبياء علي ، وهـذا يحـدث ولا بـد من حـدوثه في هـذا العالم الواسع الكبير ، فهو المهـدي لشـرق الأرض وغربها، للإنسانيـة علي اختلافهـا ودعوته لا تخص هـذا العالم الإسـلامي أو هـذه القارة أو في قارة دون أخري ، إنه للـدنيا إنه للإنسانيـة وليس هو للمسـلمين دون غيرهم هو الذي تسعد به الإنسانية .

وقـد ورد في ذلك أخبار وبشارات ما أشوقنا لعصـره ولزمانه ولأبناء عصـره ، فقـد ورد « أسـعد الناس به أهل الكوفة » إنها مسألة شاملة عامة ليس للمسـلمين دون غيرهم أو للعرب دون العجم ، فهو لأبناء المشـرق والمغرب ، للـدنيا شـرقها وغربها ، الشـمال والجنوب ، إنها قضـية إنسانيـة ، قضـية خير ومحاربـة للشـر، لينعم أبناء الـدنيا في ظلال دولته ، فقد ورد في الدعاء : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ وَ تُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَ أَهْلَهُ وَ تَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَي

طَاعَتِكَ ... » (1)، فإذا نزل كما يروي كان عيسي معه وإن فسرنا نزول عيسي النزول المادي أو الشخصي أو هو أخلاق عيسي وزهد عيسي وهيبة عيسي.

وقضية المهدي عليه السلام قضية كتابية مهما اختلفت ألوانها ولغاتها ، فهو إمام للدنيا يدعو إلي العدل ويحارب الظلم والفساد فهي ليست مقصورة لطائفة معدودة كما يقال مهدي تدعو إليه الشيعة نحن لا نقول بذلك ومن يقول بذلك فهو المتخلف ثقافيا وعقليا ولم يرد ذلك عن طريق آل البيت مطلقا.

إن المهدي عليه السلام ليس للشيعة وحدهم دون غيرهم ، أو من أجل الشيعة وحقوقهم ، أو تحدثت عنه كتب الشيعة ولم يرد ذكره في الكتب الأخري ، بل وردت هذه القضية في كتب المسلمين القديمة والحديثة وتفصيل الأقوال أن الإمام المهدي عليه السلام يشبه جده المصطفي صلي الله عليه واله الذي بعث للجميع، للإنسانية جمعاء ، إله إمام الجميع ، للإنسانية المعذبة المضطهدة ، للأسود والأبيض ، يدعو للعدالة ،إنه المهدي وإن اختلفت الفرق في المصداق والتطبيق ، فكما وقعوا في الخطأ فهو المهدي هو إمام الإنسانية الذي يبعث في الزمن المناسب وهو المولود وكل الفرق تقول بوجوده ، وكلها تبشر بظهوره والحاجة إليه كل من يحمل فكرة ودينا، وحتي العقلية الحديثة

1- دعاء الافتتاح .

تتغني بقـدومه وتسـميه البطـل المرتقب متفقون عليه ومختلفون فيه ، كلهم يقولون بوجود هـذا الإمـام المهـدي ، وحتي العقليـة العباسـية استغلوا ذلك لعروشهم واستقطاب الناس حولهم، وكثير من سمي ولده بالمهدي لغرض أو أكثر، واستغلت فرق هذا الشعور وإن كانوا علي خطأ من هـذا وذاك أن المهـدي حقيقة أصـيلة لها مقرها ووجودها اطمأنت بها النفوس وآمن بها الكثير، فلماذا هذا الشك والتشـكيك ، وما هي دواعي هذا الشك والتشكيك ؟

ص: 191

وقفة جديدة مع المشككين في قضية الإمام المهدي عليه السلام

لماذا التشكيك فيه والإيمان بغيره ؟

أهو شيء جديد ، أهو مختلق ليس له أوليات ؟

ولماذا يكثر القال والقيل في الإمام المهدي عليه السلام دون غيره من القضايا الدينية والاجتماعية ؟ ولماذا هذا التشكيك ، أهو ثقافة جديدة في عقلية تدعي الوعي، فإذا صدقنا الرسول صلي الله عليه واله وآمنا به وقام الإجماع علي صدقه ، وقد ثبت ذلك فعلا ، ما هذا التردد والانشطار في قضية الإمام المهدي عليه السلام ، فإذا شككنا فيه وفي ظهوره وفي ولادته وفي حياته وطول عمره فقد شككنا في غيره لأن الدين وحدة لا تتجزأ لا ينفصل بعضها عن البعض الآخر ، فقد ورد :

« من كذب آية من كتاب الله فقد نبذ كتاب الله وراء ظهره ».

ورد ذلك عن أبي الحسن ، قال :

« من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره ، وهو

المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين » (1).

فإذا شككنا في الإمام الثاني عشر شككنا بإمامة من سبقه ؛ لأن السابق نص علي اللاحق، وأخبر عنه ، وسئل عنه وأجاب ، فإذا شككنا في علي عليه السلام شككنا بما ورد فيه وعنه وما روي فيه عن رسول الله صلي الله عليه واله صريحا ليس فيه لبس ولا خفاء، وإذا شككنا في الحسين عليه السلام وتصرفاته في الحياة فقد شككنا في قول الرسول صلي الله عليه واله فيه ، فإن قول الرسول فيه حجة (2) ، الشك والتردد في القضايا الدينية دليل علي ضعف الإيمان أو علي التخلف والجهل وعدم الانفتاح والقدرة علي الهضم، وقد ورد عن علي عليه السلام بعدما دعا له الرسول صلي الله عليه واله : « اللهم اهدي قلبه » ، فقال علي عليه السلام : « ما شككت بعدها أبدأ ...» وهو القائل : «ما ازددت إلا يقينا »، فمن آمن بالرسول صلي الله عليه واله وصدق كيف يصاب بالشك والتشكيك وهو القائل هناك إمام له عصره ، وله دوره ، وأهل زمانه ، الشك مرض خطير يهدد العقلية ويفتك بالنفس فيسلب راحتها وهو ضرب من ضروب العذاب ؛ عذاب الضمير ، فمن أصيب به أو ابتلي به لا يستطيع العيش مع الآخرين.

1- روضة الكافي : 197 .

2- وقد شكك الكوفيون وأتباع بني أمية في تصرفات الحسين عليه السلام وخاطبهم قائلا : «سلوا جابرا وأبا سعيد وزيد بن أرقم ».

الشك واليقين لا يجتمعان ، فكيف نعيش مع الآخرين ونحن نشك بهم . الشك داء فتاك لا تستطيع به السير والمعاملة مع الآخرين ، وحتي مع الأهـل والأصـدقاء والجيران والأبنـاء أجارك الله من هـذا الـداء وهـذه العـدوي ، وإذا أصـبت بها فتش عن العلاج أو تـدري أيها الشاك المضـطرب المتردد أنه مرض من الأمراض النفسـية ، إنه اضـطراب وقلق ، إنه ألم وعـذاب وانه خطر علي عقلك وعلي نفسك ولا راحة لهذا الضمير المعذب بغير اطمئنان وثبات ثبتك الله وآمنك الله وأدخل الراحة في نفسك.

قال علي عليه السلام : «الشك يفسد الدين ».

« الشك كفر ».

« الشك ارتياب » .

« الشك يحبط الإيمان ».

« الشك ثمر الجهل».

« الشاك لا يقين له » (1).

وكيف يشك الإنسان ولماذا يشك الإنسان في أمر قام الإجماع عليه وهل يتحول هذا الشك إلي يقين ؟

ولماذا يشك الإنسان المسلم في قضية هذا الإمام الثاني عشر

1- راجع : الدرر والغرر في حكم علي عليه السلام للآمدي .

إذا كانت قضية واقعية عاشت عصورا في نفوس الآباء والأجداد ؟

أما أنا فقد آمنت واعتقدت وصدقت لأنني عرفت محمدا صلي الله عليه واله نبيا صادقا وقام الإجماع علي أمانته وصدقه وما ورد عنه هو الصدق ، فيؤخذ به وهو الذي قال صادقا ودعانا إلي هذا الإمام ولا بد لنا من معرفته خشية من أن نقع في أحضان الجاهلية والتخلف والضلال .

« من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » ، واقتضت إرادة الله أن لا تخلو الأرض من حجة ، فهو إمام العصر ولكل عصر إمام. « رَبّنَا إِنّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبّكُمْ فَآمَنّا » (1).

وقد آمنا وهي قضية لا ريب فيها ولا شك فيها وللشك جذور و عوامل وأسباب وإذا سألنا هذا المشك كيف صرت مشككا وما هي عوامل التشكيك ؟ لا يجد الجواب ، ولا جوابا منطقيا ، وللشك مراحل كثيرة ونتائج وأسباب فإذا شك في نفسه شك في غيره ، وإذا شك بهذا وذاك وما بعد ذلك وما هي النتائج الإيجابية والسلبية وهل يستطيع العيش مع الآخرين وهل يستطيع الفرد أن يعيش بهذه النفسية المضطربة في كل القضايا والأمور ولا يعتقد ولا يطمئن بهذا وهذا أو يبقي في دائرة مفرغة ودوامة ولا يقف عند حد أو يبقي تسيره الشكوك والظنون والأوهام ولا يقف عند حد متي يعي هذا الإنسان ويدخل إلي دائرة اليقين والثقة بالآخرين ويريح نفسه من هذا الشك

1- آل عمران : 193.

الساخن ويتخلص من هـذه الأوهام العالقة في أوهامه ويريح نفسه ويتقرب إلي الآخرين ويحسن الظن بهم ويسأل نفسه كيف أصـيب بداء الشك ، وكيف بـدأ هـذا الـداء الخطر الـذي أبعده عن غيره يشك في عينه إذا نظرت وحكمت فهي لا تري الأحمر أبيض والأسود بياضا لكن صاحب النظارة السوداء إذا رأي الشـمس رآها مظلمة غشاوة علي أعينهم إنه داء خطير يهدد الأفكار ويهدد الخواطر والضـمائر والمرتكزات ويهـدد حتي البـديهيات ، فكيف إذا عـاش الشـك و تمركز واسـتقر في النفس ، تحول النهار إلي ليل أليل ، وصارت الـدنيا أمام عينيه ظلام دامس، والحقيقة الواضـحة الصادقة المشرقة إلي قضايا أسطورية لا واقع لها وإنها من تسطير وخلق وصناعة هذا الإنسان أجارنا الله وأرشدنا إلي الحقيقـة ، ولذلك أمرنا وأرشدنا الدين الحنيف بهذا الدعاء لتطيب نفوسـنا راحة وثباتا ، اللّهُمّ فَاجْعَلْ نَفْسِـي مُطْمَئِنّةً بِقَدَرِكَ (1) . اللهم عرفني دينـك ، اللهم عرفني ولـك ، اللهم نور قلوبنـا بالإيمان وعرفنا الحق وأهل الحق واجعلنا من الـدعاة إلي طاعتك والقادة إلي سبيلك ، هذا هو المنطق الديني والروحي، وهذا هو العلاج فمن بصـره الله ونور قلبه فهو سعيد، والذي بصره الله ونور قلبه وعرفه الحقيقة ووصل إلي عين اليقين وطرق باب الواقع فهو ولي الله وهو القريب إلي الله وهو الفارق والسالك علي طريق النجاة ، وهذا هو

1- زيارة أمين الله .

الفـوز والبصـيرة والانكشـاف . وهـو الكشف والبصـيرة بالـدين ، وهـذا هو الخروج والإـخراج من الظلمـة إلي النور: « اللّهُ وَلِيُّ الّذينَ آمَنوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إِلَي النّور » (1).

الحمد لله الذي أخرجنا وبصرنا وعرفنا الحقيقة ، وعرفنا وليه ، ووصلنا إلي رحاب الهداية والنور، واقتربنا إلي التمسك بالعروة الوثقي وأخذنا وسـلكنا مسـلك الصواب ، وإن قال القائل وليقل ما يقول والناس هم الناس منـذ أقـدم الأزمنة والعصور بين مشـكك وبين مذبذب و منافق ومقنع وثابت والحقيقـة هي الحقيقـة ولا يضـرنا قول الناس وإن قالوا وتقولوا ، فلو كانت بأيـدينا درة وعرفناها ثمينة عن بصـيرة ووعي ودراية واختبار فلا يضرنا من قال إنها فحمة أو كثرت الأصوات بأنها لا ثمن لها في الأسواق وهنا نستمع إلي صوت الإمام الحادي عشر حيث يقول : « إنما خاطب الله العاقل والناس علي طبقات :

1 – المستبصر علي سبيل نجاة متمسك بالحق متعلق بفرع الأصل غير شاك ولا مرتاب.

2– وطبقة لم تأخذ الحق من أهله ، فهم كراكب البحر يموج عند موجه ويسكن عند سكونه.

3– وطبقة استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الرد علي أهل الحق ودفع الحق بالباطل حسداً من عند أنفسهم ، فدع من ذهب يمينا وشمالا ،

1– البقرة : 257.

فان الراعي اذا اراد ان يمع غنمه جمهما باهون سعي » (1).

ومن تأمل كلام هذا الإمام أدرك القوة في منطقه وعرف الحق وأهله ومن هو أهل للهداية والآخذ بيد الإنسان إلي سعادته. فالإمام إمام هادي يأخـذ بهذا الإنسان إلي ساحة الهداية ومن أراد الله به خيرا نور قلبه وفتح له نوافذ الحقيقة وحبب له الإيمان فوجد طعما ولذاذة ونورا في قلبه ومن وقع في الجهل والشك والتردد فهو في ظلمات ويبقي ويعيش في ظلمات وجهل.

مذاهب المشككين ومنطقهم وأفكارهم ونفسيتهم، فالمشكك لا يدري أنه مشكك ويري نفسه هو هو وإذا تكلم وجادل قال : أنا، ولا تفارقه الأنا، ولو سألنا هذا الشاك :كيف ولد الشك في نفسك ، هل ولد مع ولادتك ، أو عرض عليك عرضا ؟

قال : أنا مشـكك ، لماذا أنت مشـكك وغيرك في يقين وهل تدري أو تعلم بنفسك أنك شاك وكيف نما هذا الشك عندك واسـتقر ؟ وهل هو ملتفت إلي نفسه بأنه مصاب بهـذا الـداء الخطير ليفتش عن العلاج ؟ ولو سألناه ما هي دواعي هـذا الشك ومتي دخل هـذا الشك في نفسـه أبولادة ووراثة أو بالجهل أو الصـحبة أهو من المتخلفين أتسمع أتجادل أتميز بين القوة والضعف بين الخطأ والصواب هل يتحول هذا الشك إلي يقين أتحب أن تكون شاكا وتعيش وتموت هكذا.

1- بحار الأنوار للمجلسي - في أحوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

أتدري أنك لا تؤمن بالحقيقة . إذن أنا علي يقين وأنا معتقد وأنت من المشككين فما هو الفرق بين هذا وهذا، فلماذا أنت شاك ولماذا أنا علي يقين ، هل تسأل نفسك لماذا لا تأخذ بالحقيقة وهل في الحقيقة شك الشمس طالعة والنهار موجود والسماء فوق رؤوسنا والأرض تدور أفي ذلك شك ؟ هل يجمع الماء من أطرافه ؟ هل جسم نامي ؟ كيف تنمو ؟ هل متحرك ؟ هل أنت معتقد بذلك أو علي شك في ذلك ؟ أو أنت علي يقين ، وهل أنت شاك بأنك علي يقين ، فأين هو الشك وأين هو اليقين ، هذا هو الداء ، وهذه هي الاضطرابات بالداخل التي لا قرار ولا استقرار، هذه هي الاضطرابات الفكرية والنفسية عند الكثير من أبنائنا وبناتنا ، كيف نشأت ونمت هذه العقلية وإلي متي الخلاص منها ، وما هو العلاج فيرون ما لا تراه العين ليس له نصيب من الوجود وهل رأت العين كل شيء وما أكثر الكائنات والمخلوقات الموجودة ولا تدرك العين وهي أقوي من الكائنات ذات الحجم الكبير .

تعال معي أيها الإنسان لتتخذ من الشك أسلوبا ومنهجا ومسارا وحركة في مسيرتنا نحو الوصول إلي اليقين ويكون الشك خطوة ومرحلة أولي نسلكها للوصول إلي رحاب اليقين إلي ساحة الحقيقة وهو الهدف المقصود وهو اليقين وهو الحق اليقين .

ص: 199

مراحل من الشك إلي اليقين

وبعد أن قطعنا هذه الأشواط وهذه المراحل الثلاثة : مرحلة الشك والتردد فيه ، ومرحلة ما قبل الشك، ومرحلة ما بعد الشك ، وأسباب هذا التشكيك ودخلنا في مرحلة اليقين لأنها قضية من القضايا الممكنة وليست من القضايا التي تتصادم مع العقل وليست قضية اقناعية واقتربنا أن ندخل في الإيمان والحاجة إلي ظهور ووجود هذا الإمام وأنها قضية لا بد منها وهي من القضايا الضرورية اللابدية العقلية المنطقية وبعد أن انتهينا إلي الاعتقاد به وأنه هو الإمام الثاني عشر وهو من ذرية الحسين عليه السلام ، ومن نسل فاطمة عليها السلام وهو ابن الإمام الحادي عشر، وهو المكني بأبي القاسم وأنه إمام حي موجود مولود ، وهو الإمام الذي ينشر العدل في مشارق الأرض ومغاربها، وهو إمام العصر والزمان ، ولأن لكل زمان إمام ولا بد فيه من إمام ولا بد من معرفة هذا الإمام ، ثم انتهينا إلي اليقين بعد الشك ثم الاعتقاد والإيمان ولماذا

ص: 200

لانؤمن به وقد قام الإجماع المنقول وغير المنقول علي هذا الإمام المنتظر الذي يملأ الدنيا عدلا وراحة وسعادة والحديث النبوي الصريح المروي المشهور المسموع الذي يتردد علي ألسن الجميع أنه إذا خرج «يملأ الدنيا قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » ، أفي هذا الحديث شك ومن شك فيه فقد نسب التكذيب إلي جمهور المسلمين أو إلي جمهور من الرواد الذين عرفوا بالأمانة والصدق وحسن السيرة وماذا نفهم من هذا الحديث المتواتر الذي قرأته الأجيال السابقة وقرأناه ماذا وراء هذا الحديث وما هو مؤداه ؟ أن للظلم نهاية ولا بد من تلك النهاية ولا بد من القضاء عليه في الأرض لابد من يوم لا يبقي ظالم ولا ظلم في هذه الدنيا ولا أثر للظلم في هذه الحياة علي وجه الأرض، فإذا خرج فهناك انجازات وأعمال كثيرة والدنيا بانتظاره والإنسانية المعذبة تأمل ظهوره ،ماذا يقوم به للإسلام وللمسلمين وللدنيا ، فلا خوف ولا ظلم ولا إجرام ولا استبداد . هناك السعادة والعدل ، هنيئا لأهل ذلك الزمان ليأمن الناس في زمانه وهو إمام ذلك الزمان وهو الوعد الموعود وهو البشارة ولا بد للظلم الذي طغي من نهاية وعذاب ومن شك في ذلك فهو مصاب ومن شك في ذلك فيشك في عدل الله وحبه للعدل والخير ويجب الإيمان بعدالته تعالي في الأرض لتطمئن النفوس ولا بد من أخذ حق المظلوم من الظالم ، وللظالم عذاب وعذاب الضمير وعذاب الدنيا وعذاب التاريخ وعذاب الآخرة أشد، ونقول : لا بد من نهاية لهذا الظلم في

هذه الأرض وإن طال زمان الظلم وهذه اللابدية العقلية بها تثبت عدالة الله بين العباد ، فإن الله أنزل الأديان وبعث الرسل دعاة للخير ونشراً للعـدل وإنه لا يهمل الظالم وإن أهمله فلا عـدل ولا علم له به تعالي الله عما يقولون وعما يصـفون ، فأين عدالة الله هذا صوت المظلومين وإذا بقي الظالم ولماذا بقاؤه ، ولماذا التأجيل إلي يوم القيامة ، ولماذا الامهال والتأجيل والسـكوت عنه ما دام الظلم قبيحا وما دام الدين حربا علي كل ظالم مهما كان وعلي كل ظلم كيف ما كان ولا بـد من يوم يأتي وإن طال الزمان فلا ظلم في هـذه الأرض ولا يبقي ظالم مسـتبدأ علي العباد ولا بد من نهاية ونحن بانتظار هذه النهاية والسؤال الجديد : هل هذا مجرد كلمات أو هو وعد وأحلام ونبقي ونصبر أم هو حقيقة لا ريب فيها ولا شك في وجودها حقيقة غرست في أذهان المؤمنين قالها الأنبياء وآخرهم خاتم الرسل صـلي الله عليه واله ولا بد من ذلك لا بد من يوم ينتهي فيه الباطل ويندحر وأن الحق هو الذي ترجع إليه البشـرية و تأخذ به ، وهذه اللابدية والاعتقاد به حقيقة دينية وقضية قائمة صادقة صوت بها آلاف من الأنبياء عليهم السلام من قبل ومن بعد وبشر بها المبشرون والدعاة في الأرض منذ أقدم الأزمنة بأن الظلم له حد وله نهايـة وأن الله عادل وأن للظالم أجل وزوال وإن طال أمـده واسـتبد وفعل وعلا وبطش فلا بـد له من عـذاب في هـذه الـدنيا قبل عذاب الآخرة قبل يوم المعاد متي يكونذلك إنه يوم خروج هذا الإمام (قائم آل محمد صـلي الله عليه واله) فاصبروا وانتظروا وإن طال الانتظار فإن فيه الثواب الجزيل وإن الله قد

بشر الصابرين بكتبه وعلي لسان أنبيائه .

والسؤال الثالث : هل يبقي الظالم في الأرض يعمل ما يعمل والله عليم بالظالمين ، والله بصير بالعباد ، والله لا يرضي بالظلم ؛ لأنه قبيح في كل العقليات ؟ والله يحب العدل ، وهل يطول عمر الظالم أكثر واستبداد الظالمين وقد ملئت الأرض وامتلأت ؟ وهل يعلم الله بذلك أو لا يعلم ؟ وإذا كان يعلم فهل يرضي ببقاء هذا الظلم ووجود هذا الظالم وأن يعيش العباد في لهيب وظلام مع الظالمين ويعيث الظالم في الأرض فسادا تعالي الله عما يصفون ، إنها والله قضية هذا الإمام قضية عدل وعدالة لهذه الدنيا . بقي عندنا الحديث عن دواعي الشك وأسبابه وكيف تنشأ وكيف العلاج ، وماذا نقول لهذا الشاك وكيف تولد عندك هذا الشك أتدري أو لا تدري ؟ وهل تعلم بأنك قد أصبت بهذا الداء إنه داء خطير ويصعب علاجه وهو ضرب من الوسواس والخواطر الشيطانية أو هو من ضعف القوي أو هو من سيطرة القوي الشيطانية الشريرة ، ولعل ما ورد عن الإمام حيث قال: «لا تمكنوا الخبيث من أنفسكم» ولقد أجاد الشاعر حيث قال : إن كنت في آل الرسول مشككا *** فاقرأ حديث الوحي في القرآن

فهو الدليل علي علو محلهم *** وعظيم علمهم وعظم الشأن

وهم الودائع للرسول محمد *** بوصية نزلت من الرحمن (1)

1- مقتل الحسين عليه السلام لابن نما الحلي : 5، ط. النجف .

الشك مرحلة من مراحل اليقين والاعتقاد والإيمان

ولماذا يشك الإنسان وكيف يقوي الشك عنـده ، هل هو داء يصاب به هذا وذاك ، الناس أنواع كما تري ؛ رجل يشك ولا يدري لماذا يشك ، يشك في نفسه في ذهابه وإيابه ، ويشك وهو في عبادته وكيف يزال عنه هذا الشك.

ورجل يشك ويدري أنه يشك ويتعمد أن يكون في شك ولا يدري أنه علي يقين من شكه فهو من أهل اليقين بنفسه وبتصرفاته ولكن يحسب أن يقال إن هـذا يختلف عن غيره ، فما هو العلاج والإصـلاح ورجل ثالث يشك في نفسه وفي غيره وفي القريب والبعيـد وتارة يـذوب عنده الشك ويزول ثم يعود إليه فيشك في سيرة أبيه ودين آبائه وأجداده ويريد أن ينفصل عن الماضي ويتجرد عن كل معتقد بلا حجة ولا سبب أو برهان إنما هو الشك ، فالإنسان بين مرحلتين بين الشك وبين اليقين ، فقـد يزول هـذا وينقلب إلي يقين ، وقـد يكون اليقين يرتقي عنـد هذا الإنسان فيذوب ويرتد ويبدأ كما ولد وكما كان ،

ص: 204

وهـذا هو الارتداد في المبادئ والمعتقدات ، هذا هو الإنسان الذي يعيش في خطوات فكرية ومراحل مختلفة وذبذبات زمنية وأدوار مختلفة ، فقـد كـان في يوم وفترة من حيـاته ثم انقلب وارتـد كـان في جهل واطمأن إلي مبـدأ ثم ارتقي ووصل إلي مرحلـة من مراحل العلم و خطا خطوات نحو الأفضل هـذا هو الإنسان كان يعيش في عقليـة ورؤيـة وبصـيرة ثم تبين له جانبا قـد خفي عليه وتبدل ذلك الوهم وتهدم ذلك البناء ، فكان في حالـة وتحول إلي حالـة أخري ، أليس هـذا هو الإنسان الذي رأيناه وهو في طرائق وأحوال شتي بين الشك وبين اليقين وبين الوهم وبين الخطـأ وبين الظن وحتي الشـك قـد يرتقي وقـد يتمركز ، هـذا هو الإنسان مليء بالخواطر والأوهام والأحلام والآمال ، فهو بين الصدق والتصديق وبين الخطأ والصواب ، وبين الوهم والحقيقة وبين اليقظة والنوم وبين الشك اليقين ، يشك ولا يعلم لماذا يشك ، ويسـهو ولا يدري لماذا يسـهو وما هو العامل النفسي الذي أوقعه في السهو ، ولماذا يتردد في هذا ويطمأن بهذا ويؤمن بهذا وكيف يتولد الشك عند هـذا الإنسـان وكيف يظن السوء في زيـد وخالـد في نظرة أو من حركـة ولأبسط الأمور يتحرك هـذا الإنسان وما هو ذلك المحرك الـداخلي والخارجي عنـده وكيف اتصف بهذا الفعل وتلبس به أهو من الداخل ؟ من أمور أخري من المسـموعات أو المرئيات أو الإحساس أو عامل النقص كل ذلك يخفي علي علماء النفس والمختبرات الإنسان عندهم يتحرك وينفعل ويري ليس بيقينه فهو

يرغب ولا يرغب ويتأثر ويميل وتتقبل أذنه هـذه الكلمـة وتنفر عن الأخري ويختزن هـذا وينسـي غيره فهو في مرحلـة كان بعيـدا عن الدين والتـدين ثم تغير و تبـدل وهو يخطـأ وينكشف له الصواب وتـارة هو شـاك وعامـل الشك وخالق الشك فيه خفيـة عليه وعلي غيره وبعـدها انكشف له أمر آخر وأنهـدم وتهدم ومات ذلك الشك الذي ولد وعاش ونما في نفسه ولكن لا يدري كيف تولد عنده الشك وتمركز فيه ، وأثر عليه ، وتـذكر لأمور صـحيحة حقيقيـة واقعية مقبولة عند الآخرين ولكن لا يدري لماذا شك فيها ونفر عنها وكفر بها وأعرض عنها وقد تبقي أمورا كثيرا رآها وسمعها وحدثت ولكن لا يعلم ولا يدري لماذا ينسي وكيف نسي هذا وتذكر غيره وما هو عامل النسيان ؟

وكيف يرتكب الخطأ في أمر دون الآخر وقع في الخطأ من حيث لا يعلم وهو ولا يعلم أنه قد أخطأ ثم يؤوب إلي الصواب ؟

فما هي دواعي الشك عنـدك أيها الإنسان وأنت في عصـر الشاشة والتلفاز رجل واحد تكلم فتولد منه ملايين الصور والمتكلم واحد والكلام هو هو فهل في ذلك شك ماذا تقول أيها الإنسان وأنت في عصـر المختبرات زجاجـة واحـدة تصور لك هذا الكائن الدقيق بصورة كبيرة أكبر من شاشـة عينك كيف يقترب إليك البعيد وكيف يكبر في عينك هذا الكائن الدقيق أتبقي تعيش في هذا العذاب من الأوهام متي تتحرر من الشك « أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » (1) أنت

1- إبراهيم: 10.

مخلوق أنت مركب أنت متحرك أنت متـأثر أنت بين اليقظـة والمنـام ترغب بهـذا وتهواه أتبقي وأنت بين حالـة وأخري مـتي تتحرر من هـذه الشـكوك أو تموت وأنت علي شك في نفسك وهل عرفت نفسك وما هي وما فيها وكيف هي ومن ألهمها ومن أودع فيها هذه الطاقات وهذه القوي سـبحان من خلقـك « وَنَفْسٍ وَمَـا سَوّاهَا » (1) ، فمـا هي دواعي هـذا الشك في نفسك وكيف تمركز الشك عنـدك وأصـبحت عبـدأ مشدودا مقيدا بهذه الأغلال وكلها أوهام تشك في نفسك وفي الناس وتشك في وجودك وتشك في أعمالك وتصرفاتك ثم تشك في اعتقادك تشك في النهار وتشك في الليل وهو نهار وهو ليل.

وقد يشك الإنسان حتي بالأمور البديهية وحتي المتسالم عليها يشك في الموت والموت حق ، والموت يقين ، والموت لا ريب فيه ، ويشك بالموت وهو ينام والنوم أول مراحل الموت ، وإذا بدأ عنده الشك بالموت فالعلاج والوقاية أن يري هذا الإنسان كيف يموت وكيف مات تعال وانظر إلي الموتي في بلادنا لعلك تتحرر من هذا الشك الذي تعيشه .

إن الشك داء يبـدأ كنقطـة حبر علي قطعـة بيضاء ثم تتسع ويتطور هـذا الشك حتي في تصـرفات هـذا الإنسان وهو لا يعلم كيف جاء وبدأ ودخل هذا الشك في نفسه ولكن بعد ذلك كيف العلاج وكيف نرفع هذا الشك المرتسم في الأذهان وما هو الدواء ؟

1- الشمس: 7.

إذا عرفنا عوامل الشك والأسباب استطعنا أن نقدم له العلاج النفسي لإزالة هذا الداء الفتاك وما أكثر المشككين ومنذ أقدم الأزمنة ، ثم عثروا علي الدواء الشافي وزال عنهم هذا المرض الخطير ولو سألنا هذا الإنسان لماذا تعتقد بهذا وتشك بهذا ولماذا تحب هذا وتكره هذا ولماذا أخذت بهذا دون هذا إنه لا يملك الجواب المقبول ولكن كيف الوصول إلي اليقين ، وكيف يتحرر الإنسان من داء الشك، وما الشك إلا صفة من أبرز صفات الجهلاء الذين أصيبوا في نفوسهم وعقولهم، فهم ضحية عامل التأثير الخارجي ، سألت نفسي لماذا أنا شاك ، ما هو الجواب ؟ ولماذا أنا شاك في وجودي وأنا موجود وهل أشك في كوني إنسان وأنا إنسان ولماذا هذا الشك ، أشك في نفسي أنا من الأحياء أنا من الأموات ، وها أنا ذا وأنا موجود وأنا حي وأنا فاعل وأنا مختار وأنا أحس : أقف، أسير ، أنام ، أتأثر بأحلامي ، أنفعل كل ذلك وأنا أشك في نفسي ؟ أنا شاك في غيري وهو أمامي وأنا شاك في هذا وهو حقيقة لاريب فيها ، أشك في السماء وهي فوق رأسي وهي رفعت بلا عمد أشك بالأرض وأنا منها وإليها وعليها أأشك في الخالق الذي خلق السماوات كيف « أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » (1) لماذا كل ذلك ، هذا الداء الخطير أأشك في الواسطة بين الخلق والخالق ، أأشك في جريان الماء ، أأشك في هذا الهواء الذي يحمل إلي هذه

1- إبراهيم: 10.

الأصوات ، أأشك في أن هذا الكتاب (القرآن) له نصيب من الوجود، وهو هذا القرآن المتسالم عليه الذي قرأته الأجيال ، إن كنت في شك من ذلك فهل تشك أنك ابن لأب والأم وهل تشك أنك لم تكن ثم كنت ، وهل تشك بأنك تنام وتري في المنام ، بأنك تسمع وتري وتهاجر وتلتقي ثم تستيقظ وتنسي ولماذا تنسي وما هي عوامل النسيان ولماذا هذا الشك في كل ذلك.

ماذا يقال في كثير الشك يقوم ويقعد وينام ويستيقظ وهو في شك من ذلك ، هل هذا هو الكمال والتكامل ، وماذا يقال في من شك بالموت والحياة ، وماذا يقال من شك في وجود النهار وظلمة الليل وعلئ السماء وحركة الأرض ، وحرارة الشمس ، وبرودة الشتاء ، وجريان الماء ، كل ذلك وقع فيه الإنسان ، فكيف لا يشك مثل هذا الإنسان في إمام ولد وعاش وهو في هذه الحياة ورآه من رآه وتشرف برؤياه وروي حديثه وسمع عنه الكثير وأخبر عنه من أجمعت الدنيا علي صدقه كل ذلك ونجد من يشك فيه وما أكثر المشككين قاتلهم الله وأراح الدنيا من أوهامهم وسمومهم مثل هؤلاء أدركنا نماذج كثيرة من المشككين فقد يشك حتي في وجوده ، فهل هو موجود ويري نفسه أنه من أهل المعرفة والدراية يشك في وجود النهار وهو في النهار ويشك في الشمس وحركتها ويراها ويبصرها ، ويشك في كون القرآن من السماء وهو كتاب الله لا يأتيه الباطل ولا تستطيع العقليات أن تنظم أو ترسم أو تأتي بقرآن آخر يماثله أو يقاربه أو يحكيه أو يشبهه في

اللفظ والشكل والمحتوي والصياغة ، إنه والله كتاب الله ، وهذا يشك بأن أباه فلان وأنه كان في بطن أمه في وعاء مظلم ثم خرج إلي العالم الواسع إنه الشك إنه الداء بين القوة والضعف ، بين الشدة ، وإذا اشتد واستقر كان هذا الإنسان ضحية من ضحايا الشكوك ، وكان من الصعب إزالته والقضاء عليه ، وهناك نموذج آخر يشك في السموات وهي مبنية وموجودة ومرفوعة ويشك في تركيبه وهو مركب ، ويشك في الأرض وكرويتها وقشرتها وهو يمشي عليها وهذا يشك في أصل وجوده وحالة وجوده وبداية وجوده ومصدر وجوده كان نطفة ثم نما وتطور وصار إنسانا « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمّ خُلِقَ » (1) ومما يضحك أنه يشك في عدد ركعات الصلاة ، فما هو العلاج ؟

وآخر يري الكواكب مبصرة متحركة تسير تتلألأ ويشك فيها وآخر يشك في خالقه ورازقه ومدبره وهو لا يلتفت إلي أنه في رعايته وتدبيره (وهو المدبر أمره) وهذا يشك في حركة يديه ورجليه وجميع أعضائه وهو يحس بهذه الحركات والمتحركات وهذا يشك بادم وموسي وعيسي وغيرهم عليهم السلام فكيف لا يشك في نبوتهم وقدراتهم ومواهبهم ومواقعهم وما تركوه للدنيا وما خلفوه من أفكار وفلسفات ماذا نقول لهؤلاء وكيف نزيل الشك عن هؤلاء، وكيف بإنسان لا يعرف إلا لغة الشك والتشكيك فكيف يتبادل معه الحديث وهو إذن صماء

1- الطارق: 5.

وعين لا تبصر وكيف تتبادل أطراف الحديث إنها والله من أصعب القضايا.

وقد عالج القرآن نماذج من هؤلاء ، وعالج الفقهاء والفلاسفة مسألة الشك واليقين وأعطوا المنزلة العليا إلي اليقين وإلي الإنسان الذي يعيش باليقين وأعطوا المنزلة السفلي الدنية للإنسان الذي يعيش الشك والتشكيك ولكن ما هي الخطوات وكيف الطريق الذي نسلكه لنبدأ بالشك وننتهي باليقين ومن شك في الإمام المهدي عليه السلام فقد شك في صدق النبوة ؛ لأن النبوة هي التي أرشدتنا إليه ، وأخبرتنا عنه ، ومن شك في بعض من القرآن يشك في البعض الآخر ومن شك في وجوده شك في عقله وتصرفاته وإنسانيته ونحن نعيش في عصر الشكوك وما أكثر الشكوك والمشككين ونسمع الكثير عن هؤلاء وليس بجديد وجود هؤلاء فقد قرأنا عن هؤلاء القراءات الكثيرة شاك في الموت ، وهذا يشك بالحشر والمعاد ، وهذا يشك في وجود الجنة والنار، وهذا يشك في الخلق ، وهذا يشك في وجود العقل والروح، وهذا يشك في الرزق والتدبير والنظام الكوني ومن أجل ذلك كان الدين علاج ووقاية ، وكان الدين راحة للنفوس ، وكان الدين هداية ونور واشراقة ، وكان الدين صفحة خير وتطهير للظاهر والباطن ، وكان الدين هداية ورعاية وسعادة وتنويرا وخلاصا من العذاب وتحريرا للإنسان من الشكوك ، وقلت لهذا الإنسان الضعيف البسيط المتأرجح الذي تحركه الأوهام والخيالات في لحظة واحدة وتيار يأخذ به ويغيره

ولا يدري ولا يعلم وقلت لهذا الإنسان : تعال إلي اليقين إلي الدين لماذا هذا الشك، ولماذا تشك في إمام أجمعت الدنيا والأجيال والأفكار والعقائديون وآمنوا به ورأوه ونقلوا عنه والشك في المهدي عليه السلام يدعوك إلي الشك في حديث آبائه وأجداده ومن ثم الشك في أحاديث الرسول صلي الله عليه واله ويتسلسل عندك هذا الشك وتتولد منه شكوك ويتعدد ويتحول الشك البسيط إلي شك مركب وحتي المركب يتمركز ويتولد منه عناد وأمراض نفسية من حيث تدري أو لا تدري ، وأخيرا من حيث تعلم أو لا تعلم ، وأنت لا تملك شيئا من أمور الدين والشك هو الهدم وهو التردد وهو الداء الذي يصعب علاجه وهو ضرب من ضروب الانشطار والتجرد والابتعاد عن الحق قصداً أو بلا قصد.

ودواعي الشك كثيرة وراثية وغيرها وكثير الشك وهو مرض من أمراض النفس والإصابة بداء (الوسواس) ولذا قال الفقهاء في وصاياهم: «كثير الشك لا يلتفت إلي شكه»، وهذا علاج وراحة وتسامح في الدين فلماذا يشك هذا وذاك وقد يكون الشك بلا منشأ وبلا داعي وقد يكون بقاء الشك وولادته علي شبهة كاذبة أو سماع أو قال وقيل أو أثر نفسي وما أكثر الشكوك في عصرنا وما أكثر الشكاكين في عصر آبائنا وأجدادنا ، وما هو العلاج النفسي لهذا النوع من المرض الفتاك و مذاهب المشككين كثيرة مذهب اللاأدرية وإليه أشار شاعر التشكيك إيليا أبو ماضي ، ومذهب المترددين في الحياة من الشباب

والمفكرين و مـذهب الشاكين في وجودهم ووجود غيرهم وحتي في أنفسـهم أهو موجود و غيره موجود لا يدري ولعله يشك في هذا وهذا وهـذا الـداء هو الـذي تمركز في عقليـة سـكان الجزيرة العربيـة وإليه أشار القرآن في كثير من الآيات ، فقـد عالجنا ذلك في كتابنا (القرآن والعقلية العربية) وكانوا لا يسمعون لهذا القرآن انهم شكوا وترددوا وكذبوا وسخروا فيه شكوا في هذا الكتاب بعقلية الصحراء البدوية البدائية المتعلقة عمدا وعداوة وتخلفا وهو الحق وهو النور وهو القوة القادرة .

أما الشك في هذا العصر فقد تسرب إلي شبابنا وحتي المثقفين منهم ،والمتحضرين الذين قرأوا في كتب الغرب رغم ذلك وهم من الشاكين حتي في وجودهم وفي أنفسهم وفي قدراتهم وامكانياتهم فكيف لا يشكك في غيره وفي القضايا العقائدية ، وكيف لا يشك في أصل الوجود وواهب الوجود، وهنـاك مـذهب وليس بجديـد وهم الشـاكون في وجود عـالم الآـخرة غير هـذا العـالم ومـذهب المنكرين والمشـككين والمستغربين بوجود عالم غير هذا العالم ، وأرض أكبر من هذا الكوكب ، وسماء أوسع من هذه السماء ، وأرفع وأبعد فكيف لا يشك بوجود مخلوقات أخري غير هذا الإنسان وعوالم بعيدة أفضل من هذا العالم أسـكنها الله من أراد له الوجود والنمو والبقاء والحياة والتكاثر والبقاء ، وكيف لا يشك بوجود خالق حكيم مدير للكون ومن إفلاسه الفكري آمن بالدهر وقال به وهم الدهرية كل ذلك سببه هذا الداء .

ص: 213

وهذه كلمات علي عليه السلام رجل الحق والمعرفة واليقين ، قال :

« ما شككت في الحق منذ رأيته ».

وقال : «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا».

وقد كشف له الغطاء وازداد من العلم وكثرت تجاربه في الحياة ، فهو مع الحق لأنه عرفه وأخذ به ، أي لما عرفت الحق وآمنت به وانكشف لي انه حق وأخذت به وعرفت الحق حق فسرت عليه فلا يمكن أن يتأثر بالشك. وهنا كلمة آل البيت عليهم السلام التي تتلألأ في دنيا الأفكار والمعرفة وهم يقولون لأتباعهم : «لا تنقضوا اليقين بالشك»، وما دمنا آمنا بالإمامة التي يتفرع بعد كل إمام إمام ولا تخلو الأرض من قائم وهادي وداعي وحجة فلا نشك بعد هذا اليقين والإمام الثاني عشر الذي جاء بعد آبائه ، هو الإمام الذي ختم الله الإمامة به ولا إمام بعده ، وهو منتهي من ثبتت له الإمامة ولا يأتي بعده إمام.

وقد تسأل : لماذا كان آخر الأئمة ، ولماذا كان الأئمة اثني عشر إمام، ولم يكونوا أكثر من هذا العدد ، ولماذا تختم الإمامة بالمهدي عليه السلام ؟

الجواب : إن مصالح الأمة وتطور عقليتها قد يرتقي في عصر الإمام المهدي عليه السلام وتنضج لتدير نفسها بنفسها وتعي وتدرك شؤونها وتأخذ بالإسلام منهجا .

ص: 214

مع المشككين والمترددين والمنكرين

في هذا العصر كما يقولون عصر الكمبيوتر والانترنيت ، وعصر الأفلام والأقمار وغيرها وغيرها، عصر اقترب فيه البعيد وصوروا البعيد وقربوه ، عصر يصور الجنين ويسجل حركات هذا الكائن ولكن إذا قيل إن مصلحا قد وعدنا به يعد العدة بصبر وحكمة وتفكير سوف يخرج ويحقق الأهداف ويعالج مشكلات عصره مشكلات الإنسان في المستقبل ويكون له دور في القضايا المستقبلية ، فإذا قيل لهذا الإنسان في هذا العصر قال : أنا شاك ، بل أنا مشكك في ذلك ، ثم قال : أنا متردد ، إنها مسألة من ضروب المستحيل ما اسم هذا المصلح.

قلنا له : هو الذي بشر به الصادق الأمين ، هو المهدي عليه السلام ، الذي بهدايته ونوره تطمئن الحياة وتستقر الإنسانية و ينام الخائف آمنا في مضجعه لماذا أنت مشكك في هذه القضية دون غيرها من القضايا الصعبة ، قال : أنا مشكك !

ص: 215

لماذا ارتديت ثياب المشككين ؟

يقول : لا أدري وأبقي أقول وأقول .

نحن في زمن الشبهات المسموعة والمستوردة ، وفي عصر الخواطر المسمومة القادمة من وراء الحدود وطغت وسيطرت وتمركزت واستقرت في النفوس فقد غرقنا بالتيارات الساخنة والكلمات الرنانة البراقة والأفكار المؤلمة الوافدة القادمة إلينا التي خلقتها العقول المضادة والمصابة بأنواع الكفر والتخلف ووصلت إلينا، وألمت المحيط واضطربت النفوس فما هو الدواء « أَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » (1) إنا نشكو آلاما متمركزة قد أصيبت بها نفوسنا وعقولنا وغزت شبابنا ، فكيف العلاج ؟ حقا إننا نعيش في عالم متجدد كما يقولون ؟ عالم غريب وفي كل يوم أصوات بلا تفكير وأفكار بلا أصوات وكلمات بلا معاني أسموها التحضر والتجديد والرقي وغيرذلك.

قد غرقنا بأمواج من الشبهات سوداء وكلها أخطار فكيف النجاة وأي ساحل ينجينا وبماذا ولماذا كل ذلك ، نحن في عصر تفاعلت فيه الحضارات وتصارعت المعتقدات والأفكار القديمة والحديثة ، وبدأ اللقاء والمواجهة والمنازلة بين الكفر والإيمان ، بين المادة التي تؤمن

1- الرعد: 28.

بما أخذته وما أدركته الحواس ، وبين الروحانيين بين القديم والحديث ، أخذنا وأعطينا والمعركة كما يقولون في كر وفر ونسينا وتناسينا وكأن الماضي لا صلة له بالحاضر، والحاضر فرع وامتداد للماضي ، وكأن قضية المهدي عليه السلام قضية من بنان الفكر الحديث ، أو من مختلفات الفكر الشيعي ، أو هي قضية تنسب إلي أئمة الشيعة دون غيرهم من المسلمين وهي من القضايا الإسلامية الأصيلة التي لها بدايات وأوليات وجذور وهناك أحاديث كثيرة وكثيرة واردة ومشهورة ومتواترة ومنقولة ومسموعة رواها السلف وهي من الأمور المسلمة سمعها الآباء ورواها الأجداد . ففي الملاحم والفتن لابن طاووس ط . النجف :

ظهور المهدي عليه السلام بعد اليأس .

خروج المهدي عليه السلام براية رسول الله صلي الله عليه واله .

استخراج الكنوز وتقسيم المال من قبل المهدي عليه السلام .

زمان المهدي عليه السلام يتمني الصغير أن يكون كبيرا به .

وعن النبي صلي الله عليه واله أمته تنعم في زمان المهدي عليه السلام .

أن المهدي عليه السلام لا يوقظ نائما ولا يهرق دما .

أن المهدي عليه السلام يصلحه الله في ليلة واحدة .

أن المهدي عليه السلام من ولد فاطمة .

ورد أن العدل في زمان المهدي عليه السلام .

ورد أن اسـمه اسـمي وكنيته كنيتي وشـمائله شـمائلي ، وقد بشـر به الصـحابة وتحدثوا عنه وهم المبشرون بالمهدي عليه السلام ، فهذا ابن عباس حبر الأمة في مجلس معاوية يقول : إن المهدي يملك الأرض ، وأنه يخرج وقد سمع ذلك من رسول الله.

أما حديث الثقلين الذي رواه الصـحابة الكرام الكبير والصـغير إذا رجعنا إليه وقرأناه أدركنا وجود المهدي عليه السـلام وأدركنا وجود القرآن هـذا موجود وهـذا موجود ومـا دام هـذا موجودة فهـذا موجود ووجود هـذا ملاـزم لوجود هـذا لن يفترقا ، وكلمـة لن فيها نفي قوي شـديد اسـتمراري لن تفترقا لا تشـريعا ولا وجودا ولا زماناً ولا مكانا، فهذا موجود وهذا موجود بالضـرورة ، أو هذا موجود بالضـرورة وهذا موجود بالملازمة بمقتضي الحديث لن يفترقا.

أو هنا معية هذا مع هذا يسدده ويقويه هذا الثقل مع هذا الثقل وبه يسـتدل علي وجود الإمامة مع وجود القرآن في كل عصر من العصور ، فهـذا القرآن بين أيدينا وهذا حفيد النبوة بيننا يرعانا لن يبتعد عنا ومن رآه من أهل الإيمان كثيرون وكثيرون والذين تشـرفوا بحضـرته كثيرون سددهم وحضـر عندهم عند الشدائد وعند الحاجة والضرورة الملحة وعند التوقف وعن الساعات السوداء والأيام المظلمة عند ساعة العسرة عند الحرج ، ومن رآه وتشرف بحضرته قد لا يجهر ولا يصرح ، ومأخوذ عليه التكتم والإخفاء إلا أنه يقوله في مناسبات ودواعي

وليس فكرة المهـدي عليه السـلام فكرة مسـتحدثة أو خلقهـا المتأخرون أو نشأت بظروف ومخاوف واضـطهاد أو كبت وحرمان أو تفاعلات زمنية كما يزعمون ويقولون ويسيطرون راجع المهدوية لأحمد أمين .

فيري هـذا وغيره أن المجتمع الإسـلامي مر بظروف معينة حرم هذا وسـجن هذا فاختلقوا شخصـية وصوروها وهم يأملون قدوم هذا البطل كما وقع فيه بعض الكتاب الذين يظنون ويعتقدون في أنفسـهم أنهم يحسنون القول والتفكير إنه بحق يخبط بالظلام وهو عدو نفسه وهو عدو لتراثه ويحاول أن يعتدي علي مجد آبائه وأفكارهم المقدسة إنه يجادل بغير علم ولاكتاب ولا قول مبني علي أسـس مقبولة إن قضية المهدي عليه السـلام تشـبه النافذة والأفق نحو المسـتقبل مستقبل الأمة ومستقبل الإسلام والحضارة تحدث عنه الكثير من المسلمين الصادقين من ذوي الطموح فإذا أذن الله له خرج وقام بما هو مناسب مقبول فيه رضا الله ورضا الأمة وإن طال الزمن.

ص: 219

حديث الجزيرة الخضراء

يكثر في هـذا الزمان علي ألسن أبنائنا وبناتنا : أين هو الإمام المهدي عليه السـلام في هذه الساعة ، وفي هذا اليوم ، هل هو هنا وهناك ، هل هو في مكـة أو المدينـة ، هل يلبس احراما ويطوف ، هل هو في كربلاء أو في النجف ، أو عند قبر رسول الله صـلي الله عليه واله ، أو هو في كـل مكـان اقتضت الحاجـة لـذلك ؟ وقـالوا : هنـاك جزيرة يقال لها الجزيرة الخضـراء أو المثلث الـذي لا تمر به الطيور ولا الأصوات ولا الطائرات (مثلث برمودا) ويتردد علي الألسن في عصـرنا أن الإمام المهـدي اسـتوطن هـذه الجزيرة واعتمـدوا في هذا الحديث علي رواية نقلت في البحار وفي هذه الرواية تأملات كثيرة وكثيرة.

لم يرد فيها اسم مثلث برمودا مطلقا ولم يعين أين تقع هذه الجزيرة وما أكثر الجزر والبساتين والأراضـي ، فلماذا يسـتقر هذا الإمام في هذه الجزيرة دون غيرها ومن يقل إنه استوطن هذه الجزيرة دون غيرها من

الجزر والجزر كثيرة ولماذا يسكن هذه الجزيرة وليس فيها أحد يسكن معه ويعيش معه ويألف إليه ويسأله ويأخذ منه والأمة بحاجة إليه يشاركها ويطلع علي أحوالها وفي أرض الله الواسعة مشاهد ومعابد و مساجد وأماكن مباركة ، فإذا قلنا إنه فيها معناها اعتزل هذه الأمة وانفصل عنها وانطوي علي نفسه وهو إمامها وهو الذي يرعاها ويشهدها في مناسباتها وأعيادها و مشكلاتها وآلامها وحامل همومها وهو الأعرف بدواتها ، ولماذا استوطن الجزيرة ، هل وجد هناك راحة نفسية واطمئن وتباعد عن هذه الأمة وهو المسؤول عن علمائها بالخطأ والصواب وعن اتفاق كلمتها وعن عثراتها فإذا قلنا إنه فيها منطوية علي نفسه تباعد عما يحدث وعما يجري علي هذه الأمة اليوم ما هذا وكيف نقول ذلك إنها أحاديث جديدة وحديث الجزيرة الخضراء من القضايا التي خلقها الفكر الحديث إنها شبه واهية أوهي من بيت العناكب نسمعها بالأمس واليوم من عوام الناس . إن الإمام الحجة في مكان لطيف فيه راحة لا يسمع أصوات ولا ثرثرة ولا قال وقيل أين هو هذا المكان الذي نصوره فلم يرد أنه هذه الجزيرة ، وفروا ذلك وظهرت هذه المقولة في الستينات والسبعينات وتداولها الناس .

هذا من تصوراتنا وأوهامنا فكيف تقول إنه مع العلماء وكيف تقول بمن رآه في موقف من مواقف الحجيج أو كيف يحضر أعيادنا وكيف وكيف إن قضية الجزيرة الخضراء قضية جديدة أشغلت مجالس الناس

والناس فيه علي ثلاثة أصـناف صنف قلد فيه تقليدا وبقي صابرا وآخر تأمل فيه وقرأ وطالع وسأل وأكثر القول عنه فهو المتعلم علي سبيل نجاة وبقي يسأل وينقب ويقرأ ليزداد يقينا علي يقينه ونوع ثالث شـكك وتأمل ولا يزال يرفض وهو لا يملك استعدادا فكريا للحوار وبسبب الثقافة الجديدة التي نشـرها وصدرها خصوم هذه الأمة . ومسألة الإمام المهدي هي مسألة عقليةيدعمها النص ويسـندها حكم العدل وهي مسألة من صلب الشريعة لا تنفصل عن النبوة وعن الإمامة.

فنقول للمقلد فيها الذي قلد الأبوين لاعن دليل ولا عن برهان نقول : اقرأ واسأل وتحدث وجادل .

ونقول للمنكر : تعال إلي الحوار الـذي يوصـلنا إلي نتيجـة ولعلنا نطرق باب الحقيقة ، وقد تسألني : لماذا هو الثاني عشـر ولماذا كان الأئمة بهذا العدد لماذا كان خلفاء رسول الله صلي الله عليه واله اثني عشر امامة ؟

مسألة واضحة إن مصالح الأمة وتكامل الأمة متوقفة علي هذا العدد من القياديين مستقرة في إرشادها وتكاملها وظهورها في الحياة إلي هذا العـدد وبعـدها تكون الحيـاة بوجه آخر وصـفة أخري وقـد علـل أحـد مفكري الإماميـة ذلك بقوله : « إن مصالـح الأمـة مفتقرة إلي الأئمة وإرشادها ، فجعل عددهم اثني عشر (1).

وعلل أستاذنا محمد تقي الحكيم في إحدي محاظراته أن الأمة

1- ص4، محمد بن الحسن الحسني العاملي ، ط. قم - ايران .

تعيش بعـد النبوة في مرحلة الانتقال لا تسـتطيع أن تنتخب أو تكون مجلس الشوري النزيه المجرد عن المطامع والأغراض والمصالح وهي لا تزال في مرحلة الانتقال وبعد تجاوز هذه المرحلة وبعد رقيها واستقرارها وتكاملها تستطيع عند ذلك أن تدير أمورها وتختار ما تختار وهو الحجـة ولا تخلو الأرض من حجـة الله وقـد مرت هـذه الأمة بمراحل مختلفة فإذا تكاملت وارتقت شأنها شأن الأمم الأخري فعندها تدير نفسـها بنفسـها ويكون الإنسان في عصر يختلف عن عصرنا، وتكون الحياة القادمة تختلف عن حياتنا المعاصرة وعندها يظهر الإمام ومعني ظهوره وبروزه ووجوده هو في الميدان العملي وعندها يقوم بالمنجزات التي مااسـتطاع الرسول صلي الله عليه واله أن يحققها ولا الأئمة من بعده تمكنوا من ذلك لظروف وفترات وهو به فسر قوله « لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدّينِ كُلِّهِ ».

وقد تسأل : أيكون ذلك أو لا يكون ، أو هو مجرد قول أو كلام تقرأه ولا يتحقق ؟

تعالي الله عما يقولون ، كيف والرسول صلي الله عليه واله هو الصادق ومن صدقه شك في نبوته وهو البشير وما رأينا بشارة له لم تتحقق.

قال رسول الله صلي الله عليه واله وهو يخاطب الحسين عليه السلام : « واختار من صلبك يا حسين تسعة تاسعهم قائمهم ».

وقال ابن مسعود ، قال رسول الله صلي الله عليه واله : « رجل من ولدي يوافق اسمه اسمي ».

وقال رسول الله صلي الله عليه واله لفاطمة عليها السلام : « المهدي من ولدك ».

فإذا خرج وأمده الله ومكنه فهو الذي يسدد عباده وينصرهم ويمكنهم .

ومن المعلوم عدم تمكن علي والحسن والحسين عليهم السلام وبقية الأئمة من ولد الحسين عليه السلام بتسلط المخالفين عليهم فلم يبق إلا المهدي عليه السلام ، فإنه هو الذي يمكنه الله في الأرض (1).

وهذا ما أشارت إليه الآية : « وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ » وهو الذي مكن يوسف عليه السلام وحول حياته إلي حال جديدة والتمكين الإلهي والامكانيات العامة والخاصة مسألة لا ريب فيها « وَكَذٰلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ » (2).

وقد تسأل كيف يستطيع أن يحقق هذا الإمام كل منجزاته ويقوم بما لا يستطيع وما استطاع وما تمكن عليه من كان قبله .

والجواب سهل وبإيجاز إنها أمور إلهية من الله ما دام يدعو إلي الله وإنه لينصر عباده وليس ببعيد ولا مستحيل ولاصعب علي الله أن يمكن له في الأرض أكثر وأكبر وأوسع من يوسف الصديق الذي قال الله عنه « وَ كَذلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ » (3) ولابد لظهوره من صدق

1- الآمال ***: 76.

2- يوسف: 56.

3- يوسف : الآية 21.

وحقيقة فيظهر بالسيف وبعصا موسي التي تغلب بها علي العدو المركب عدو موسي وعدو الله يظهر بالشدة بالقوة بالصراحة حتي تجتمع كلمة أهل الأرض قاطبة علي شريعة واحدة وكلمة واحدة (كلمة التوحيد) وتقام المعطلة من الحدود وقد تسأل متي أبعيد ذلك أم قريب ؟

والجواب بإيجاز إذا امتلأت الأرض جورا وفجورا وكـذبا وغشا وتقاطع الأرحام وتبرأ الوالد من ولده، وأذن الله له هكذا اعتقادنا به و إيماننا به وهي مسألة حتمية ولا بد أن تكون ذلك يكون وما دام القرآن هو الحجة ، وما دام الإسـلام دين الحياة ، وهو الذي قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدّينِ كُلّهِ ».

والمهـدي عليه السـلام و إن قلنا هو غائب مسـتتر فالغيبـة نقصـد بها عـدم المشاركـة في الميـدان العملي ولانقصـد بالغيبة الخفاء والتستر الجسـدي ، اسـتغفر الله من قولي هـذا ؟ وهناك أعمال كثيرة سوف ينجزها وهي تنتظره ، و إذا تحققت المقـدمات والدواعي والإذن من الله خرج وحقق للأمة الانتصار بعد الانتصار ، و إن كثر أعداؤه كيف و إن الله يقول : « وَ أَنّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ » (1) ، وهو القائل وأن الله ينصر من نصره وقد نصر نبيه بأقل عدد (313) هذا عدد قليل وتحقق النصر

1- الأنفال : 18.

في يوم النصـر والانتصار والنصـر من الله وأسـباب النصـر من الله يقول تعالي : « وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » (1)، ويقول تعـالي : « سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ » (2) وقـال صـلي الله عليه واله : « إن الله نصـرني بالرعب»، ولتعلم هـذه الأمـة وتعلم الإنسانيـة أين ما كانت أن النصـر وتحقيق الانتصار والثبات والاسـتقرار في الساحـة وقوة القلوب والمواجهـة كلها بيد الله وهو الذي ينصـر أولياءه في الدنيا والآخرة « وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُه » (3) هـذه هي السـيرة وعليهـا نموت وعليها نحيا ونلقي الله ، ومن ظن في ذلك فقد أصيب في عقله وفي دينه ومن ظن أن لن ينصره الله فليمدد بسبب ...

وقد نبأ الله نبيه محمد صـلي الله عليه واله بأية وبعدها آية ليدرك نعمة الله عليه وكيف حقق الله له النصر وإن الذي نصر نبيه هو الذي ينصر وليه وإن النصـر من عند الله . وكل الأمور بيد الله والذي نصر دينه أولا هو الذي ينصر دينه في الزمن القادم ، قال عليه السلام : « بنا بدأ هذا الـدين وبنا يختم »، وورد : « أولنا محمـد وآخرنا محمد » وورد : «نحن دعاة الدين ونحن أنصاره » والذي نصـر محمدا بقلة وأدخل الرعب بقلوب أعدائه هو الذي يدخل الرعب في القلوب المعادية لهذا الدين وينصر

1- الأنفال : 10.

2- الأنفال : 12.

3- الحج: 40.

المهدي عليه السلام بالرعب أو بسلاح هو يتخذه له في الزمن القادم وإن الله الذي أعطي محمداً صلي الله عليه واله سلاحا ونصره علي العرب هو الذي يعطي حفيد محمد صلي الله عليه واله سلاحا وينصره ، النصر وأسبابه كثيرة .

وكيف يحقق الإمام عليه السلام النصر علي أعدائه ؟

هذا هو السؤال الذي يدور في أذهان الملايين من أبناء هذا العصر، إن الله ينصرنا لأننا ندعو إليه بالقهر والغلبة بالحجة والرعب ، فإن المولي ينصر مواليه علي أعدائه وقد أشار القرآن وأخبر بآيات كثيرة إن الله نصر أنبياءه ورسله.

وقد تسأل : ما هي تلك النصرة التي قصدها القرآن وأكدها بأدوات التأكيد « نَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » (1)، قال تعالي : « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » (2) ، وقال تعالي : « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ » (3) ، وهو الناصر، وهو المسدد.

إذن متي يكون ذلك ؟ وكيف تحقق النصرة ؟ وما هي تلك النصرة ؟ وهل يستطيع هذا الإمام أن يحققها ؟ وماهي تلك الوسائل والأدوات ؟

1- غافر: 51.

2- الروم: 47.

3- الروم: 4 و 5.

هل هي نشـر الدين في أطراف المعمورة ؟ أو هي القوة والوجود ؟ أو هي في الأمة وسيادتها ؟ وما ذلك النصر الذي نسب إلي الله ومصدره هو الله ، أو النصـر الإلهي الـذي لا بـد من حصوله وتحقيقه . والحقيقة أن النصـر والانتصار إعجاز ومعجزة بأبسط وسـيلة إن أراد الله ، ولا يتحقق المراد عن إرادته كما أخبر القرآن عن تلك الانتصارات في الزمن الأول ، وهو هو الناصر لعباده .

وتقول : متي يكون هذا النصـر ؟ وكيف يتحقق ؟ أبعيد هو أم قريب ؟ أمقدور هو أو فوق القدرة ، وإذا كان بعيدا هل نسـتطيع أن تجعله قريبا بأفكارنا ، بسواعدنا ، بوحدة الكلمة ، وما تقوم به من وعي وتحريك وحركة وتخطيط ، أو هذه أمور ليس من مقدورنا ؟

هل يتوقف ذلك علي تكامل الأمـة وكمالها أو تتكامل به وبظهوره والوصول إلي الكمال والتكامل مرحلـة من مراحل كل أمـة ، وهذه الأمة هي من الأمم التي تعيش في الدنيا ، والأمة في يوم ترتقي وفي يوم آخر هبوط وركود واحتضار وموت.

وفي الحديث : « إنكم لا تكملون إيمانكم حتي يظهر المهدي ، فعندها يكمل إيمانكم »، وقد ورد عن الصادق عليه السلام في حديث زيد الزراد الكوفي .. ولعل الحـديث عن الصادق عليه السـلام : إنكم لن تكملوا... ولا تكملون إيمانكم حتي يظهر الحجـة فعنـد ذلك تكونون مؤمنين كاملين .

ص: 228

وفي الحـديث معاني ودروس لو وقفنا عندها لطال بنا الحديث (1). والسـعادة المنشودة والقوة والتكامل إنما تكون في زمانه عليه السلام ، وقد تقول متي تكون الأمة منأمم الأرض القوية ذات السـيادة ومتي تسود السـعادة في الأرض فقد قيل حتي الحيوان يمشـي ويعيش في أمن وأمان، فلا سارق ، ولا اعتداء، ولا فقر ولا فقير ولا رقابة ، ولا حاكم ، ولا محكوم ، كلها في زمانه .

وعصره عصر خير حتي قبل كأنه يأتي بقرآن جديد، وإسلام جديد، وهو ليس كذلك ، القرآن هو القرآن ، والدين هو الدين ، لكن هذا الإمام ينشـر السـعادة في الأرض ، ويطبق حكم القرآن فيزدهر العالم ، ويعم الخير ، وهـذه هي الراحـة ، وهذا ما يأمله الإنسان ويسـعي من أجله ويتبل الخير بالشر، ويطول اليوم، ويطول الشهر، وتطول السنة ، وتطول الأعمار.

وفي زمانه ازدهار العالم بأسره وراحة الدنيا ومن فيها ، وقد ورد في أخبارنا أخبار القائم عليه السلام إذا خرج يقتل ذراري قتلة آبائه وأجداده ، لماذا ؟ وهل يؤخذ الولد بجرم أبيه وبذنبه وخطيئته ؟

الجواب بسيط لأنهم سمعوا فرضوا لفعل آبائهم وأجدادهم وهو

1- بحار الأنوار : 17، زيد الزراد تلميذ الإمام الصادق عليه السـلام ، عنده صـحيفة اسـتفادها من الصادق عليه السلام وهي تشبه الطومار وروي عن أبي عبدالله ، قال ابن الغضائري : إني رأيت كتابه تحدث فيه عن شدة ابتلاء المؤمن.

إمام، وهو أعرف بنفسيات الأفراد ولا نقاش في إمامته ومعرفته وهو الإمام المنتظر، وهو الإمام الذي بشر به جده وانتظره كثيرون ، ونحن مقر بإمامته ونعترف به ، ونعتقد بها .

عن جابر الأنصاري ، عن النبي صلي الله عليه واله : « يا جابر ، الأئمة أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم » (1).

والحياة اليوم مليئة بالأصوات ، ففيها المبشرون بقدومه ، والمؤمنون به ، والمنتظرون لظهوره ، والداعون التائبون ، والصابرون ، والمعللون والمحللون لأسباب غيبته ، والمدافعون والمثبتون لوجوده ، جعلنا الله من المؤمنين به، الثابتين علي الولاء له، ويقينا هذه الأمراض الفتاكة ، ويحرسنا ويحمينا من الشبهات ، نحن نتوقع ظهوره ، ونسأل الله أن يعجل فرجه ويرينا فلجه ، ويجعلنا من أنصاره وأعوانه (2).

وهذا الزمان صعب علي المؤمنين لكثرة التيارات وطوفان الشكوك، وهو الذي أشار إليه علي عليه السلام في حديث من أحاديثه ، ورد عنه : « يَأْتِي عَلَي النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَي مَا فِي يَدَيْهِ وَ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ "وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ"؛ تَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ » (3).

كل هذا نعيشه في هذا الزمان ، ومثلنا كمثل سفينة فقدت ربانها .

1- الملاحم والفتن لابن طاووس: 60 ط. النجف الأشرف.

2- مباحث علم الكلام للطريحي : 282

3- نهج البلاغة لمحمد عبده: 654.

الإمام المهدي عليه السلام بين السائل والمجيب

قرأت كثيرة عن الإمام المهدي عليه السلام وسمعت أكثر من ذلك ، ويبقي العقل يفتش ويبحث ويسأل ، يبحث عن الحقيقة ، وهو في أول الطريق ، وأصبح موضوع الإمام عليه السلام من المواضيع الشائكة ، ومن المواضيع المتعبة التي وقف عندها القلم والتي تصعب عند السؤال عنها ، فقيل وقيل ومتي ؟ ولماذا ؟ وهل ولد (1) ؟ وكم عمره ؟ وهل تزوج ؟ وأين هو الآن ؟ وبماذا يحل مشكلات زمانه ؟ وهل هو علوي ؟ وهل هو عباسي؟ وهل هو من المغرب كما تدعي فرقة المهدوية ؟ وأين هو الآن ؟ وأين يسكن ؟ وأي يوم يكون خروجه ، أفي يوم جمعة، وفي أي شهر، وفي أي سنة ، وهل ولد أنصاره ؟ وهل يحقق أصعب الأمور، ولماذا غاب ؟ وما هي غيبته ، وهل المقصود بها الاستتار عن أعين النظار، وإذا ندبنا ودعونا فهل يقرب خروجه ؟

1- ذهب صاحب سبائك الذهب أن المهدي عليه السلام لم يولد وسيولد ؟

وما هي الحياة بعد خروجه ؟ وكيف تكون الحياة ؟ ولماذا لم يخرج الآن ؟ أوليس هذا الزمان زمان انتشر فيه الظلم ، واستفحل فيه الكفر ، وقوي فيه الباطل علي الحق في كل مكان ، وفي كل زمان ، وتكاد الأمة في هذا العصر أن تذوب بين الأمم ويكاد صوت الحق أن يختفي.

إن هذه الأسئلة وغيرها سنمر عليها في هذا البحث ، و هي كثيرة :

السؤال الأول : من هو الإمام المهدي عليه السلام ؟ ولماذا سمي المهدي ؟ ولماذا سمي القائم ؟ ولماذا يكني بأبي القاسم ؟ ولماذا هو الإمام الثاني عشر ؟ (1)

هو الإمام الولي المنتظر، وهو المهدي عليه السلام ، وهو المصلح ، ولعل منشأ هذه الكنية (أبو القاسم) لأن اسمه اسم جده محمد ، ولما كان الرسول صلي الله عليه واله يكني بذلك كتي الإمام المهدي عليه السلام بهذه الكنية.

والسؤال الثاني الذي يتردد علي الألسن : هل تزوج الإمام في هذه المدة ؟ وهل له ولد ؟

والجواب باختصار ليس ذلك ببعيد ، وذلك ممكن ، وما هو المانع الشرعي ؟ وما هو المانع لو تزوج وله ولد، وله ذرية ، والقضية ليس فيها مانع عرفي ولا شرعي ، فهو رجل ولا نجرده عن البشرية ، فكما تزوج آباءه وأجداده بأكثر من زوجة طلباً للنسل والذرية .

1- أجبنا عن بعض هذه الأسئلة في الأبحاث السابقة ، فراجع.

والسؤال الآخر الـذي يتردد علي ألسن أهل الإيمان : أين الإمام المهدي عليه السـلام الآن ، أهو في كربلاء، أو هو في النجف ، أهو عند قبر جده ، أهو في الجزيرة الخضراء ، أهو يجوب الفيافي والقفار هو ورفيقه وصديقه الخضر عليه السلام ؟

أين هو ، أهو في موسم الحجـاج ، أهو في مسـجد الكوفـة ، أو في مسـجد سـهيل، سؤال ليس وراءه ثمرة عمليـة ، وليس تتوقف عليه قضـية عقائديـة هنا وهناك. والمهم هو الإيمان به ووجوده ، والتخلص من عقـدة الشك التي سـيطرت علي أكبر عـدد من هـذا الجيل ، وكيف بناء الاعتقاد والاذعان والدخول في الجزم والانصـياع والتخلص من عقدة الشك والتشـكيك التي سـيطرت وفعلت وأثرت في النفوس، في نفس ولـدي وأخي وصـديقي ، وكيف نبني هذا الاعتقاد ليكون راسـخا ، وكيف القضاء وإزالة هذا الداء الذي سـمم الأفكار وعطل المشاعر،وهنا معادلة إذا هضـمناها قضـينا علي عقدة الاضطراب والتردد والقلق التي طغت علي نفوسنا في هذا العصر، الإمام المهدي عليه السلام الذي آمنا به واعتقـدنا ونحن ننتظره هو الـذي أخبرنا عنه جده الصادق الأمين، فقد أخبرنا محمد النبي صـلي الله عليه واله بإخبارات كثيرة وكثيرة ، وهي صادقـة ، وكل ما أخبر به محمد صـلي الله عليه واله فهو صدق ، وإخبار الصادق يؤخذ به، وقد ثبت صدقه بالإجماع واتفاق الأجيال ، ولـم نعثر علي هفوة أو مخالفة من كلمات المصـطفي صلي الله عليه واله والأخبار الواردة عنه في الكتب الإسلامية ، وقد ملئت الكتب بهذه الإخبارات

وهذه التيارات ، وهي مروية ومنقولة عن الصحابة الكرام والتابعين الثقات ، فكيف نكب هذا ونشكك في هذا.

أيها المشكك المبتلي المصاب ، لماذا أنت في هذه الحالة ؟ هل قرأت هذه الكتب الإسلامية من هذا الطرف ومن ذلك الطرف وأصحابها أعلم منك ومني ، وأصدق منك ومني ، هل نشك في هذه الكتب الصادقة أم نشك في التابعي الصديق الناقل عن الصحابي الكريم، والراوي عن أصدق من خلقه الله ، الصادق الأمين ، الذي مدحه الحق ومدحته الدنيا بصدقه، وظهرت الدعوة للمهدي عليه السلام أيام النبوة ، ثم في عصر الصحابة ، وفي عصر التابعين ، وفي عصر المحدثين من المسلمين ، وفي عصر أحفاده الأئمة الهداة الكرام البررة ، ومنذ ذلك الوقت بدأ السؤال يكثر عن هذا الإمام ، والاشتياق إليه ، والانتظار له ، والحديث في صفاته وزمانه والتبشير والرواية عن ظهوره وعن زمانه ، ولو أردنا وضع إحصائية لعدد الروايات لكانت كتاب و مجلدات، وقد قرأنا حديث الرجل الكوفي من أهل السواد الذي دخل علي الإمام الصادق – في كتاب (إرشاد القلوب) للديلمي – وهو يضطرب شوقا وهو ينتظر زمان هذا الإمام المنتظر الذي يملا قلوب المؤمنين فرحا، وظهرت دعوات في البلاد الإسلامية وفرق تؤمن به ، وتبشر به ، وترغب أن تكون من أنصاره ، وتتشرف أن تنسب إلي هدايته ، وتسمي نفسها تبركا به ، وكثرت التيارات به وعنه وتعددت في كل عصر ، السابق واللاحق، يتحدث ويخبر ويروي

ولم تسمع في العصور السابقة من طرق باب الشك والتشكيك في هذه . الروايات وهذه التيارات من قبل ، أو من أنكر هذه الدعوة في عصر الصحابة وعصر التابعين ، وحيث اقتربنا إلي هذا العصر بدأت حركة التشكيك تظهر وظهر التشكيك والإنكار والاستغراب ، ولعلها مقصودة، ولماذا الاستغراب ، أهي قضية ممكنة ، وما هو المانع المنطقي من ذلك بأن رجلا مصلحا علويا شريفا من أحفاد النبؤة يقوم بمسؤوليته المقدسة ليصلح الدنيا ويترك هذا الإنسان يسلك سبيلا واحدا ولا تلعب به التيارات والأهواء، ويأخذ هذا السبيل وهذا السبيل ويسقط ويتردد ويسير بلا هدي ، وكيف لا تؤمن به وقد أخبرنا به جده المصطفي صلي الله عليه واله ، وقد صدقناه وآمنا بصدقه وتصديقه ، وهو رسول السماء إلي الأرض.

إن الله بعث محمدا صلي الله عليه وسلم وهو يحمل أفكارا كثيرة وكثيرة، ويحمل أحكاما بلغها لأهل زمانه ولنا ولغيرنا وصدقناه بما بلغ ، وآمنا بما بلغ من أحكام وأخبرنا عن المهدي عليه السلام فكيف لا نصدقه بما أخبر به وإخباراته هي قليلة ونسبتها قليلة للإخبارات الأخري أفلا نصدقه بما أخبر به وهي صادقة لا تصطدم مع العقل ، أفلا نصدقه بما جاء به بهذه النسبة القليلة من الأخبار أو لا نصدقه بما أخبر به وبلغه عن ربه من أحكام وأمور أخري بعبدة وراء هذا العالم ، فكيف قد صدقناه بالمغيبات وصدقناه بالحوادث قبل حدوثها ووقوعها فقد أخبرنا عن سدرة المنتهي ، وعن رحلته ليلة الإسراء والمعراج ، وأخبرنا عما لاقاه

في ليلـة الإسـراء وصدقناه بما أخبرنا عما وراء هذا العالـم وصدقناه بما سـمعه ورآه في تلك العوالـم البعيدة ، صدقناه عن الجنة ، وعن النار ، وآمنا بأقواله وحصل اليقين بما قاله وأخبر به فلا شك بما قال وأخبر ، وقـد تسأل عن الإيمان بالنبوة ، فالإيمان بالنبوة يلزمه الإيمان بالإمامة ، والإيمان بالنبوة يتبعه التصـديق بكل حرف وكل كلمة وكل إشارة وكل حركة تصدر عن هذا الرسول الصادق الأمين ، وهذا هو اليقين الثابت ، وقـد تسأل عن هـذا اليقين المغروس في النفوس إنما هو نتيجـة علم وانفتاح وتنميـة قضايا منطقيـة وتأملات ومعادلات صـحيحة لاقضايا وهميـة أو ظنيـة أو أخبار آحاد أو تقليد الآباء، فإن أخبار الآحاد لا تبني عليه قضـية ولا تغرس إيمان وإنما هي أخبار متواترة رواها جيل بعد جيـل وتسالم عليها الخلف عن السـلف والأبناء والأحفاد عن الآباء والأجـداد ، فليست هي قضايا ظنيـة تغرس ثم تـذوب وتمحي وتزول ، فخبر الواحد أو قول الأب وحده لا يغرس عقيد؛ وإنما يغرس ظنا أو يصـنع قضـية ظنية ، فلو أخبرنا مخبر عن ناطحات سحاب في الولايات المتحـدة مثلا إن مثل هـذا الإخبار كونه قضـية ظنيـة لانبني عقيـدة موروثة باقية لم تتغير وتبقي وتبقي ، فلو جاءنا جماعة عرفوا بالصدق ولا يحتمل عنـدهم التواطؤ والكذب أو المصـلحة وأخبرونا عن ناطحات السـحاب وأن لها وجودا وهيكلا معينا فهذا هو الفرق بين خبر الواحد وخبر الجماعة ، فهناك ظن وهنا يقين فقد حصل اليقين بوجودها ، فهذا اليقين علم، أو هو عند رحاب العلم أو هو علم اليقين

ومنشأه قضـية صادقـة أو قضايا منطقيـة لاقضايا وهمية أو قضـية ظئية ، وهذا الاعتقاد اليقيني بني علي أسـس قطعية ، وهذا اليقين هو العلم القطعي وهو المعبر عنه في منطق القرآن عين اليقين وحق اليقين ، أمـا من أخبرك بما لا يحتمل الظن في كـذبه أو أخبرك بما لا يقبل العقل أو يتصادم معه فلا يؤسـس اعتقاد يقيني أو يبني عليه عقيدة ، وقضـية الإمام المهدي عليه السلام أين التصادم العقلي فيها ، وهي قضية ظنية قابلـة للنسـخ والتـذويب أو التشـكيك ، فلو كانت من هذا القبيل لماتت منذ ألف سـنة ولكنها باقية وتتحدي كل الرياح وكل المحاولات . عقيدة أحكمها هذا الشـرع ،وغرسـها سيد المرسلين ، وتبقي وتبقي ونحن في زمن الحوار حوار الحضارات والمبادئ والأفكار وبناء العقيدة والاعتقـاد أو غرس المعتقـد الصـحيح والإيمـان به يتوقف علي أوليـات وعلي مبـاني والتصـديق به والاذعان بواقعه يتوقف أولا علي معايير منطقيـة ونقلات فكرية كما يقول علماء المنطق : التصديق يتوقف علي التصور، والتصور مرحلة ما قبل التصديق ، فقد يكون التصور يتوقف علي مراحـل أوليـة تسـبق التصـديق والتصور، أي التصـديق يتوقف علي القصور، والتطور يتوقف علي التأملات ، وكما يقول علماء المنطق التصور قبل التصديق، والتصور خطوة نحو التصديق ، والتصديق مرحلة بعد التصور، وكلاهما يقع فيه الخطأ والاضـطراب ، ويتوقف التصور علي مقدمات سابقة علي إحساس وعلي منبهات وعلي شعور النفس وعلي تعليلات ، وكل أمر من هذه الأمور يرتقي إلي التصور

ويرتقي ويقوي هـذا التصور وينمو هـذا التصور، ثم يصل إلي التصديق ، ثم إلي الإذعان واليقين ، والاذعان والتصديق يتمركز في النفس ثم يتحول إلي مرتكز لا ـ يفارق الشـعور ولا ينفصل عن النفس ، ثم ينمو الاعتقاد وتبني العقيـدة وتحتل مكانها في النفوس، وتحتاج إلي توفيق وعنايـة وتثبت « اللهم ثبتنـا علي الإيمـان بـك، والتصـديق برسولك، والإيمان بوليك »، فإن ذلك هو الحق الـذي آمنا به ، اللهم اجعلنا من النفوس المطمئنة ...

وقـد تسـأل : كيف آمنت بوجود هـذا الإمام حيا باقيا وإلي الآن ، وكيف آمنت بأنه سـيظهر ويبرز علي الساحـة السياسـية الواسـعة ليمارس المسؤولية الشاقة ويصـلح الدنيا شـرقها وغربها والدنيا في كل يوم صورة جديدة وشـعور جديد وجيل جديد ، وما كان بالأمس قد لا يصلح إلي هـذا اليوم ، فكيف يصـلح إلي ما بعد هذا اليوم، وقد تسأل : كيف اعتقدت به إماما ؟ قلت لك : لأن آباءه وأجداده أخبروا به وحتي جده الأعلي بشر به كثيرا ...

والجواب عن هـذا كله : أنا آمنت واعتقـدت وأحاور وأجادل لأني عرفت الحق حقا ، وأنا وسـلفي أنصار الحق وأتباع الحق والمـدافعين عن الحق.

يا أخي، هل سألت نفسك لماذا أنت مشكك ولماذا هذا التشكيك..؟

ص: 238

ونهاية المطاف في هذا الحوار وباختصار: أنا مؤمن أنا معتقد وأنا مليء بالقناعة والإيمان بوجود إمام من ذرية علي والحسين عليهما السلام ، ولا يزال موجود، وأنا مؤمن به ، وأنا أحاور وأجادل وأثبت وجوده وبقاءه وامتداد حياته وهو امتداد للنبوة وممارساته في الإمامة والقيام بوظائفه الشرعية من أجل الأمة وبقائها ، ونحن نحاور ونحن في زمن الشكوك وزمن الحوار وزمن الجدل والتلاقح الفكري وإن عقيدة بنيت علي أوهام وخيالات في طريقها إلي الاندثار والموت ، وأين الهزال والهزل ، وأين الأوهام وأين الأفكار المبينة في قضية الإمام المهدي عليه السلام ، وكلها قضايا منطقية واقعية لها نصيب من الفلسفة الإسلامية والطموح الفكري والنظرة المستقبلية وازدهار الأمة وسيادتها عند ظهوره وعند القيام بأحكام الدولة الكبري وانتشار كلمة لا إله إلا الله هنا وهناك ، وهذا هو طموح الإسلام أن يكون دين الدنيا ودين البشرية وحكم الله في الأرض لتنعم البشرية في ظلاله وعدله ورعايته وهذا ما أشارت إليه الآية « لِيُظهِرَهُ عَلَي الدّينِ كُلّهِ » (1)

1- التوبة : 33. الفتح: 28. الصف : 9.

أخبار الإمام المهدي عليه السلام

وهي كثيرة ومختلفة ومروية في كتب المسلمين جمعاء ، وليست مقصورة في كتب الشيعة لأن المهدي عليه السلام ليس للشيعة فحسب .

المهـدي عليه السـلام رجل المسـتقبل ، وبطل الإصـلاح للإنسانيـة المضـطربة المبتلاة ، وأخبار المهـدي عليه السـلام آمن بها من آمن ، وشـكك فيها آخرون ، ولا داعي إلي هذه الشـكوك ، وهذه الشـكوك ما هي إلا أمراض وأوهام، ومن أدركها والتفت إليها تخلي عنها ، وأخبار المهدي عليه السلام موجودة في الكتب الحيادية لعلماء أفذاذ ورجالات من المسلمين مجردين عن داء الشك والتشكيك.

وهذه الأخبار بعد قراءتها وتدبرها وبعد فهمها وصحة سندها هي علي أضرب شتي ، وفي مساحات حوارية مختلفة ، قسم منها مقبول واضح لا لبس فيه ولا اضطراب ، والقسم الآخر قد لا يدركه هذا العقل في هذا الزمن وجميعها تتحدث عن هذا الإمام ودوره وما يحققه

ص: 240

وما يفعله وما يصـدر عنه ، وقسم آخر يتحدث عن مشـكلات هذا الإنسان في المسـتقبل ، وكيف يكون ويصور الحياة الاجتماعية المقبلة ، وكيف تتكيف، وكيف يسـتخدم المنجزات الحضاريـة المسـتحدثة في مسـيرته وقضاء حاجاته ويسـير شؤونه ، وكيف تتكيف الحياة المقبلة والروابـط مع الآخرين، وكيف يكون ذلك الإنسان في ليله ونهاره وحله وترحاله وتفعيله وتفاعله والعلاقات مع بني الإنسان المضـطربة كل ذلك نجـده في أخبار الإمام المهـدي عليه السـلام في العلم والفكر والسـياسة والمعاش وما يصدر عنه وما يقع عليه ، وما يقع في الدنيا في مشرقها ومغربها كل ذلك حاضر بين يديه تتقارب أطراف الأرض ، وأطراف الأرض حديث من أحاديث القرآن .

فقد تقرأ في أخبار المهدي عليه السلام عن أمور وتطورات وهي بعيدة عنك ولكنها واقعة في دائرة الامكان ، العلم يتقدم والمنجزات العلمية كثيرة وتزدهر الحيـاة الاجتماعيـة ونسـميه زمن السـرعة وزمن التقـارب وزمن اللقاءات حتي ورد أن زمانه يختلف عن زمانكم، وأهل زمانه يختلفون عن أهل زمانكم ، وفي ذلك روايات كثيرة فتش عنها تجدها .

ولكن السؤال مـا هو الاختلاـف ؟ هل الليل يطول أم النهار يقصـر ، وأهل زمانه بماذا يختلفون عنا وفي أي شـيء، لا يكـذبون ، لا يقترفون الخطيئـة ، لا يسـرقون ، لا اعتـداء من هذا علي هذا ، ولا مخالفة ، كلهم في طاعة الله وطاعة إمام العصـر عليه السـلام ، إن قال فعلوا، وإن دعاهم

استجابوا ، هممهم تزيل الجبال ، يخاف منهم أهل الأرض لأنهم سخروا أنفسهم لولي الأمر وحفيد الأنبياء تتقارب الدنيا ولا بعد ولا تباعد ولاانقطاع ولا تقاطع، الأرض تزدهر بخيراتها ، وفي ذلك أخبار كثيرة ذكرت ، فتش عنها تجدها في كتبنا وكتب غيرنا.

قد تقرأ في أخبار المهدي فتستغرب بما فيها ، وتقف عند مضمونها ومحتواها ، فقد لا تدركها فكريا ولا تهضمها حضاريا ، ولا يدرك أهل هذا العصر تفسيرها لأن أسرارها محجوبة بحجاب المستقبل بحجاب الزمن والقضايا مرهونة بساعاتها وبأوقاتها ، فقد تقف عندها ونحن في عقلية اليوم وقد تضيق بنا الآفاق في تفسيرها تفسير مقبولا وتحليلها علمية.

هذه نماذج من أخباره وصور من زمانه إذا ظهر ، يعيش المؤمن ولا يدخل في روعه وفي نفسه أنه يعتدي عليه أو يظلم أو يؤخذ حقه .

وورد أن الطفل يلاعب الحية وهو في أمن وأمان .

أن الشاة تسرح مع الذئب ، فلا تخاف منه ولا يعتدي عليها ، فإذا كان الحيوان في أمن وأمان فكيف بالإنسان في ذلك الزمان ؟!

وإذا ظهر تطوي له الأرض.

وإذا ظهر يدعو الشمس والقمر .

وإذا ظهر ودعا إلي حكم القرآن ظن الناس بأن القرآن قد نزل عليه

وهو ليس نبيا ، وليس هناك قرآن آخر ينزل إلي الأرض، هو هو القرآن ويبقي هو.

وورد أن المؤمن في زمن القائم وهو بالمشرق يري أخاه الذي بالمغرب وكذا الذي بالمغرب يري أخاه الذي بالمشرق.

وورد أنه يقوم بالسيف ، فقد تسمعني ويدخل في نفسك شك أو اضطراب ، أو لعلك تقول ماذا يعمل السيف وماذا يصنع السيف مقابل هذه الأسلحة الفتاكة الأسلحة الفيزيائية والجرثومية وزمن السيف قد انتهي وأصبح زمن المركبات والعناصر والحديد والنار والانفجار والانشطار، لا تتسرع في الحكم، وما يدريك أن ذلك السيف يختلف عن باقي السيوف في قطعه وحده وفعله وصده وإيجاده وفاعليته ، والسيف اسم وله مصاديق .

وورد أنه إذا ظهر يضع سيفه علي عاتقه ثمانية أشهر أو ستة أشهر ولا يغمده حتي يقتل كل جبار عنيد وكل شيطان مريد، وكل باغ وحاسد وكل مارق وجاحد ، ويقتل ويفتك ، ويقتل حتي تجري الدماء كالأنهار.

وورد أن المهدي عليه السلام رجل من ولد الحسين عليه السلام ، لونه لون عربي ، وجسمه إسرائيلي ، لماذا ؟ وكيف يكون كذلك هذه روايات قابلة للتأويل والتوضيح، وقد وضحها العلماء وما تركوا شيئا ، ومن أراد أن يصف بطلا مقداما قويا في صولته قال عنه ليصوره إلي الآخرين شك؟

وجسـدا وقامة فهو كأجداده طويل القامة ، قوي الهمة ، فإن في ذلك صورة تقترب إلي الفكر بأنه رجل حدي، رجل عن الله وفي سبيل الله ، لا تأخذه لومة لائم ، ويقول المشـككون أو من ينشد المعرفة ويفتش عن الحقيقة في عصرنا، وكم سمعنا من شبهات وشكوك وهي لاشيء ، قالوا : من هو المهدي ، ولماذا سمي بذلك ؟ وكلهم في خط الهدي والهداية وكلهم هداة وأئمة الهدي ، فالإمام العاشر هو الهادي ، والإمام الجواد هو الـذي اهتدي به من اهتدي ، وخطهم هو الخط المسـتقيم الذي لا عوج فيه ولا اضـطراب ، من سـلكه وصل إلي الله ، وقد تقول وتسأل لماذا سـمي القائم وكلهم قائمون، وكلهم يحمل هموم الأمة ، وقائم في شؤونها ويريد لها النجاح ؟ ولكن أحدهم قد يصاب بتعطيل أو معوق أو يقتضـي أن يكون جليس داره فيقعـد هـذا ويقوم هذا « الحسن والحسـين إمامان قاما أو قعدا » ، فالقيام والقعود أمران طارئان قد يحدثان في وقت ما .

وقـد تقول : لمـاذا هو آخرهم، ولمـاذا هو الإمـام الثـاني عشـر ، وهـل في ذلك منجزات وأهـداف وقضايا وإيجابيات تختلف عن خط آبائه وأجـداده ، ولماذا اختفي اليوم وما أجـدر به أن يكون بيننا ، وما أحوجنا لهـذا الإمام لعصـرنا، عصـر المشـكلات والمشاكل والفقر والفقراء والضعف والضعفاء ؟

ولماذا هذا الخفاء عن الحياة وعن الساحة السياسية ، وهل سيبقي

ويمتد هذا الخفاء والانفصال عن الأمة والأمة بحاجة إليه ، وما أحوج الأمة لقيادة دينية وسياسية تدير شؤونها وتحل مشاكلها ؟

فإذا قلنا : هو موجود وعلي قيد الحياة وحتي في زماننا فما أشد الحاجة إليه لأنه الإمام، ووجود الإمام ضروري ، هكذا قال المحللون ، فكيف يكون هذا الإمام بعيدا عن رعيته ، وهل تستطيع هذه الرعية أن تدبر شؤونها وأمورها السياسية وغير السياسية ، كل ذلك متوقف علي وجود القيادة الحكيمة .

إن ذلك متوقف عليه ، فماذا تقول لو سئلنا عن أسباب غيبته والسؤال الكبير وهو أكبر سؤال عن أسباب غيبته ، فإن قلنا هو الخوف من السلاطين والحكام والجبابرة قيل لنا : هذا كان بالأمس هو الداعي والموجب. وقد انتهي وذهب أمس بما فيه وحديث أمس لا يكون حديث اليوم، وهل يقتضي هذا السبب للغيبة في عصرنا ، ومن يقطع بذلك والعالم والدنيا والإنسانية بحاجة إليه ، والأمة بانتظاره وهي تتأمله وتترقب ظهوره، فلماذا هو غائب ، وماذا يقصدون بالغيبة ، وهل هي الغيبة البصرية ، ونبقي نقول عن إمامنا إذا قيل لنا : أين هو ، وما هو، وكثر الحديث عنه ، وقد كثر الحديث عنه في عصرنا وكثر التأليف والجدل في غيبته وقد تسألني وأنا معتقد بذلك ، أعتقد به وهو غائب ، أعتقد به ولم تره ، أعتقد به وليس بينك وبينه صلة واتصال لا كلمة ولا قول ولا فعل ، كيف أعتقد بهذا المهدي إماما ؟

قالوا لنا وقالوا ويقولون ونقول لهم : إن آباءه وأجداده هم الصادقون ، ونحن مع الصادقين ، وقد اجتمعت الدنيا علي صدقهم ، ولا راهنا علي صدقهم ، وقرأنا كل كلماتهم وكل أفكارهم ورأيناهم الصادقين « وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ » (1) هم قد أخبرونا وبشرونا وكرروا وأعادوا عن هذا الإمام المهدي عليه السلام الذي تهتدي به الإنسانية وتستضيء بنوره وبعطائه وبفيض هدايته . إنه الإمام الحق ، إنه الإمام الذي يشاركنا في كل صغيرة وكبيرة ، وإن طال الانتظار ، وإن كثر الحديث عنه (2)، ونحن في انتظاره ، ونبقي بانتظاره .

وإن قلت : لماذا هـذه الغيبة وقد طالت أو تطول ، كم مرت عليها ، ألف سـنة ، وهل تبقي الآلاف متوالية متتالية وقد بشـر به المبشـرون في مجالسـهم ومدارسـهم منذ زمن قبل ولادته ، ومن المبشـرين بقدومه عبدالله بن عباس ، ومن المبشـرين بقدوم الإمام القائم سعيد بن جبير الرجل التابعي ، الرجل الصادق عند جميع المسلمين .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه واله :

« إن علي بن أبي طالب وصـيي وإمام أمتي وخليفتي عليها بعـدي ، ومن ولـده القائم المنتظر الـذي يملأ الله به الأرض قسـطا وعـدلا كما ملئت

1- التوبة : 119.

2- راجع القاموس في باب المهدي عليه السلام .

جورا وظلما » (1).

ومن أخبار الإمام عليه السلام المقبولة في المنطق المقبول والعقل المستقيم ورد:

« لا ينزل منزلا إلا انفجرت منه عيون ، فمن كان جائعا يشبع ، ومن كان ظمانا روي » (2).

وهذه رواية وبشارة عن الإمام الباقر عليه السلام ، وهو الذي بشر به وكأنه يقول يعم الرخاء والأمن والأمان ، وتنتشر السعادة لبني الإنسان ، وهذه إجابة عن السؤال الذي سمعناه كثيرا ، فإذا خرج الإمام فماذا بعد ذلك، وهي مرحلة ما بعد الخروج ، أي كيف تكون الحياة بعد خروجه ؟

وفي رواية صعصعة ، قال : سمعت عليا يقول : « يطهر الأرض ويضع ميزان العدل ، فلا يظلم أحد أحدا » (3).

وهو الذي يطهر الأرض من الظلم والفجور ومن الخطايا والرذائل ، فلا ظلم ولا خوف ولا .. ولا ..، وينتصر الحق ويندحر الباطل ، ويكون الناس مسلمين ، ويحكم الإسلام في شرق الأرض وغربها ، وتأكيدا للرسول صلي الله عليه واله كما وعده الله بالفتح والنصر والانتصار وسيادة

1- الملاحم والفتن لابن طاووس : 192.

2- نور الأنوار: 202.

3- نور الأنوار: 202.

هـذا الدين في الأرض ، وهذا يتم بالإمام الذي يظهره الله علي الدين كله ، فيملأ الأرض قسـطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وكفي بالله شهيدا . أي إنما وعد الله به نبيه واقع « وإن الدين واقع » (1).

وعن سـعيد بن جبير في تفسير قوله : « ليظهره علي الدين كله ولو كرة » (2) قال : « المهدي من ولد فاطمة عليها السـلام » . وهو من ألف رجل بشروا بهذا الإمام .

أمـا الأحاديث الواردة عن النبي فلا تقف عنـد حـد، فقال مرارا ومرارا : «لو لـم يبق من الـدنيا إلا يوم واحـد لطول الله ذلك اليوم حتي يخرج رجل من أمتي ، يواطئ اسـمه اسمي ، وكنيته كنيتي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ». حديث مروي مشهور لا شك فيه ولا تردد ، ذكرته جميع كتب المسلمين.

وذكر الترمذي (2: 270) عن أبي هريرة ، قال النبي : «لو لم يبق من الدنيا يوم لطول الله ذلك اليوم حتي يلي رجل من آل بيتي».

والكتب التي ذكرت أخبار الإمام المهـدي الصـحيحة التي حصل الإجماع عليها وأصـبحت من المسـلمات وطرقت أذن كل مسـلم قديما وحديثا : صحيح البخاري ، سنن المصطفي لأبي داود ، صحيح

1- الذاريات: 6.

2- التوبة : 33. الصف: 9.

الترمذي ، الصواعق المحرقة ، الفتوحات المكية لابن العربي ، نور . الأبصار للشبلنجي ، ينابيع المودة للشيخ سليمان القندوزي ،مفاتيح الغيب للفخر الرازي .

أما هناك نوع من الكتب ألفها علماء من المسلمين بأخبار صاحب الزمان بعنوان أخبار الإمام المهدي ، وقد أفتي كثيرا من العلماء بكفر من أنكر المهدي عليه السلام ، أما عندنا فإن من أنكره أو شك فيه فإنه قد هدم الإمامة ، وهدم الإمامة معناه فصل الإمامة عن النبوة ، أو تكذيب للرسول الذي بشر به وأخبر، أو تشكيك في حديث آل محمد صلي الله عليه واله لأنهم بشروا به وأصبحت اليوم قضية الإمام المهدي عليه السلام عند العقلية الحديثة كأنها مسألة غريبة أو جديدة أو مختلفة ، أو هي من صنع الأوهام، والعقول المصابة ، والحاجة إلي النبوة هي الحاجة للإمامة بعدها ، والإيمان بالنبوة يلزمه إيمان بالإمامة بعدها ، وإذا بطلت النبوة بطلت الإمامة بعدها ، وبالعكس ، ولو بطلت النبوة فصلنا النبوة عن التوحيد ولوجود هذا التلازم بين التوحيد والنبوة والإمامة كانت النتيجة الإيمان بإمامة المهدي المنتظر عليه السلام وهي تشكل سلسلة مرتبطة بعضها بالآخر، ويتوقف هذا علي هذا ، وحاجة الإنسان إلي النبوة هي حاجته إلي الرئاسة والزعامة السياسية ، فالإمامة ضرورية ولا استغناء عنها ، فهي والنبوة في خط واحد (1).

1- راجع الإفصاح للشيخ المفيد، ط. النجف فقد أجاد في تحقيق المسألة .

هـذه الرحلـة نحو الإمام المهـدي عليه السـلام رحلـة من الشك إلي اليقين ، والإمام المهـدي عليه السـلام بين السائل والمجيب ، والإمام المهدي عليه السلام في العقلية المعاصرة ، وقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم كثيرا وكثيرا ، وهو كأنه يشير إليه باسمه وصفته ، ورد عن النبي :

« إنه يملأ الأرض أو تملأ الأرض جورا وظلما فيخرج رجل من ولدي »، أو قال : «من ذريتي » ، يملك سبعا ، أو تسعا ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا »، والتعقيب في هذا الحديث : ماذا يقصد الرسول صـلي الله عليه واله با سـبعا أو تسعا ، وماذا يقصد بالامتلاء هل هو طوفان البلاد والابتلاء وما بعـد ذلك ؟ بعـد ذلك هو الفرج والبشـري والخير والابتلاء ، هو نهايـة الشـدة ونهايـة الأزمات ، فلا يبقي في الأرض مكان إلا ويدخله الجور والفساد، وعند ذلك يقول الناس أين هو، ولو كان لبان ، ولو كان الظهر ، فإذا وصـلت الحياة إلي هذا المستوي ، فعندها يفرح المؤمنون بنصـر الله ، وأما قول : « الرسول سـبعا ، أو تسعا »، فهي أمور في لغة رمزية وما يدرينا إن هذا القائم المنتظر والعدل يكون حكمه سبعا والسبع والتسع مسألة رمزية أخذ بها كثيرون من الصحابة والتابعين في تقديس السبع والتسع ومن بينهم عبدالله بن عباس ، وفيه فسرت كثير من الآيات وإنه لعلم الساعة.

يقول مقاتل بن سليمان ومن اتبعه من المفسرين إن هذه الآية نزلت في الإمام المهدي عليه السلام الذي نتحدث عنه ويكون مصداقا للآية

« لِيُظهِرَهُ عَلَي الدّينِ كُلّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكونَ » (1)، فإذا خرج واستقام وسمعه أهل الأرض فما عليه إلا أن يسعي إلي نشر الإسلام تطبيقا ، فهو خلف لجده المصطفي في الأرض لا يبدل ولا يغير ولا يشرع ولا يخالف القرآن .

وفي الحديث النبوي : «المهدي يقفو أثري لا يخطئ » .

ويقول البياتي : « ومن هذا الحديث النبوي نفهم أن المهدي متبع لا مبتدئ » (2) .

إنه حجة الله في الأرض، وصاحب الكرة البيضاء، وشعاره الذي يرفعه وصوته الذي يعلو جاء الحق وزهق الباطل ، وهو بقية الله في الأرض ، وهو الوارث لأسرار النبوة والإمامة .

وعلينا أن نستمر معك في أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ، ولعلنا نطرق باب الحقيقة ويمين الله علينا أن ندخل إلي مدرسة اليقين ، ونقرأ ما جاء في الفتوحات المكية (الجزء الثاني) لابن العربي في كتابه الدر المكنون وغيره وغيره لنصل إلي نزول السيد المسيح إلي الأرض، وكيف ينزل ؟ وكيف يصلي خلف المهدي عليه السلام ؟ وأين ينزل في دمشق بشرقها ؟

1- التوبة : 33. الصف: 9.

2- النظرة النفسية والأشعة القدسية لمنصور البياتي : 129.

ونعود إلي الأخبـار الواردة في ذلـك ونقرأ مـا جاء في فرائـد السـمطين ، ونقرأ ما ورد في بشارة الإسـلام وغيرها من الكتب في قضـية الإمام المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض عدلا وسعادة .

إن قضية المهدي عليه السلام قضية لا ريب فيها ، آمن بها كما آمن بها أصحاب اليقين وأصحاب الفكر.

اللهم عجل فرجه ، واجعلنا من أنصاره وجنوده والمستشهدين بين يديه ، وإلي اللقاء .

ص: 252

المحتويات

المقدمه ... 5

المدخل ... 11

رحلة من الشك إلي اليقين ... 17

عوامل الشك والتشكيك والانكار لوجوده عليه السلام ... 19

الشباب المسلم والإمام المهدي عليه السلام ... 25

حديث مع الشباب المسلم ... 28

بداية الحديث ... 44

اللقاء الأول : البداية في الحوار ... 47

اللقاء الثاني : نماذج من الاستدلال ... 51

المقدمة الأولي ... 52

المقدمة الثانية ... 52

المقدمة الثالثة ... 52

المقدمة الرابعة ... 52

اللقاء الثالث : حوار مع المشككين في الإمام والإمامة ... 53

المعمرون القدماء في التاريخ ... 65

اللقاء الرابع ... 68

عقيدتنا بالإمام المهدي عليه السلام... جذورها وأسسها ... 72

عود علي بدء ... 76

خلاصة القول بالرجعة ... 92

لماذا المهدي عليه السلام ... 101

اللقاء الأول الجديد ... 103

مع المشككين في قضية المهدي عليه السلام ... 106

كيف تكون الحياة بعد ظهوره عليه السلام ؟ ... 109

لقاء مع المؤمنين المعترفين والمعتقدين بولادته ووجوده

واستمرار بقائه وطول عمره الشريف ... 119

نصوص وأقوال وروايات وأحاديث ... 138

المبشرون والبشارات ... 144

والمنتظرون لظهوره عليه السلام وقيامه بالأمر ... 144

الانتظار ، وما هي أخبار الانتظار ؟ ... 147

الانتظار والاصطبار ، ولماذا الانتظار ؟ ... 163

نحن الفرقة المنتظرة ومن هو المنتظر؟ ... 169

رحلة جديدة إلي رحاب الإمام المهدي عليه السلام ... 182

المصلح الذي يصلح هذا العالم ... 182

وقفة جديدة مع المشككين في قضية الإمام المهدي عليه السلام ... 192

مراحل في الشك إلي اليقين ... 200

الشك مرحلة من مراحل اليقين والاعتقاد والإيمان ... 204

مع المشككين والمترددين والمنكرين ... 215

حديث الجزيرة الخضراء ... 220

الإمام المهدي عليه السلام بين السائل والمجيب ... 231

أخبار الإمام المهدي عليه السلام ... 240

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹